

## تقديم

يتضمّن هذا الكتاب المداخلات التي تُليت في الأيام البيبليّة الأولى التي انعقدت في دير مار روكس العامر في منطقة الدكوانة (بيروت)، بضيافة «الكلية البيبليّة المسكونيّة والأديان». كانت هذه الأيام ثلاثة. الأحد والاثنين والثلاثاء، ٢٨، ٢٩، ٣٠ كانون الأول ١٩٩٧. أما الموضوع العام فكان: الآيات والمعجزات في الكتاب المقدّس.

وقد توزّعت فصول هذا الكتاب على أربعة أقسام: المحاضرة الافتتاحية في فصل واحد. قدّمت لنا النظرة اللاهوتيّة. والقسم الثاني: المعجزات في العالم القديم، في ستة فصول. عالم التوراة. العالم اليهودي، العالم اليوناني والروماني أو العالم الهلنستي. والقسم الثالث (المعجزات في الأناجيل وأعمال الرسل) جاء هو أيضاً في ستة فصول. بعد مداخلة عامة، كانت دراسات في كل من الأناجيل الأربعة وأعمال الرسل. وكان عنوان القسم الرابع والأخير، دروس ونصوص، توزّعت على تسعة فصول. وتنظّمت طاولة مستديرة في مساء اليوم الثاني من هذه الأيام، أدارها السيد سمير فرحات وشارك فيها المطران سليم كيرلس بسترس، الدكتور أديب صعب، الاستاذ روبرق قرقاش. ولكن وصلتنا مداخلة واحدة من المداخلات الثلاث فعدّلنا عن إدراجها في الكتاب، شاكرين صاحبها.

الأيام البيبليّة هي محاولة أولى. ولهذا سمّيناها «الأيام البيبليّة الأولى». ولما كان التجاوب كبيراً، ما أردناها أن تكون الأولى والأخيرة. لهذا كان اقتراح تبنته الرابطة الكتابيّة في لبنان، وهو أن تعقد الأيام البيبليّة مرّة كل سنتين. أما موضوع الأيام البيبليّة

الثانية التي تنعقد أيام الاثنين، الثلاثاء، الأربعاء، ٢٧، ٢٨، ٢٩ كانون الأول ١٩٩٩، فيكون موضوعها وجه الأب في إطار الثالوث الأقدس . وهكذا نستعدّ منذ اليوم إلى يوبيل سنة الألفين من أجل ألف ثالث ورابع حتى مجيء الربّ الذي يجمع في شخصه كل ما في السماوات وما على الأرض .

الخوري  
بولس الفغالي

## المعجزات في تاريخ الخلاص

إنّ موضوع المعجزات هو للمسيحيّ العائش في ذهنيّة متشرّبة بالعقلانيّة العلميّة الموضوعيّة من أصعب المواضيع اللاهوتيّة والأشدّها تعقيداً. ولكن، مهما كان هذا الموضوع صعباً ومعقّداً، لا يجوز لنا أن نتجاهله. فالمعجزات تمثّل إحدى ركائز الإيمان؛ والكتاب المقدّس، في كلا العهدين القديم والجديد، يحتوي على روايات كثيرة للمعجزات، بحيث يشكّل إهمالها إهمالاً جزءاً أساسيّاً من الكتاب المقدّس. وهذا المؤتمر المخصّص لدرس المعجزات سيبيّن ما للمعجزات من أهميّة كبرى في الكتاب المقدّس.

ولكن، قبل الشروع في درس هذا الموضوع بالتفصيل، يجدر بنا أن نُلقّي نظرةً لاهوتيّة عامّة على المعجزات، بعنوان «المعجزات في تاريخ الخلاص». سأقسم حديثي إلى خمس نقاط: المعجزات في الخلق، المعجزات في العهد القديم، المعجزات في حياة يسوع المسيح، المعجزات في حياة الكنيسة، المعجزات في نهاية الزمن. فتاريخ الخلاص يشمل علاقة الله بالإنسان منذ الخلق حتى نهاية الزمن. وهذه العلاقة تتسم بطابع المعجزة من بدء الزمن إلى نهايته.

### ١- المعجزات في الخلق

عندما نتكلّم على المعجزات، كثيراً ما نتصوّرُها أعمالاً خارقةً يكسر بها الله نظام الطبيعة. فأن تُشرق الشمسُ كلَّ يوم، لا نرى في ذلك معجزة. أمّا أن تُظلم الشمسُ ولا

تعود تعطي ضوءها، فنعدُّ ذلك معجزة. أن يُشفى مريضٌ بالعلاج الطَّبي، لا نرى في ذلك معجزة، أمَّا أن يشفى بكلمة من السيِّد المسيح أو من أحد أنبياء الله أو قديسيه، فنعدُّ ذلك معجزة.

هذه النظرة ليست على جانب كافٍ من الدقَّة. فالكتاب المقدَّس يرى في المعجزة علامةً تدخَّل اللهُ، سواء كان ذلك في المجرى الطبيعيِّ للأمر أم في كسر هذا المجرى والقيام بأعمال خارقة لنظام الطبيعة.

لذلك الخلقُ هو المعجزة الأولى التي صنعها الله. فالإيمان بالله الخالق هو الإيمان بأنَّ الطبيعة لم تكوِّنْ نفسها بنفسها، بل إنَّ ثمةَ إلهاً تدخَّلَ بقدرته الفائقة الطبيعة ليخلقها. حتى وإن أخذنا بنظرية التطوُّر، نوَكِّدُ كمؤمنين أنَّ الله هو الذين تدخَّلَ ليعطي الطبيعة القدرة على التطوُّر.

وهذا ما يقوله الله لأيوب:

«إني سأثلك فأخبرني: أين كنتَ حين أسَّست الأرض؟...»

هل وصلتَ إلى ينابيع البحر، أم جلستَ في أعماق الغمر؟...

أين الطريق إلى مقرِّ النور؟ والظلمة أين موضعها؟...

هل وصلتَ إلى مخازن الثلج، أم عاينتَ مخازنَ البَرْد؟...» (أي ٣٨: ٣-٤ ،

١٦، ١٩).

وبعد تعداد كلِّ ما خلقه الله، يجيب أيوب:

«قد علمتُ أنَّكَ قادرٌ على كلِّ شيء، فلا يستحيلُ عليك مُراد... إني قد أخبرتُ

من غير أن أدركَ بعجائبَ تفوقني ولا أعلم» (أي ٤٢: ٢-٣).

كلُّ ما صنعه الله في الخلق هو عجائب، لأنَّه يُظهرُ أنَّ «الله قادرٌ على كلِّ شيء، ولا يستحيلُ عليه مُراد». هذا ما نستخلصه من الخلق في تحديد المعجزات. فالمعجزة هي علامةٌ وجود الله، وعلامةٌ قدرته.

## ٢- المعجزات في العهد القديم

هذا التحديد للمعجزة يتبين هو نفسه من خلال معجزات العهد القديم . فخروج بني إسرائيل من مصر على يد موسى وعبورهم البحر الأحمر، ثم إغراق جيش فرعون فيه (خر ١٤)، هما المعجزة الكبرى في تاريخ شعب العهد القديم، وهذه المعجزة هي دليلٌ على وجود الله مع شعبه، وعلى «قدرته التي لا يستحيل عليها مراد». والله نفسه هو الذي قاد الشعب عبر الصحراء إلى أرض الميعاد، بمعجزات كثيرة: فحلّى مياه مارة مرة (خر ١٥ : ٢٣-٢٥)، وأنزل لهم المنّ من السماء ليأكلوا (خر ١٦)، وأنبع لهم الماء من الصخرة ليشربوا (خر ١٧)، وخلّصهم من لذعات الحيات المميّنة (خر ٢١)، وحارب إلى جانبيهم ونصرهم على جميع الملوك وفتح في وجههم أرض الميعاد.

هذه المعجزات الكثيرة يذكرها المزمور ١٣٦ الذي كان اليهود يرتلونه بنوع خاصّ في احتفالهم السنويّ بعيد الفصح، والذي يجمع بين معجزات الخلق ومعجزات مرافقة الله لشعبه:

« اعترفوا للربّ، فإنه صالح، فإنّ إلى الأبد رحمته . هللوا .

الصانع العجائب العظيمة وحده، فإنّ إلى الأبد . . .

الذي صنع السماوات بفضته، فإنّ إلى الأبد . . .

الذي أسّس الأرض على المياه، فإنّ إلى الأبد . . .

الذي صنع النيرات العظام، فإنّ إلى الأبد . . .

الذي ضرب مصر في أبكارها، فإنّ إلى الأبد . . .

الذي أخرج إسرائيل من بينهم، فإنّ إلى الأبد . . .

الذي قسم بحر القصب إلى قسمين، فإنّ إلى الأبد . . .

الذي سيرّ شعبه في البرية، فإنّ إلى الأبد . . .

الذي ضرب ملوكاً عظماء، فإنّ إلى الأبد . . .

الذي أعطى أرضهم ميراثاً، فإنّ إلى الأبد . . .

الذي يرزق كلّ ذي بشرٍ خبزه، فإنّ إلى الأبد . . .

ولمَّا استسلم ملوك إسرائيل لعبادة بعل، أرسل الله إلى شعبه من جديد نبيًا عظيمًا، هو النبي إيليا ومنحه موهبة صنع المعجزات، ليُظهر استمرار وجوده إلى جانب شعبه. فكانت معجزة الدقيق والزيت (١ مل ١٧: ٧-١٦)، ومعجزة إحياء ابن الأرملة (١ مل ١٧: ١٧-٢٤)، ومعجزة إنزال نار من السماء على المحرقة، «ليعلم هذا الشعب أنك، أيها الرب، أنت الإله» (١ مل ١٨: ٣٨)، ومعجزة إنزال المطر من السماء (١ مل ١٨: ٤١-٤٦)، ومعجزة ارتفاع إيليا إلى السماء (٢ مل ٢: ١-١٣)؛ ثم عاد النبي أليشع، تلميذ النبي إيليا، وصنع هو أيضًا المعجزات. ففلق برداء إيليا مياه الأردن (٢ مل ٢: ١٤)، وحلّى ماء النبع (٢ مل ٢: ١٩-٢٢)، وأخرج دبّين من الغاب لقتل إثنين وأربعين صبيًا كانوا يهزأون به (٢ مل ٢: ٢٣-٢٤).

ويذكر أيضًا سفر دانيال معجزة إنقاذ دانيال من فم الأسود (دا ٦: ١٧-٢٥). وسؤال الملك داريوس لدانيال يوضح معنى المعجزة: «هل استطاع إلهك الذي تواظب على عبادته أن يُنقذك من الأسود؟» (دا ٦: ٢١). فالمعجزة هي دليل على وجود الله إلى جانب الذين يؤمنون به.

وتوجز معنى المعجزات في العهد القديم الآية التالية: «أي إله عظيم مثل إلهنا؟ أنت الإله الصانع العجائب وحده» (مز ٧٧: ١٤-٢٥). فالمعجزة هي دليل عمله الدائم في تاريخ الخلاص.

### ٣- معجزات يسوع المسيح

إنَّ المعجزات التي أجزاها الله في الخلق وفي العهد القديم قد بلغت اكتمالها في شخص يسوع المسيح وفي أعماله وفي قيامته.

فتكوين طبيعة يسوع البشرية كانت معجزة على مثال تكوين الإنسان الأوّل. فلدى الخلق الأوّل، يقول لنا سفر التكوين إنَّ «روح الله كان يرفرف على وجه المياه» (تك ١: ٢). وفي الخلق الجديد، يقول الملاك لمريم العذراء الذي تسأله: «كيف يكون لي ولد وأنا لا أعرف رجلاً؟» هو الروح القدس يحلُّ عليك، وقدرة العلي تظلللك؛ لذلك فالمولود منك قدوس وابن العلي يدعى» (لو ١: ٣٥).

ثم إنَّ المعجزات الكثيرة التي صنعها يسوع في حياته كانت هي أيضًا الدليل على

رسالته، وعلى حضور الله نفسه في شخصه. فلما أراد يوحنا المعمدان أن يتيقن من أن يسوع هو حقاً المسيح، أوفد إليه تلاميذه يقولون له: «أأنت الآتي، أم ننتظرُ آخر؟» فأجاب يسوع وقال لهم: «إذهبوا وبلّغوا يوحنا ما تسمعون وما ترون: إن العمى يبصرون، والعرج يمشون باستواء، والبرص يطهرون، والصم يسمعون، والموتى يقومون، والمساكين يبشرون. وطوبى لمن لا يشك في» (متى ١١: ٢-٦). وفي هذه المعجزات يتحقق ما وعد به الأنبياء: فأن يبصر العمى ويطهر البرص، ويسمع الصم، وينهض الموتى ويبشّر المساكين، تلك دلائل تنبأ بها أشعيا النبي عن مجيء المسيح، الذي يحل عليه روح الله، فيستطيع أن يقوم بأعمال الله (رج: أش ٣٥: ٥-٦؛ راجع أيضاً خطاب يسوع في مجمع الناصرة لو ٤: ١٦-٢٢). وبعد أن روى يوحنا معجزة قانا الجليل، قال: «تلك كانت أولى آيات يسوع، صنعها في قانا الجليل وأظهر مجده، فأمن به تلاميذه» (يو ٢: ١١).

لم تكن معجزات يسوع مجرد مشاهد خارقة تبهر الجموع. وقد رفض يسوع دوماً أن يعمل «آيات من السماء» (رج مر ٨: ١١-١٣؛ لو ١١: ٢٩؛ يو ٦: ٣٠). فالمعجزات إنما هدفها أن تحمل على التأمل وتقود إلى الإيمان. ومن ناحية أخرى العيون والآذان المؤمنة وحدها تستطيع أن تفقه ما يحدث في عمل يسوع (رج متى ١١: ٤-٦؛ لو ١٠: ٢٣-٢٤). هكذا عجائبه هي آيات توضح إرادة الله في الخلاص والفداء، وعلامات بأن ملكوت الله قد بدأ. «إذا كنت أنا يا صيغ الله أخرج الشياطين، فقد اقترب منكم ملكوت الله» (لو ١١: ٢٠؛ رج متى ١٢: ٢٨). فإقامة الأموات تُظهر إلى أعلى درجة قدرة الله التي كان أناس ذلك الزمان يرون عملها أيضاً في شفاء المرضى. وتسكين العاصفة على بحيرة جتيسارت (را: مر ٤: ٣٥-٤١) هو أعجوبة خلاص تُظهر قدرة العون الإلهي الحاضرة في شخص يسوع. وتكثير الخبزات، المزين بجملة زخارف، هو في الأساس أعجوبة عطاء، تضع نصب أعيننا وفرصة صلاح الله، وتوزيع خيراته، اللذين تجلّيا في مسيرة إسرائيل في البرية، ويتجلّيان اليوم أيضاً من خلال مسيحه بمشاركة يسوع الطعام مع التلاميذ والشعب (رج مر ٦: ٣٤-٤٤؛ ٨: ١-١٠). بذلك يتضح أن الله هو غالب المرض والألم والموت والشر. كما تتضح قدرة يسوع الإلهية وسيادته التي لم تزل محجوبة في حياته على الأرض. ويتبين أن قد تجلّى في يسوع «لطف الله ومحبة للبشر» (تيطس ٣: ٤).

وقيامة يسوع أيضاً كانت معجزة. «فقد أقامه الله ساحقاً قيود الموت» (أع ٢: ٢٤). ويصفها إنجيل متى كما توصف المعجزات الكبرى: «وإذا زلزالٌ شديدٌ قد حدث، لأن ملاك الرب قد نزل من السماء، وأتى ودحرج الحجر وجلس عليه» (متى ٢٨: ٢). وعندما يطلب اليهود من يسوع «آية من السماء»، يقدم لهم «آية يونان، أي موته وقيامته (رج متى ١٢: ٣٨-٤٠). وهذه القيامة، على غرار الحبل به، قد تمت بقدرة الروح القدس. وهي الدليل على وجود الله، وعلى تدخله تدخلًا خلاصيًا في تاريخ البشر.

#### ٤ - المعجزات في زمن الكنيسة

لقد وعد يسوع تلاميذه بأنهم سيصنعون معجزات مثله، وأعظم من تلك التي صنعها: «الحق الحق أقول لكم إن من آمن بي يعمل هو أيضاً الأعمال التي أعملها، بل يعمل أعظم منها لأني منطلق إلى الأب، وكل ما تسألونه باسمي أعمله لكي يتمجد الأب في الابن» (يو ١٤: ١٢-١٣). ذلك أن ملكوت الله الذي بدأه يسوع يستمر على مدى الزمن. ولأن المسيح حي في السماء، يبقى اسمه فاعلاً على الأرض: «ها هي ذي الآيات التي تصحب الذين يؤمنون: إن هم شربوا سماً قاتلاً فلا يؤذيهم، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون» (مر ١٦: ١٧-١٨). وهذا ما نقرأه في سفر أعمال الرسل. فعندما شفى بطرس الرسول مقعد الباب الجميل، قال له: «باسم يسوع المسيح الناصري، قم، وامش» (أع ٣: ٦). كما يروي سفر أعمال الرسل خبير معجزة إحياء فتاة من قبل بطرس الرسول في يافا: «طايثا، قومي!» (أع ٩: ٤٠)، على مثال إحياء يسوع ابنة يائير: «طليثا، قومي!» (مر ٥: ٤١).

ومن جهة أخرى، فالروح القدس الذي كان يسوع يصنع المعجزات بقدرة، قد أرسله يسوع إلى التلاميذ، وسبقي معهم إلى منتهى الدهر، هو الذي سيصنع أيضاً المعجزات بواسطتهم، كما يبين ذلك بولس الرسول إذ يذكر من بين مواهب الروح القدس موهبة صنع المعجزات، قائلاً: «فلقد وضع الله البعض في الكنيسة: أولاً رسلاً، وثانياً أنبياء، وثالثاً معلمين، ثم من أوتوا موهبة صنع العجائب، فمواهب الشفاء، فالإعانة، فالتدبير، فأنواع الألسنة. أليكون الجميع رسلاً؟ والجميع أنبياء؟ والجميع معلمين؟ والجميع صانعي عجائب؟ أليكون للجميع مواهب الشفاء؟ والجميع ينطقون بألسنة؟ والجميع يُترجمون؟» (١ كو ١٣: ٢٨-٣٠).

يذكر تاريخُ الكنيسة قديسين كثيرين أوتوا موهبةً صنع المعجزات . وهناك قديسون كثيرون لم يصنعوا معجزات . فمواهبُ الروح القدس متنوّعة، كما قال بولس الرسول، وبالتالي طرق القداسة أيضاً متنوّعة . فإذا وضعنا جانباً ما تكدّس على سير القديسين من زخرفات، لا يُمكننا أن نرفض وجود موهبة صنع المعجزات في الكنيسة . ولقد وضعت السلطةُ الكنسيّة اليوم قواعد شديدة للتأكد من المعجزات، وهي وحدها مؤهّلة لأن تقول بوجود معجزة ما في هذه الحالة أو تلك .

## ٥ - المعجزات في نهاية الزمن

كما بدأ الخلق بعمل عجيب من قبل قدرة الله، كذلك سينتهي بعمل عجيب من قبل قدرة الله الذي سيخلق أرضاً جديدةً وسماً جديدةً . ويصوّر الكتاب المقدّس نهاية العالم في صور مُرعبة كان لها باستمرار تأثيرٌ بالغٌ في مختلف الأزمنة : فالشمسُ والقمرُ يُظلمان، والكواكبُ تتساقطُ من السماء، وأبنيةُ العالم تنهار، والعناصرُ تنحلّ (رج مر ١٣ : ٢٤-٢٥ والإزائيين؛ ٢ بط ٣ : ١٠) . ويوضحُ القديس أوغسطينوس، بالإشارة إلى هذا القول : «الهيئة تزول، وليس الطبيعة» . ولذلك فالكلمةُ الأخيرةُ في الكتاب المقدّس ليست للقلق من الفناء، بل للرجاء بخلق جديد للعالم (رج متى ١٩ : ٢٨؛ رؤ ٣ : ٢١) . فالله أمينٌ تجاه خليقته . إنّ مجد الله الذي ظهر في الخلق وتاريخ الخلاص سيظهر ظهوراً نهائياً من خلال الأرض الجديدة والسماء الجديدة التي سيخلقهما . لذلك ينتهي سفرُ الرؤيا على وصف آخر معجزة يظهر فيها مجدُ الله وقدرتهُ الخلاقيةُ : «ورأيتُ المدينةَ المقدّسة، وأورشليم الجديدة، نازلةً من السماء، من عند الله، مهيأة كعروس مزينةً لعريسها . وسمعتُ صوتاً جهيراً من العرش، يقول : هوذا مسكنُ الله مع الناس؛ سيسكنُ معهم، ويكونون له شعباً، وهو الله معهم يكونُ إلههم؛ ويمسحُ كلَّ دموعهم من عيونهم؛ ولا يكون بعدُ موتٌ، ولا نوحٌ ولا نحيبٌ، لأنّ الأوضاعَ الأولى قد مضت . وقال الجالسُ على العرش : ها إني أجعلُ كلَّ شيءٍ جديداً» (رؤ ٢١ : ٢-٥) .

## خلاصة

« إنّ ما يرويه الكتاب المقدّس في كلا العهدين القديم والجديد، يطرحُ علينا اليوم

مشكلات كثيرة. لا بدّ أولاً من القول إنّ المفهوم السائد لدينا للأعجوبة، والمرسوم بما نعرفه من علوم الطبيعة، الذي يتساءل عن إمكانية خرق نواميس الطبيعة، هو غريبٌ عن الكتاب المقدّس. فنظرة الكتاب المقدّس هي نظرة إيمان بالله، الذي هو خالقُ العالم وسيّدُ التاريخ، والذي عو «عجيبٌ» في كلّ ما يصنعه، ولكنّه يستطيعُ أن يعلنَ قدرته في أعمال خارقة. أمّا كيف تحدثت تلك الأعمال، وما هي علاقتها بالعلل والقوى الطبيعيّة، التي يمكن أن يستخدمها الله، فالكتاب المقدّس لا يفكر في هذه الأمور، بحيث يبدو لنا تصوّره منافياً للعقل وساذجاً.

ويُضافُ إلى ذلك مشكلاتٌ تاريخيّة. فالمعجزات في الكتاب المقدّس تُروى بحسب الطرق الروائيّة المعهودة في ذلك العصر. وهكذا تتكدّسُ فوق هذه التصورات عدّة طبقات، تجعلُ فهمها عسيراً علينا: فهناك تفكيرٌ غريبٌ عنّا، له علاقةٌ بالطبيعة مختلفةٌ عن علاقتنا بها نحن اليوم، وهناك مفهومٌ آخر للروايات «التاريخيّة»، وطريقةٌ تصوّر أخرى لا تُبرزُ واقع الأحداث بقدر ما تُبرزُ نماذجَ عنها.

على الرغم من هذه الصعوبات، لا يجسرُ أي نقد تاريخي، وإن متشدّداً، أن يشكّ في أنّ أحداثاً خارقةً يصعبُ تفسيرها، ولا سيّما أشفية، قد جرت على يد يسوع. فغالباً ما تنطوي روايات الأشفية على معلومات دقيقة عن الأشخاص المعنيين مع الأسماء والظروف. فسعي الإنسان إلى يسوع، وصيتُ يسوع الذي ينتشر، وعجزُ مقاوميه الذين لا يستطيعون أن يُنكروا أعماله، وتقليدُ روايات المعجزات الذي قام حالاً بعد الفصح والذي يعود إلى زمن كان الذين عاينوا وسمعوا يسوع لا يزالون فيه على قيد الحياة: كلّ هذا لا يمكن تفسيره تفسيراً آخر. علمُ الطبيعة الحديث، في نظرتِه إلى الواقع، يقتصرُ عن قصد منه على ما في داخل العالم، ويتركُ جانباً مسألة الله. هذا له ما يبرره بالنظر إلى الشروط المنهجية التي تركزُ عليها علومُ الطبيعة. ولكنّ مشاهدة العالم من وجهة نظر نواميس الطبيعة هي إحدى الطرق، ولكنها ليست الطريقة الوحيدة لفهم الواقع. أمّا أن تُعتبرَ هذه النظرة مطلّقة، فهذا ما لا يمكن الإيمان أن يرضى به. الإيمانُ الحيّ بالله خالقُ السماء والأرض يفقدُ مضمونه، إن لم يُحسبَ أيُّ حساب لإمكانية وحقيقة تدخل الله على نحو خارق في الزمن والتاريخ. ومثل هذا الإيمان لا جدوى منه» (كتاب التعلّم المسيحي للبالغين، أساقفة ألمانيا، سنة ١٩٨٥، ص ١٥٤-١٥٥).

من هنا نستنتج ما يلي :

١ - الإيمان بالمعجزات في الكتاب المقدس لا يمكن فصله عن الإيمان بقدرة الله، وبأن الله قد أجرى المعجزات في الخلق وفي التاريخ بواسطة أنبيائه وبواسطة السيد المسيح، وأنه لا يزال يعمل اليوم بواسطة السيد المسيح الحي والحاضر معنا من خلال روحه القدوس . فمن يؤمن بالله لا يمكنه إلا أن يؤمن بإمكانية المعجزات على يد السيد المسيح، وعلى يد أنبياء الله وقديسيه .

٢ - المعجزة لا يمكن أن يقبلها إلا المؤمن، والمؤمن الحقيقي، أي الإنسان المنفتح على الله . لا يمكن القول إن المعجزة هي وحدها السبيل الذي يقود إلى الإيمان . فهناك حركة ديبالكتية بين الإيمان والمعجزة . فالمعجزة تفترض الإيمان إيماناً أولياً، أي انفتاحاً على وجود الله وعلى عمله في التاريخ . فالملحد المتحجر والمنغلق على نفسه لا يمكنه أن يرى في المعجزة أي علامة لوجود الله ولعمله في التاريخ . أما الملحد المنفتح على المطلق فيمكن أن يرى تلك العلامة الإلهية، ويصل بواسطة المعجزة إلى الإيمان؛ وكذلك المؤمن يمكن أن تقوي المعجزة إيمانه .

٣ - المعجزة تتوجه إلى حرية الإنسان . فالفريسيون وتلاميذهم رأوا المعجزات التي صنعها يسوع، ولكنهم لم يؤمنوا، كما آمن تلاميذ يسوع . لماذا؟ لأن التمسك بحرفية الناموس كان قد أعمى عيونهم، لذلك لم يستطيعوا أن يروا عمل الله في يسوع المسيح . لقد صار الناموس لديهم حاجزاً يمنعهم من الاتصال الشخصي الحر بالله . بقي يسوع يصنع أمامهم المعجزات مدة ثلاث سنوات، ومع ذلك جاؤوا إليه « يطلبون منه آية من السماء» . المعجزات التي صنعها كانت أعمالاً تتوجه إلى حريتهم، وإلى علاقتهم الشخصية مع الله . أما هم فطلبوا «آية من السماء»، أي عملاً خارقاً يزيل الحرية، ويرغمهم على القبول . وإلغاء الحرية هو بالفعل عينه إلغاء الإيمان، لأن الإيمان مبنياً على الحرية . عندما نرى الشمس مشرقة، نحن مرغمون على القول: الشمس مشرقة؛ لا حرية لنا في ذلك . أما عندما نرى معجزة، سواء كانت الكون كله، أو عملاً عجيباً فيه، نستطيع أن نقول: إن الكون كون نفسه بنفسه، أو أن نقول: هناك كائن مطلق قد كونه، وهو الله، ونحن نؤمن بالله وندخل في علاقة معه . وعن المعجزة يمكن أن نقول، كما قال الفريسيون: إنه ببعل زبول رئيس الشياطين يُخرج الشياطين؛ أو أن نؤمن بأن يسوع يُخرج الشياطين بقدرة الله، كما قال هو نفسه: «إذا كنت أنا بإصبع الله أُخرج الشياطين، فقد اقترب منكم ملكوت ملكوت»

الله» (لو ١١: ٢٠)، ونؤمن بيسوع وندخل به ومعه هذا الملكوت الإلهي. وإذا كنا نؤمن بأن المسيح حيٌّ في مجد الله وحاضرٌ معنا على الأرض بروحه القدوس، لا بد لنا من أن نؤمن أيضاً بأنه يستطيع أن يصنع اليوم أيضاً المعجزات بواسطة قديسيه الذين يمنحهم على الأرض موهبةً صنع العجائب. فالمعجزة تتوجه إلى حرية الإنسان، وتدعوه إلى الدخول في علاقة إيمان مع الله.

٤ - في قراءة روايات المعجزات التي يتضمنها الكتاب المقدس، يجب الجمع بين الإيمان بقدرة الله العجيبة القادرة على صنع المعجزات والفكر الناقد الذي يعرف أن يميز بين مضمون الرواية والأسلوب الذي وردت فيه. وهنا تكمن الصعوبة الحقيقية التي لا بد من الإقرار بها، والتي لا يزال مفسرو الكتاب المقدس يعالجونها، وقد اختلفوا فيها اختلافاً شديداً. فمنهم من يبقى، في تفسيره، قريباً من حرف الرواية، ومنهم من يميل بشدة إلى الرمزية، فيتعد عن حرف النص إلى حد أنه لا يُبقي شيئاً من الحدث التاريخي. هل من سبيل للتوفيق بين خذين الموقفين المتطرفين؟ نرجو أن يساعدنا هذا المؤتمر على استكشاف هذا السبيل بغية التعمق في فهم الطرق التي تعمل فيها قدرة الله في تاريخ الخلاص.

المطران

كيرلس سليم بسترس

## المعجزات في سفر الخروج

### مقدمة

ينبغي التمييز في العهد القديم بين الخوارق بالمعنى المجازي للكلمة، الوارد ذكرها خاصة في الكتب ذات الأسلوب التعليمي (يون، طو، القسم القصصي من أي، أم. دا ٦-١، ٢ مك، كما في أش ٣٧/٣٧-٣٧ و٧/٣٨-٨)، وبين المعجزات التي تظهر بقوة في وقتين أساسيين في تاريخ شعب الله، أي مع موسى ويشوع بن نون في مرحلة تأسيس شعب الله واستقراره، ثم مع إيليا وأليشاع في الزمن اللاحق.

طالت التوسيعات الأدبية التقاليد المتعلقة بالضربات العشر التي حلت بمصر، والمعجزات التي رافقت شعب الله في مسيره في الصحراء أولاً، وعند احتلاله أرض كنعان لاحقاً.

لا شك في أنّ ما دونه الكتاب الملهمون يتماشى مع ذهنية عصرهم، من حيث الأسلوب الأدبي الذي استعملوا، دون إغفال الهدف الديني الأساسي للقصة، ألا وهو أن الله حاضر أبداً مع شعبه، يحميه (يش ٤٢/١٧)، ويقود خطاه في انطلاقته ومسيرته. إن التقاليد التي تخبرنا عن معجزات الرب في سفر الخروج، بأسلوب ملحمي شيق، هي تعبير قوي عن تدخل الله لصالح مختاربه، من أجل أن يشبّتهم في انطلاقتهم كشعب هو خاصته، وبه يتمجد؛ فمن خلال المعجزات يظهر الله فاعلاً في التاريخ، يدعم بها نبيّه ناقل كلمته إلى الناس، ويشبّته في مهمته (خر ٤/١-٥؛ ١ مل ١٨/٣٦-٣٨؛ أش ٣٨/٧-٨؛ ار ٤٤/٢٩-٣٠)، ويُري بها الخلاص الذي يرمي إلى تحقيقه.

## سفر الخروج

هو ثاني أسفار التوراة، وهو إلى حدٍّ ما العمود الفقري للكتاب المقدّس، حتّى إنه يُسمّى «إنجيل العهد القديم»، لأنه يتضمّن «البشرى» بأن الله سيخلّص شعبه، ويحرّره، ويقدّسه. الكلام بحد ذاته عن هذا السفر أمر شيق جداً، لأنه، إذا كان سفر التكوين يُعنى في بداياته «بالخلق» بمعناه الطبيعي، فسفر الخروج يُعنى بخلق آخر «خلاصي»؛ فَمَع تحقيق الإخراج من مصر والتحرير، صار هناك «تكوين» جديد لشعب الله، بالمعنى اللاهوتي للكلمة. لذلك، فالمعجزات العديدة التي حفظ سفر الخروج ذكرها، هي ذات هدف «تكويني» و«خلاصي»، يسمح بأن يكون بنو إسرائيل شعب الله.

لقد أثر هذا السفر كثيراً في حياة شعب الله حصراً، وفي روحانية الكنيسة لاحقاً، واستلهمه العديد من الآباء القديسين، شرقاً وغرباً، في كتاباتهم، وتأمّلاتهم، ومواعظهم، واعتنق مبادئه العديد من المناضلين على الصعيد الاجتماعي في سبيل الحرية، والعدالة، والكرامة البشرية، فكان هكذا وسيبقى كنزاً ثميناً يشتهي اقتناه والاستقاء منه كلُّ منقاد بروح الله، قبل التجسّد الإلهي وبعده.

وعى اسرئيل وجوده كشعب انطلاقاً من حدث الخروج؛ وليُسمَح لي هنا باستعمال كلمة «إخراج» التي تدلّ على أن الفاعل هو الله، بواسطة موسى، بدلاً من كلمة «الخروج» حيث الفاعل هو الشعب. لذلك، فإنّ هذا الأخير يعتبر حدث الخروج أساس وجوده، وميثاقه، وهويته، لأنه قصةُ اختباره الأول لعمل الله الخلاصي؛ إليه تعود شرائع حياة شعب الله، ومعتقداته، وطقوسه، كونه الحدث التأسيسي والمرجع الأكبر في مسيرته، حتى مجيء المسيح وبعده. فعلى ضوء حدث الخروج قرأ بنو إسرائيل كلُّ الأحداث الكبيرة اللاحقة، ومنه عرفوا الكثير مما يتعلق بليتورجيتهم، وهو الذي كان يحثهم على الرجاء، وعلى الثقة بخلاص الله في أشدّ المحن قساوة. لذلك يمكن القول بأن بني إسرائيل قد اختبروا الله «مخلصاً» قبل أن يختبروه «خالقاً»، وهما الصفتان الأساسيتان في العهد القديم اللتان تختصران محبة الله للإنسان، وأنهم تعرّفوا إليه واكتشفوه عندما نالوا منه الخلاص في تاريخ معين، وفي مكان محدد، فكانوا الشاهد على تدخل الله الخلاصي لصالحهم كشعب من خلال التحرير ومواصلة العناية.

بكلمة وجيزة، يمكن اعتبار سفر الخروج بقطبيته، أي الإخراج من مصر وما استتبعه، والعهد في سيناء، سفر «تكوين» من نوع آخر.

يتضمن سفر الخروج موضوعين أساسيين، هما الأحداث والتشريعات، التي باستطاعتنا أن نتبينها من خلال أقسام السفر الثلاثة التالية:

- القسم الأول (١/١-٢٧/١٥): يروي الإخراج من مصر مع كل ما تبعه؛

- القسم الثاني (٢٢/١٥-٢٧/١٨): يرسم الحياة في البرية، في عبادة الله، وإعطاء العهد؛

- القسم الثالث (١٩-٤٠): يتضمّن عناصر مختلفة، ولكنها مرتبطة كلها بعهد سيناء.

يشكّل الإخراج من مصر، وإعطاء العهد في سيناء، حدثين رئيسيين في تكوين شعب الله، وتنظيم حياته الدينية والمدنية؛ منهما سيغثدي بنو إسرائيل، وإليهما سيعودون أبدأً. لذلك، فإنّ تدخل الله في حياة شعبه بالمعجزات والآيات، كما حفظه لنا سفر الخروج، سيتردد صدها في كل الكتاب المقدّس.

إذا استعرضنا مضمون سفر الخروج بنظرة شمولية، لوجدنا أن فيه، ومنذ البداية، مسلسلًا من المعجزات، بدءًا من دعوة موسى بالذات. حيث نتبيّن عمل الله في مشهد العليقة الملتهبة، مرورًا بكل الأحداث اللاحقة، وصولًا إلى برية سيناء. إنه يضيق بنا الوقت الآن للكلام عن كل المعجزات التي رافقت عملية التحرير التي شاءها الله والتي يضح بها سفر الخروج، لا بل كل الكتاب المقدّس؛ هذا ما يضطرننا في بحثنا إلى الانتقال من أجل التركيز والتعميق.

يحتل عمل الله لصالح شعبه حيّزًا هامًا بدءًا بمشهد العليقة الملتهبة، كما ذكرنا، رمز حضور الله، على جبل سيناء (حسب التقليديّين اليهودي والكهنوتي) أو حوريب (حسب التقليديّين الألوهيميّ والاشتراعيّ)، حيث أعلن عن هويته قائلاً: «أنا إله أبليك» (خر ٦/٣). نزل الله لينقذ شعبه بواسطة موسى، ووعد هذا الأخير بأن يكون معه (١٢/٣).

## ١ - عملُ إلهيٍّ عُشاريٍّ المعجزات

تنفيذًا لأمر الله، طلب موسى من فرعون السماح بأن يذهب الشعب مسيرة ثلاثة أيام ليذبح للرب؛ أمام رفض فرعون، تدخل الرب وضرب المصريين بواسطة المعجزات التي

جعلت هؤلاء يتراجعون عن رفضهم . تثبت هذه المعجزات ما كان موسى بحاجة إليه ، أن سلطة عليا تعطيه القدرة والحق في التكلّم إلى شعبه ، واقناعه بأنه مرسل من الله لتنفيذ عملية التحرير ، من جهة ، وتبيّن للفرعون ولسحرته أن إله العبرانيين متفوق على إله المصريين من جهة ثانية .

أما المعجزات التي حفظها سفر الخروج ، والتي تسبق الضربات العشر ، فهي التالية :

- الأولى (٤/١-٥) : العصا تتحول إلى حية ؛

- الثانية (٤/٦-٧) : اليد الصحيحة تصير برصاء ؛

- الثالثة (٤/٩) : ماء النهر يتحول دماً .

تسبق هذه المعجزات ما سيحلّ بمصر على يد موسى من ضربات . فتحويل ماء النهر إلى دم سيتم في الضربة الأولى (٧/١٤-١٩) ، وسيشكّل تحويل العصا إلى حية مقدمة لسلسلة الضربات ؛ أما اليد الصحيحة التي صارت برصاء ، فليس لها ما يقابلها في مسلسل الضربات .

ليست المجابهة الواقعة حتماً بين موسى وفرعون مصر ، بل هي بين إلهه وإله هذا الأخير . سيصنع سحرة الفرعون الأعمال العجيبة التي يصنعها موسى وهارون (خر ٧/١١ و ٢٢ ؛ ٣/٨) ، ومع هذا فإنّ الهزيمة ستلحق بهم ويسحرهم . وما المعجزات التي وهب لموسى أن يصنعها سوى بداية المجابهة بين الله ومصر ، كما أنها علامة حضور الله إلى جانب موسى .

تتوالى الأحداث التي نحن بصدها على الوجه التالي : على إثر تحويل هارون عصاه إلى حية ، حذا سحرة مصر حذوه ، فألقى كل واحد عصاه ، فصارت عصيهم حيّات ، فابتلعت عصا هارون عصيهم (٧/٨-١٣) . يلي ذلك مسلسل الضربات التسع ، أي : تحويل الماء إلى دم (٧/١٤-٢٥) ، الضفادع (٧/٢٦-١١/٨) ، البعوض (٨/١٢-١٥) ، الذباب السام (٨/١٦-٢٨) ، الوباء (٩/١-٧) ، القروح (٩/٨-١٢) ، البرد (٩/١٣-٣٥) ، الجراد (١٠/١-٢٠) ، والظلمة (١٠/٢١-٢٩) . أخيراً يعلن الله عن الضربة العاشرة ، وهي الإناء يموت أبقار المصريين (١١/١-١٠) . نذكر أن المصريين قد سبق واتخذوا قراراً بقتل أبناء العبرانيين الذكور (خر ١/١٥-١٦) .

إن تحويل العصا إلى حية في خر ٧/٨-١٣ (تقليد كهنوتي) هو تكرار لما سبق ذكره في خر ٤/١-٥ (تقليد يهوهي)، ولكن مع تغيير في الهدف: ففي المرة الأولى (خر ٤/١-٥) يصنع موسى المعجزة كي يقنع شعبه بأن الله قد تراءى له (٤/٥)، وفي الثانية يصنع هارون المعجزة وهو برفقة موسى، في حضرة الفرعون، ليؤمن هذا الأخير بقدرته إلههما، ولكي يثبتا له أنهما فعلاً مكلفان بالمهمة التي يقومان بها (٧/٨-١٣). إننا أمام صراع بين الله من جهة، والفرعون وسحرته من جهة ثانية، وستكون الغلبة بالطبع لله الكلي القدرة على الفرعون وسحرته المحدودي القدرة، مهما تعاضمت هذه الأخيرة وامتدت.

هناك نوعان من المقاربات لمسألة الضربات العشر (٧/١٤-١١/١٠):

- الأولى، وهي التي كانت سائدة لمدة طويلة، كانت ترى في هذه الحوادث أموراً فائقة الطبيعة، أي إنها نتيجة تدخل الله الكلي القدرة بشكل واضح ومباشر، من أجل أن يحقق تحرير شعبه.

- الثانية، وهي التي تستقطب حالياً إجماع مفسري الكتاب المقدس، ترى أن الضربات هي عوارض طبيعية تحدث في مصر سنوياً، أو أقله بشكل متواتر، عندما تعظم مياه النيل وتفيض خارج مجراها المألوف. ولثلاثاً يتهموا بنكران وجود يد الله في ما يجري، يسارع أصحاب هذا الرأي إلى التأكيد على دور العناية الإلهية في حصول العوارض المذكورة، من حيث قوتها ومفعولها، إذ إن الله هو المحرك لها من أجل تحقيق تصميمه الخلاصي، أي إطلاق العبرانيين. من ناحية ثانية يفسر القصص البيبلي كل ما يحصل على أنه إرادة الله.

إلى ماذا يرمي الكاتب من خلال الطابع العجائبي لهذه الأحداث؟

بفضل الوحي الإلهي، أدرك الكاتب العبري أن يهوه الكلي القدرة يمسك بقوى الطبيعة، ويستعملها لتحقيق مقاصده. وهكذا تصبح هذه القوى نوعاً من تجلي قدرة الله. لذلك كان الكاتب المذكور يرى في الظواهر الطبيعية غير العادية علامات عجائبية مصدرها يهوه بالذات. أفضل استعمال كلمة «يهوه» بدلاً من كلمة «الرب»، أو كلمة «ألهيم» أيضاً، من أجل تسهيل التمييز بين التقاليد المتضمنة في سفر الخروج.

لا يُدرج أيُّ من التقاليد كلَّ الضربات الواردة في سفر الخروج: فالتقليد اليهودي يتكلّم عن ثمانِي ضربات، والألوهيمي عن خمس، والكهنوتي أيضاً عن خمس، والثلاثة مجمعون على أوّل ضربة وعلى الأخيرة. كالمعتاد، تبدّل المصادر في مقاربتها: في التقليد اليهودي، يتدخّل الله مباشرةً عند كلمة موسى؛ في الألوهيمي، يعمل الله عندما يمد موسى عصاه؛ في الكهنوتي، يُبرّز تدخّل هارون الذي بيده العصا، ويظهرُ سحرة مصر الذين يضعون في الواجهة التعارضَ بين يهوه وبين آلهتهم. لقد نسّق جامع هذه المصادر بحنكة كبيرة المواد التي وجد، وذلك من أجل أن يضاعف طابعها المأساوي. لقد رأى هو أيضاً في هذه الحوادث المذكورة تعارضاً بين يهوه وبين الآلهة الوثنيّة، الأمر الذي سيؤكّد قدرة الله التي لا تخضع للمقارنّة.

لنستعرض مضمون الضربات العشر، كي نتيبّن هدف كل منها والطابع الخاص بها:

### الضربة الأولى: الماء يتحوّل إلى دم (٧/١٤-٢٥)

لا يهتم الكاتب بالتدقيق في الأمور، عندما يتكلّم عن تحوّل الماء إلى دم. فهو يخبرنا أن كل مياه مصر، وليس فقط مياه النيل، قد تحوّلت إلى دم. وذلك بهدف أن يُظهر أن لا أحد يمكنه أن يفلت من الضربة التي بها يعاقب الله، ليس فقط الإنسان، بل الطبيعة أيضاً، تماماً كما سبق وعاقب آدم، بعدما عاقب الأرض بسبب خطيئة هذا الأخير. إنّها إذا ضربة قاسية وموجعة تحلّ بالمصريين، من أجل أن يتنبهوا إلى حضور الله.

من المعروف أن مياه النيل تصبح إلى حدّ ما حمراء عند حصول الفيضانات الموسمية، وذلك بسبب ما تجرفه المياه من أتربة حمراء. لقد قرأ الكاتب في حدوث هذا الأمر تدخلاً إلهياً، لا سيّما وأن السمك، وهو مورد عيش أساسي في مصر، قد مات، فأتنت النيل، ولم يعد باستطاعة المصريين أن يشربوا منه. إنّ الحدث بحدّ ذاته غير هام، أمّا قراءته قراءة بيبليّة فهذا ما يعنينا في بحثنا وفي مرماته الأخير.

### الضربة الثانية: الضفادع (٧/٢٦-٨/١١)

كما حوّل الله مياه النيل إلى دم، أي أنه، بتعبير آخر، قد انتصر عليه، هكذا ستكون الضفادع رهن إشارته؛ فلقد ملأت البلاد كلها، حتى قصر فرعون بالذات. نتيجة لذلك،

أدرك هذا الأخير أن مصدر الآفة هو الله بالذات، وهو الذي يضع حداً لها؛ وهذا ما دفعه إلى طلب شفاعة موسى وهارون لدى الله. ينبغي هنا إضافة ملاحظة، وهي أن ظهور الضفادع بشكل كبير هو أمر مألوف ويتكرر سنوياً على إثر فيضان نهر النيل.

### الضربة الثالثة : البعوض (١٢/٨-١٥)

يعود سبب ظهور البعوض، كما الضفادع، إلى فيضان النيل الذي يسهّل تكاثر البعوض. المهم في هذه الضربة هو أن المعجزة لا تكمن في ظهور البعوض بحد ذاته، بل في توقيت حصول الضربة، أي بعد أن ضرب هارون تراب الأرض بعصاه، الأمر الذي يدلّ على أن كلمة الله هي التي فعلت.

### الضربة الرابعة : الذباب السام (١٦/٨-٢٨)

تبدو هذه الضربة وكأنها تكرر للسابقة. لكن هل نحن أمام ذباب عادي موجود في الشرق الأوسط عامة، أم أمام نوع معيّن من الذباب المؤذي؟ المهم هو أن هناك رمزاً يظهر من خلال تكاثر الذباب في أرض مصر، ومن خلال عدم دخوله أرض جاسان التي عليها يقيم شعب الله؛ فالضربة تطال حصراً المصريين. هذا يعني أن الله يقاصص هؤلاء، ويحمي شعبه من الأذى؛ فهو حاضر حيث شعبه حاضر، الأمر الذي سيجعل المصريين يدركون أن من يقسون عليهم هم شعب الله وخاصته. ومهم أيضاً هو ارتفاع الذباب عن مصر، تلبيةً من الربّ لتشفّع موسى.

هنا حصل العبرانيون على أوّل تنازل من الفرعون الذي وافق على أن ينطلقوا ليقدموا ذبائحهم للربّ، ولكن شرط ألاّ يتعدوا كثيراً في المسير، وذلك كي يبقوا ضمن حدود البلاد وتحت ناظري جيشه.

### الضربة الخامسة : موت المواشي (١/٩-٧)

تضرب يد الربّ بالطاعون الشديد مواشي المصريين، مع التمييز بين هذه وبين تلك التي للعبرانيين، والتي لا يموت منها واحد. مع هذا، لن يسمح الفرعون للشعب بأن يذهب إلى البرية لعبادة الله.

## الضربة السادسة : القروح (٩/٨-١٢)

رمى موسى الرماد، فتحوّل قروحاً في الناس والبهائم، وحتى في السحرة.

## الضربة السابعة : البرد (٩/١٣-٣٥)

تحلّ ضربة البرد بالمصريين دون العبرانيين الذين في أرض جاسان. إنه امتحان جديد للفرعون الذي يكتشف مرةً جديدة أن ليس لله من نظير. لقد أعطيت لمن شاء أن يسمع فرصة إيواء ماشيته وحمايتها من ضربة البرد. ينبغي هنا لفت النظر إلى التمييز بين شعب إسرائيل وبين المصريين، كما بين الذين يخافون الله وبين الذين لا يخافونه؛ هذا يعني أن الله يخلص أيضاً من ليسوا من خاصته، إذا ما كانت مخافته في قلوبهم.

## الضربة الثامنة : الجراد (١٠/١-٢٠)

يُعتبر الجراد في العهد القديم عقاباً جذرياً ينزله الله حيثما دعت الحاجة (راجع ١٧/٢-١٠/٣؛ ناح ١٥/٣؛ يوء ١-٢)، أي أنه يساوي العودة إلى العدم وإلى اللاحياة.

سيقضي الجراد، بشكل لا سابق له، على ما تبقى من النبات والزرع بعد ضربة البرد. العنصر الجديد هنا هو موقف رجال الفرعون الذين ينصحون ملكهم بأن يطلق بني إسرائيل، وذلك بعد أن أدركوا أن مصر قد خربت، ومع هذا لن يصغي إليهم.

ملفت للنظر هو مضمون الآية الثانية حيث للمعجزات دور تعليمي لبني إسرائيل: «ليعلموا أن الله هو الرب»، فلا ينسوه من بعد أبداً على مدى أجيالهم.

## الضربة التاسعة : الظلام (١٠/٢١-٢٩)

يتفق الشراح على القول بأن عواصف رملية قوية تواكب رياح الخمسين، إلى حدّ أنها تحجب نور الشمس، فيشعر المرء أنه أمام نوع من الظلام الحقيقي. لقد دامت الظلمة ثلاثة أيام في كل أرض مصر. المهمّ في هذه الضربة هو أن الرياح المذكورة تخضع لإرادة الله، فتطيعه، وتحجب نور الشمس عن الأرض، باستثناء مكان إقامة العبرانيين.

يمثّل النور الحياة النابعة من حقيقة عبادة الله، وأمّا الظلمة التي حلّت بالمصريين، فهي ظلام الوثنية الموازي للموت.

## الضربة العاشرة : موت أبكار مصر (١١/١-١٠)

ستجلب هذه الضربة الموت على أبكار المصريين، ومن بينهم بكر الفرعون.

إنّ ضربات مصر العشر هي «علامات» خلاص حقيقية من قبل الرب، ومرحلة من مراحل الصراع المتواصل بين الله، الإله الحق، وبين فرعون مصر وألّهته.

لا بدّ للضربات هذه من أن تبعث في نفس بني إسرائيل الإيمان بالله وبقدرته، وبأنه يحقّق مواعيده، فيخلص شعبه، ويضرب أعداءهم. وهكذا تمثّل صورة واضحة عن انتصار الله، كما أدّت بالتالي إلى انتقال الشعب من العبوديّة إلى الحرّيّة، حرّيّة العيش مع الله.

تهدف هذه الضربات إلى تبيان العقاب الذي يحلّ بمن يقاوم إرادة الله؛ حتّى شعب إسرائيل نال جزاءه عندما حاول أن يقاوم موسى المرسل من الله، فحلّت به الضربات القاسية في الصحراء، لأنه كان يقاوم الله بالذات. لقد لحق ما لحق بالمصريّين لأنهم رفضوا أن يسمحوا للعبرانيّين بالانطلاق لعبادة الله. وترمي المعجزات أيضاً إلى إظهار قدرة الله أمام المصريّين وسحرتهم، وبطلان سحر هؤلاء، بالرغم من نجاحهم في صنع المعجزات، كما هارون؛ ولكن عصا هذا الأخير التي تحوّلت إلى حية قبل تحوّل عصي هؤلاء أيضاً، قد ابتلعت حياتهم.

أمّا الكلام في هذا الإطار عن قساوة قلب الفرعون، فيهدف إلى إيصال رفض الطاعة لله إلى أقصى حد، كي يتغلّب الله أخيراً، ويحطّم الشر برمته، ويكون انتصاره مدوياً ونهائياً.

## ٢ - عبور البحر الأحمر

نصل الآن إلى معجزة عبور شعب الله البحر الأحمر، التي بقيت محفورة في ذاكرة بني إسرائيل، والتي شكّلت للكنيسة مصدر غنى روحي كبير، خاصة من حيث اعتبارها عبوراً روحياً من حال الخطيئة إلى حال النعمة، ومن العبوديّة إلى الحرّيّة.

فوجئ بنو إسرائيل الفارّون بالجيش المصري يطاردهم؛ مع هذا، وعلى نقيض مشاعرهم المبلبلة والمضطربة، فإنّ الله الذي أجرى المعجزات كي يخرجهم من مصر، لم

يتركهم لقمة سائغة في فم أعدائهم، بل نجّاهم بتدخل عجيب، فعبروا البحر كما على اليابسة، وأطبقت المياه على جيش الفرعون وأبادته. يشكّل هذا الحدث ختام العبودية في مصر، وبدءاً لمرحلة تكوين شعب الله المحرّر، وعبوراً نحو الحرية ونحو الاستعداد لتلقي العهد في سيناء.

في الرواية عناصر عدة تُبرز تدخل الله؛ فملك الربّ ينتقل من أمام بني إسرائيل إلى ورائهم ليحميهم من المصريين (١٤/١٧-١٩)، والهواء الشرقي يجعل طريق البحر كاليابسة (٢١/١٤)، ويد موسى تفصل المياه عن بعضها ثم تعيدها كما كانت (٢٠/١٣-١٤/٤)؛ هذه العناصر الثلاثة هي مزيج من التقاليد الألوهيمية، واليهوية، والكهنوتية. أما عمودا الغمام والنور اللذان يرمزان إلى حضور الله، فهما يقودان الشعب في الاتجاه الذي يشاءه الله في المسير خلال البرية.

أهمّ ما في حدث العبور وفي الترحال في البرية، هو حضور الله، كما أن الأمر هو هكذا منذ دعوة موسى، وصولاً إلى جعل الفرعون يقسّي قلبه، فيألى ببلبله عسكري المصريين، ثم شقّ البحر بالريح الشرقية ليعبر الشعب، وإعادة إطباقه على المصريين.

تُعتبر معجزة الله لتخليص شعبه عند البحر الأحمر عنصراً أساسياً في إيمان بني إسرائيل، لذا سيدوي صداها في مجمل كتب العهد القديم، وسيرى فيها التقليد اليهودي «علامة» لحضور الله الكلي القدرة، الذي لا يحرّر شعبه فقط ويتقّده، بل ينشئه بالمعجزات، ويربّيه بها، ويجعله ينمو في إيمانه.

أما المعجزة الثانية التي تدلّ على حضور الله، وعلى اعتناؤه بشعبه، فهي ظهور الغمام والنور، الأوّل ليحجب الشمس في النهار فلا تؤذي بني إسرائيل، والثاني كي يتمكنوا من السير في طريق آمن ليلاً. للغمام دلالة أساسية في العهد القديم، هي تجلّي الله وتنازله ليصبح قريباً من شعبه. وإذا أردنا أن نوجز مدلولات الغمام نقول بأنه:

- علامة مجيء الربّ أو حضوره أو مجده (كما عند تجلّي الرب يسوع)؛
- موجّه للشعب خلال مسيرته في البرية؛
- يؤمّن الظلّ للحماية من الشمس الحارقة، دون أن يحجب النور بالتمام.

كل هذه الأحداث هي معجزات متواصلة، تصب بمجملها في اتجاه معيّن؛ فهي موجّهة لصالح العبرانيين، ولكنّها، في الوقت عينه، هي ضد أعدائهم المصريين؛ كما أن هناك أموراً أخرى تهدف إلى دعم عملية التحرير ومواصلتها، كالتغذية في البرية، أو قيادة الله لشعبه عبر عمودَي الغمام والنور وغيرهما.

### ٣ - المعجزات في الصحراء (١٥/٢٢-٢٧/١٨)

يكفي أن نقول «الصحراء» لنذكر أن الحياة فيها ليست بالأمر السهل، إن لم تكن مستحيلة؛ فكم بالاحرى إذا كان هناك شعبٌ بكامله يحتاج إلى الماء والغذاء في تلك الأماكن المقفرة والجذباء! من هنا، تستوقفنا أحداث عدّة في هذه المرحلة، هي المعجزات التي تدلّ على مدى العناية الإلهية، وهي التالية:

- تحلية مياه «مارة» (١٥/٢٢-٢٧)؛

- انزال المن والسلوى (١٦/١-٣٦)؛

- اخراج المياه من الصخر (١٧/١-٧).

إنّ الله الذي حرّر شعبه من استعباد المصريين له، وأخرجه من أرض فيها خيرات كافية لإطعامه، لن يدع هذا الشعب تحت رحمة الصحراء التي توازي العدم من حيث ندرة مواردها. إذا كان الله قد اختار الصحراء لشعبه، من أجل أن يطهره وينقيه، فهذا لا يعني أنه سيدعه تحت رحمة الجوع والعطش؛ وما تدخله سوى برهان على أبوته، ورعايته، وعنايته.

### خاتمة

تسبق المعجزات، التي استعرضنا بالإيجاز، الكلمة التي هي أهمّ من هذه الأخيرة، لأنها تنقل إرادة الله التي تفوق التنفيذ المادي حصراً، ولأنّه، في البدء، كانت الكلمة قبل التكوين. هكذا يمكننا اعتبار المعجزة تجسيداً للكلمة، وبين الاثنين تواصل جوهري. من هنا ضرورة التمييز في عالم المعجزات بين ما هو من الله، وبين ما هو من عمل السحرة: لقد نجح هؤلاء في صنع المعجزات عندما حوّلوا عصيهم إلى حيّات، ولكن هذه لم تصمد أمام حياة هارون التي ابتلعها؛ هذا يعني أن بإمكان بعض الناس التلبّس بمظهر القدرة

الخارقة، الأمر الذي قد يعمي بصائر الناس؛ وما يجعل هذا التضليل قابلاً للنقض والدحر، هو الكلمة التي تتضمن الحقيقة التي من عند الله؛ إنها إذاً المقياس الذي لا غنى عنه لمعرفة مصدر القوة التي صنعت المعجزة، وهدفها، وأبعادها.

لنقرأ ما يقوله سفر الخروج في هذا المجال:

«مَنْ مثلك، يا رب، في الآلهة؟»

مَنْ مثلك جليلُ القداسة، مهيب المآثر، صانع العجائب؟» (خر ١٥/١١).

نجد صدى لهذا الكلام في سفر المزامير عن قدرة الرب العظيمة:

«مَنْ الذي يحدث بمآثر الرب، ويُسمع تسبحة كلها؟» (مز ١٠٦=٢/١٠٥).

باختصار نقول: ليس سفر الخروج حدثاً يخص التاريخ وحسب، بل حدث يتردد صداه في كل تاريخ شعب الله. هذا ما جعل الأجيال اللاحقة تقرأ ما حفظه لها هذا السفر، وتأمل فيه وتعتبره، وتتخذ بمنزلة المرجعية الصالحة لعيش متحررّ أبداً من العبودية بهدف العيش على أنها خاصة الله، وليس فقط من أجل «تكوين» ذاتها كأمة مختارة ومميّزة. هكذا يصبح للمعجزة في سفر الخروج دوران: «تكويني» و«تخليصي»، بهما يتجلّى عمل الله الكليّ القدرة والمحبة.

الأب أيوب شهوان

## المعجزات والآيات في دورة إيليا وأليشاع\*

### التصميم

#### المقدمة .

- ١ - الإطار التاريخي .
- ٢ - الإطار الأدبي لدورة إيليا (١ مل ١٧-٢ مل ١٨:٢) وأليشاع (٢ مل ١٩:٢-٢ مل ١٠) .
- ٣ - تصميم كتاب دورة إيليا (١ مل ١٧-٢ مل ١٨:٢) .
- ٤ - التوزيع البلاغي لدورة إيليا النبي (١ مل ١٧-٢ مل ١٨:٢) .
  - أ - جدول المقارنات .
  - ب - التوزيع البلاغي المحوري .
  - ج - دورة إيليا، وحدة أدبية متكاملة .
- ٥ - معنى لاهوت معجزة جبل الكرمل (١ مل ١٨: ١٧-٤٠) بالمقارنة مع الحرب الآرامية (١ مل ٢٢: ١-٣٨) .

---

\* مع تشديد على معجزة جبل الكرمل (١ مل ١٨: ١٧-٤٠) بالمقارنة مع الحرب الآرامية (١ مل ٢٢: ١-٣٨) .

- أ - معجزة جبل الكرمل (١ مل ١٨: ١٧-٤٠).
- ب - الحرب بين آرام وإسرائيل (١ مل ٢٢: ١-٣٨).
- ج - مقارنة بين معجزة الكرمل والحرب بين آرام وإسرائيل.
- د - المعنى واللاهوت.

- ١ - المقدمة.
  - ٢ - الدافع والعقدة.
  - ٣ - دور الملك والنبّي.
  - ٤ - النبيّ والشعب.
  - ٥ - مرحلة انتقال المواجهة من النبيّ - الشعب إلى النبيّ - أنبياء بعل.
  - ٦ - النبيّ وأنبياء البعل.
  - ٧ - صمت البعل أمام أنبيائه.
  - ٨ - تدخّل النبيّ من أجل الشعب.
  - ٩ - قوة النبيّ في تجاوز الشعب.
  - ١٠ - قوة النبيّ في حضور الشعب.
  - ١١ - شهادة الشعب على عمل النبيّ.
  - ١٢ - النبيّ يرفع صلاته أمام الربّ.
  - ١٣ - النبيّ يُجذّر النبوءة في حدث تاريخي.
- الخاتمة.

إنّ النصوص الكتابية لا تُفصل عن البيئة التي كُتبت فيها. وبالتالي لا يمكن لأيّ مفسّر أن يصل لاستنتاجات واقعية ونوعاً ما مضمونة، إلا إذا جذر النصّ الكتابي في واقعه التاريخي.

نبدأ دراستنا إذًا بالإطار التاريخي محاولين ربط النصّ بالأحداث التاريخية التي عاشها النبيّ إيليا وأليشاع ومعاصروهما. كما وأنّه لا يمكننا نزع النصّ من إطاره الأدبي لأنّ الكاتب اعتمد وضعه في مكانه الحالي لأسباب لاهوتية وأدبية معاً. لذلك سوف نعالج وضع دورة إيليا (١ مل ١٧-٢ مل ٢) ودورة أليشاع (٢ مل ١٩:٢-١٠:٣٦) نسبة لوضعهما الأدبي. وبما أنّ الوقت لا يسمح لنا بمعالجة الأعاجيب بمجملها، سوف نتطرّق لأعجوبة واحدة، ولدورة واحدة، ألا وهما أعجوبة جبل الكرمل (١ مل ١٨: ١٧-٤٠)، ودورة إيليا النبيّ.

أما بالنسبة لطريقة المعالجة، فهي تركز على التحليل البلاغي الذي يأخذ منحى التوازي بين الوحدات الأدبية التي تتشكّل منها الدورة. لذلك، إنّ دراسة أعجوبة الكرمل، تحتمّ علينا مقارنتها مع الحرب بين آرام وإسرائيل (١ مل ٢٢: ١-٣٨). وتعيننا هذه المقارنة أولاً: على اكتشاف المراحل التي تُبنى عليها الأعجوبة. وثانياً: على رؤية وجهات النظر اللاهوتية التي اعتمد الكاتب إدخالها في هذا النصّ.

## ١ - الإطار التاريخي

بعد موت الملك سليمان (٩٣٠ ق.م.)، استمرت الأزمة بين الشمال والجنوب، حتى استولى الملك عمري (٨٨٥ ق.م) على السلطة في الشمال. خلف آحاب الملك عمري الذي كان ذا شخصية مميّزة طبعت الشعوب المجاورة، ودعت آشور إسرائيل في ذلك الوقت بعبارة «أرض عمري».

بالواقع، كان باستطاعة مملكة الشمال أخذ المبادرة من ناحيتها بهدف تحقيق الوحدة بين المملكتين لولا أنّها اصطدمت في بادئ الأمر بالقوات الآرامية، ومن ثمّ بالأشورية من الخارج، ويعناصر كنعالية كانت دائماً موجودة في داخل أرضها.

بنى الملك عمري عاصمة السامرة على أرضٍ اشتراها من الكنعانيين، لذلك احتكم

كرجل سياسي بطلب المساعدة من الفينيقيين كي يعزز قوته العسكرية . فعقد عهداً جسده بزواج ابنه آحاب من إيزابيل ابنة ملك صور إتوبعل . وعندما استلم آحاب الحكم (٨٧٤ ق.م.) ، اعترف يهوذا بعظمة إسرائيل وعقد صلحاً معه جسده بزواج ابن الملك من عثليا ابنة الملك آحاب . خلقت كل هذه الأحداث والعلاقات الغريبة توتراً ضمن الديانات المتواجدة على أرض واحدة بين المؤمنين بالله من جهة ، والكنعانيين الذين أصبحوا أقلية بعد موت الملك داود من جهة أخرى . فاستغل الكنعانيون العهد مع الفينيقيين ، واعتبروهم شركاء جدداً يساعدونهم على تثبيت أرجلهم في الأراضي الإسرائيلية . أراد آحاب التخفيض من حدة هذا التوتر فخلق نوعين من الإدارة : الأولى إقطاعية بعلية مقدسة تهتم بالإصلاح الزراعي في السامرة . والثانية يهوية على أرض يزرعيل . أما جبل الكرمل الذي أعيد إلى فينيقية بعد موت سليمان والذي تأثر كثيراً بالديانة البعلية ، فسيلعب دور الدافع الأساسي لإحياء مثل هذا التوتر بين الديانتين اليهودية والبعلية .

لن يقوى ذكاء سياسة السلالة العمرية على الثبات أمام هذا التوتر . أمرض آحاز بن آحاب (٨٥٣-٨٥٢) ، فخلفه يورام (٨٥٢-٨٤١) الذي بمواجهته لموآب وآرام وآشور ، حضر الأرض لثورة ياهو (٨٤١) . رسخ هذا الأخير سلطته بوضع خطة تنهي وجود الصراع الديني الذي ورثه عن خلفائه إن في الشمال وإن في الجنوب . وأزال بذلك كل ما بقي من مخلفات آحاب .

## ٢ - الإطار الأدبي لدورة إيليا (١ مل ١٧-٢ مل ٢ : ١٨) وأليشع (٢ مل ٢ : ١٩-٢ مل ١٠)

تعالج هذه المجموعة الروائية الخلاف بين الأنبياء والملك (١ مل ١٧-٢ مل ١٠) . جمعت عدة أخبار نبوية ألحقت بتاريخ الملوك الذين ملكوا في هذه الفترة : فكوّنت مجموعتين : تمحورت الأولى حول النبي إيليا (١ مل ١٧-١٩ : ٢١ ؛ ٢ مل ١) ، أما الثانية فكانت حول أليشع (٢ مل ٢ : ١-٩ : ١٠) .

جاءت قصة ميخا بن يملا (١ مل ٢٢ : ١-٢٨) في نهاية تاريخ آحاب (٢٢ : ٢٩-٤٠) بالإضافة إلى معلومات جديدة عن ملوك آخرين (٢٢ : ٤١-٥١ و ٥٢-٥٤) ، ومن ثم مجموعة من الأخبار النبوية في (١ مل ٢٠) .

أما نهاية دورة أليشاع فكانت بداية لتاريخ ثورة ياهو (٢ مل ٩: ١١-١٠: ٢٦) حيث ستتم النبوءات (٩: ٢٥؛ ١٠: ١٠ و ١٧).

بالواقع، يسيطر على تاريخ إيليا بشكله الحالي المواجهة بين النبي والملك آحاب. وهو مرتبط بمحتوى قصة كرم نابوت (١ مل ٢١)، وبإطار الفصل ١٧ حيث الجفاف والجوع (١٧: ١-٧؛ ١٨: ٨-١٦ و ١٧-٢٤)، وبخبرين عجائبيين أدخلوا ضمن هذا الإطار (١٧: ٨-١٦ و ١٧-٢٤)، وبخبر آخر ذي طابع أسطوري ألا وهو معجزة الكرمل (١٨: ٢١-٤٠) حيث فُرض الاختيار بين «يهوه أو البعل؟». وهنا نلاحظ عدم وجود آحاب في المواجهة. كانت امرأة آحاب الملك، العدو الأكثر خطورة للنبي إيليا (آ ١) خاصة في خبر ظهور الربّ عند جبل حوريب (١٩: ١-١٨) مع دعوة أليشاع (آ ١٩-٢١). أما في ٢ مل ١، فنلاحظ وجود آحاز بن آحاب. حتى ولو تغيّر الأعداء، يبقى الخلاف المهيمن ذا طابع ديني، وقد أعطى لتاريخ إيليا وقعاً مميزاً.

يسيطر على تاريخ أليشاع صورة صنع المعجزات (٢ مل ٤: ١-٧ و ٨-٣٧)، التي تتوازي بشكل صاعق مع ١ مل ١٧: ٨-١٦ و ١٧-٢٤. وتتوالى المعجزات ضمن إطار ضيق ملفت للنظر. ويأخذ البعض منها الطابع العسكري والسياسي (٢ مل ٣: ٦؛ ٨: ٧-٢٠). ونراه مثلاً يمارس دوره السياسي أيضاً في ٨: ٧-١٥ و ١٣-: ١٤-١٩، ومساعدته في إنجاح ثورة ياهو. وأثر بتدخله على التطورات التاريخية والسياسية لمملكة الشمال. تبقى شخصية أليشاع مميزة بالمقارنة مع صورة إيليا.

نستنتج من خلال ما ورد، أنّ الأعاجيب أدخلت ضمن إطار تاريخي أعطت للكلمة النبي سلطة حولتها تغيير مجريات الأحداث، وإظهار قوة الله وحضوره الفعّال في حياة الشعب.

وبما أنّ الوقت غير كاف لدراسة الأعاجيب الواردة في الدوريتين، سنكتفي بدراسة أعجوبة واحدة ضمن دورة واحدة تكون بمثابة الصورة المثال التي ستساعدنا على رؤية النقاط البارزة في الأعاجيب الأخرى.

### ٣ - تصميم كتاب دورة إيليا (١ مل ١٧ : ١-٢ مل ٢ : ١٨)

اعتمد الكثير من شراح الكتاب المقدّس على التصميم المبني على المميّزات الأدبيّة،

من إنشاء، وكتابة، ومضمون وغيرها... في جمع النصوص ضمن وحدات أدبية مستقلة. تشكل بعض هذه الوحدات سلسلة تفرّقها عن سلاسل أخرى، وهي تضم مجموعة من نصوصٍ تتمحور حول مواضيع قائمة بحدّ ذاتها.

يُشكّل كتاب دورة إيليا سلسلتين:

### \* السلسلة الأولى

أ - جفاف وشتاء (١ مل ١٧: ١؛ ١٨: ١١-أ٢ و ١٧ و ١٧-٤٦).

ب - التحديّ على جبل الكرمل (١ مل ١٨: ١٩-٤٠).

ج - ظهور الله على جبل حوريب (١ مل ١٩: ٣ب و ٨ب و ٩-١٣).

د - دعوة أليشع (١ مل ١٩: ١٩-٢١).

هـ - موت نابوت (١ مل ٢١: ١-٩ و ١١-٢٠ب).

و - آحاز عند بعل - زبول (٢ مل ١: ٢-٨ و ٧أ).

لم يتعرّض إيليا في هذه السلسلة لأي اضطهاد لا من آحاب، ولا من إيزابيل. أما العلاقات بين الملك والأنبياء، فهي غير متناقضة مع باقي الأخبار الملكية.

### \* السلسلة الثانية

أ - طعام على ضفاف نهر كريت (١ مل ١٧: ٢-٦).

ب - طعام في صرفت صيدا (١ مل ١٧: ٧-١٦).

ج - قيامة في صرفت صيدا (١ مل ١٧: ١٧-٢٤ و ١٨: ١أ).

د - لقاء مع عوبديا (١ مل ١٨: ٢ب-١٦).

هـ - تعزية الملاك للنبي إيليا (١ مل ١٩: ٤-٨أ).

و - العثور على إيليا (٢ مل ١: ٩-١٦).

تتمحور هذه السلسلة حول اضطهادات تعرّض لها النبيّ إيليا، وحول مساعدات مصدرها الله نفسه.

إذا قابلنا السلسلتين معاً في الإطار التاريخي والأدبي اللذين وردا فيه سابقاً، نلاحظ تناغم السلسلة الأولى مع الأحداث التاريخية لأنّها تساعد على ربط الأمور بعضها ببعض، وتبرز هدف رسالة إيليا الكامنة في نزع تردّد الشعب بأخذ قراره (الله أم البعل؟) (١ مل ١٨: ١٩-٤٠). وبالتالي، فإنّه يسعى ليؤكد على أنّ الأرض تخصّ أهل إسرائيل: «نابوت» (١ مل ٢١: ٨-٩ و ١١-٢٠ ب) ليس الكنعانيين، وللمحافظة على إيمان الملك: «آحاز عند بعل زبول» (٢ مل ١: ٢-٨ و ١٧ أ). وبالختام لتأمين استمرارية رسالته بدعوته لأليشع. ولقائه بالله في حوريب هو مصدر وسلطة رسالته الأساسيين (١ مل ١٩).

تُظهر السلسلة الثانية عمل الله في حياة إيليا، وهي تحمل طابع الأعاجيب والمعجزات من أجل التأكيد على ما هو عليه. حماه الله من الجفاف (١ مل ١٧: ٢-٦). وأجرى على يده المعجزة (تكثير الدقيق والزيت وقيام ابن الأرملة، ١ مل ١٧: ٧-٢٤)، كي يكشف للقارئ هويته النبوية: «رجل الله» كما فعل مع قوآد الملك حين أكد لهم على ذلك (٢ مل ١: ٩-١٦). وما حضور الملك، وتأمين الطعام له، إلا لإبراز رحمة الله تجاهه، وحضوره المستمر معه كي يتم رسالته إلى النهاية.

#### ٤ - التوزيع البلاغي لدورة إيليا النبيّ (١ مل ١٧-٢ مل ٢ : ١٨)

عند اعتمادنا القراءة البلاغية لدورة إيليا بكاملها، نلاحظ أن النصوص موزعة بشكل ملفت للنظر إذ إنّها تشكّل وحدة أدبية متكاملة بموضوعها وبتربيتها. فالدورة مقسّمة إلى وحدات أدبية عديدة تتوازي في ما بينها توازياً محورياً ينطلق من الأطراف كي يُبكّل في النهاية المركز الذي تتمحور حوله الدورة بكاملها. وستظهر الوحدات المتوازية من خلال جدول المقارنات والتعالييل والتوضيحات اللازمة وهو التالي:

١ مل ١٧: ٨-٢٤ (معجزتان: تكثير الزيت والدقيق + إحياء ابن الأرملة).

+ هاءنذا أقش عودين لآتي وأعمله لي ولابني لتأكله ثم نموت (١٢)

## أ - جدول المقارنات

<p>٢ مل ١:٢-١٨ (إصعاد الربّ لإيليا في العاصفة)</p> <p>+ «حيّ هو الربّ وحيّة هي نفسك» (٢و٤و٦)</p> <p>+ لأنّ الربّ قد أرسلني إلى الأردن (٦) ووقف كلاهما بجانب الأردن (٨) ورجع ووقف على شاطئ الأردن (١٣)</p>	<p>١ مل ١٧:١-٧ (الإعلان عن الجفاف)</p> <p>+ حيّ الربّ إله إسرائيل (١)</p> <p>+ عند نهر كريت مقابل الأردن (٣ و ٥)</p>
<p>٢ مل ١:١-١٨ (وفاة الملك أخزيا والعشور على إيليا)</p> <p>+ إنّ السرير الذي صعدت عليه لا تنزل عنه بل موتاً تموت (٤و٦و١٦و١٧)</p> <p>+ وسقط أخزيا من الكوة التي في عليّته</p> <p>+ السرير (٤و٦و١٦و١٧)</p> <p>+ فقال له يا رجل الله الملك يقول انزل (٩و١١و١٣)</p> <p>+ فمات حسب كلام الربّ (١٦)</p>	<p>١ مل ١٧:٨-٢٤ (معجزتان: تكثير الزيت والدقيق + إحياء ابن الأرملة).</p> <p>+ هاءنذا أقش عودين لآتي وأعمله لي ولابني لتأكله</p> <p>+ ثم نموت (١٢)</p> <p>+ هل جئت لتذكيري بإثمي وإماتة ابني (١٨)</p> <p>+ وصعد به إلى العلية (١٩ و ٢٣).</p> <p>+ وأضجعه على سريريه (١٩)</p> <p>+ هذا الوقت علمت أنّك رجل الله (٢٤).</p> <p>+ إحياء ابن الأرملة (انظري ابنك حيّ) (٢٢و٢٣)</p>
<p>١ مل ٢٢:٣٩-٥٣ (سيرة الملوك في يهوذا وإسرائيل)</p> <p>+ إذ عمل المستقيم في عيني الربّ (٤٣)</p> <p>+ وسار في كل طريق آسا أبيه (٤٣)</p>	<p>١ مل ١٨:١-١٦ (إيليا وعوبديا)</p> <p>+ وكان عوبديا يخشى الربّ (٣ و ١٢ب)</p> <p>+ فذهب آحاب في طريق واحد وحده (٦)</p>
<p>١ مل ٢٢:١-٣٨ (ميخا بن بئمة وأنبياء آحاب)</p> <p>+ أصغى الربّ لميخا وأثبت كذب أنبياء آحاب</p> <p>+ الملك لم يؤمن.</p>	<p>١ مل ١٧:١٨-٤٠ (إيليا وأنبياء البعل التابعين لإيزابيل على جبل الكرمل)</p> <p>+ أصغى الربّ لإيليا وأثبت كذب الأنبياء والبعل</p> <p>+ الشعب آمن</p>

١ مل ١٨ : ٤١-١٩ : ١٩ (أرسلت إيزابيل تهديد إيليا ١ مل ٢١ : ١-٢٦) (أرسلت إيزابيل تقتل نابوت بالقتل)

+ آحاب يأكل ويشرب (١٨ : ٤١-٤٦) + آحاب لم يأكل ولم يشرب (٢١ : ١-٧)  
+ إيزابيل تهديد إيليا بالقتل (١٩ : ١-٢). + أرسلت إيزابيل تقتل نابوت (٢١ : ٨-١٦)  
+ إيليا يأكل ويشرب (١٩ : ٣-٩). + آحاب لم يأكل ولم يشرب (٢١ : ١٧-٢٦)

١ مل ١٩ : ٩-١٤ (لقاء الرب في حوريب) ١ مل ٢٠ : ١-٣٤ (الحرب الآرامي)

+ إيليا يخرج من المغارة ويقول للرب: «قد تركوا عهدك» (١٠ آ)  
ويشدّد على ترك الشعب لمذبح الرب (١٠) وعلى طلبهم في أخذ نفسه (١٤) (يطالبون بقتل النبي)  
رفض آحاب في بادئ الأمر عرض بنهدد ولم يخف من جيشه (١-١٢) وقاومه بعد أن تدخل النبي لصالحه مرتين (١٣-٢١) و(٢٢-٢٥) وبالنهاية قضى آحاب على جيش بنهدد ولكنه لم يقتله بل قطع معه عهداً (٢٦-٣٤). وطلب بنهدد قبل ذلك بواسطة خدامه من آحاب «التحيا نفسه» (٣٢).

١ مل ١٩ : ١٥-١٨ (إيليا سيمسح آرام وملك إسرائيل وأليشاع نبياً).

صراع بين ملك إسرائيل وملك آرام سيتتصر فيه ياهو ملك إسرائيل وسيتدخل النبي أليشاع لمعونه في ذلك (١٧ آ) وشعب جديد سيظهر لم يسجد بعد لبعل (١٨).  
لم يعمل آحاب بحسب قول الرب بل عاد وصادق الآراميين ولم يقض على بنهدد (١٤٢) لذلك سيموت بدلاً عنه (٤٢ب) والشعب الذي سار وراءه سيُقضى عليه (٤٢ج).

١ مل ١٩ : ١٩-٢١

إيليا يمسخ أليشاع نبياً بدلاً عنه كي يتمم رسالته التي بدأها.

## ب - التوزيع البلاغي المحوري

أ- ١٧:١-٧ (الإعلان عن الجفاف) .
ب- ١٧:٨-٢٤ (معجزتين : تكثير الزيت والدقيق وإحياء ابن الأرملة) .
ج- ١٦:١-١٨ (إيليا وعوبديا خادم آحاب) .
د- ١٧:١٨-٤٠ (إيليا وأنبياء البعل التابعين لإيزابيل على جبل الكرمل) .
هـ- ١٨-١٩:١٩ (أرسلت إيزابيل تهتد إيليا بالقتل) .
و- ١٩:٩-١٤ (لقاء الرب في حوريب) . ١٩:١٥-١٨ (إيليا سيمسح ملك آرام وملك اسرائيل)
ز- ١٩:١٩-٢١ (إيليا يمسخ أليشاع نبياً)
١- ٢٠:١-٣٤ (الحرب الآرامية) ٢٠:٣٥-٤٣ (النبي سيدكر الملك بخطأه)
١٥- ٢١:١-٢٦ (أرسلت إيزابيل تقتل نابوت)
١٥- ٢٢:١-٣٨ (ميخا بن بملة وأنبياء آحاب)
ج١- ٢٢:٣٩-٥٣ (سيرة الملوك في يهوذا واسرائيل)
ب١- ١:١٠-١٨ (وفاة الملك أخزيا والعتور على إيليا)
أ١- ٢:١-١٨ (إصعاد الرب لإيليا في العاصفة)

## ج - دورة إيليا ، وحدة أدبية متكاملة

بالرغم من التحليلات الأدبية التي استطاعت اكتشاف قسمين مختلفين من ناحية الاسلوب والأهداف، أثبت لنا التوزيع البلاغي مدى أهمية النظر إلى دورة إيليا كنص متكامل تمّ جمعه من أجل تأليف وحدة أدبية متكاملة ذات لاهوت مبني على روح النبوة التي تستمد سلطتها من الله فقط، وتغيّر مجرى الأحداث بحسب إرادة الله ومشيبته. نلاحظ من خلال هذا التوزيع أشياء عديدة لا بدّ من ذكرها.

١ - الجفاف (١ مل ١٧ : ١-٧) الذي حرّك الأمور من أجل ربط الملك بالنبّي وإعلامه بضرورة التوجه إلى الله كي يحلّ المعضلة .

٢ - تحرّك الملك ووجّه عبيده للتفتيش عن إيليا . التقى عوبديا بالنبّي وطلب منه ألا يرسله إلى الملك نظراً لموقف آحاب الرضّي منه (١ مل ١٨ : ١-١٦) .

٣ - تأتي المعجزات لتحلّ في مكان يعلن فيه إيليا عن مقدرة الربّ على حلّ مشكلة الجوع (١ مل ١٧ : ٨-٢٤) . والله حاضر لكل من استنجد به من خلال نبّيّه .

٤ - تقع معجزة جبل الكرمل داخل الضياع والتردّد اللذين يعيشهما الشعب في قلب هذا الصراع؛ الكنعاني يطالب بوجوده وبحقوقه على هذه الأرض من جهة، والإسرائيلي راضخ لهذا الواقع خوفاً من الخلافات والهجمات الآرامية من جهة أخرى . تدخل إيليا فأنقذ إيمان الشعب وأثبت كذب أنبياء البعل (١ مل ١٧ : ١٧-٤٠) .

٥ - يأتي تهديد إيزابيل بعد أن عالج إيليا مشكلة الجفاف (١ مل ١٨ : ٤١-١٩) .

٦ - انسحاب إيليا وخوفه من بطش إيزابيل التي لم تدخل في هذا القسم إلا بواسطة أنبيائها الذين وقفوا من جهة آحاب وبواسطة رسائل تهديدية منها . التقى إيليا بالربّ وتلقّى رسالة ثانية وهي مسح ملكين جديدين ونبّي جديد ألا وهو أليشاع . وأعلن الربّ عن مجرى الأحداث التي ستجري في دورة أليشاع (١ مل ١٩ : ٩-١٨) .

٧ - يدعو إيليا النبيّ أليشاع وتنتهي القصة الأولى التي برز فيها إيليا رجل الله فاعل المعجزات ومغيّر مجرى الأحداث لكي تبدأ قصة جديدة ثانية تنحدر فيها قوة آحاب وتحقق نبوءات إيليا حول موته وموت إيزابيل وابنها آحاز .

٨ - تنطلق القصة من حرب آرامية إسرائيلية تستبق الأحداث التي ستعود وتجري مع ملوك آخرين على أيام أليشاع . آحاب سيقطع عهداً مع بنهدد (١ مل ٢٠ : ١-٣٤) ويعارض مشيئة الربّ لذلك سيُضَي عليه هو وشعبه (١ مل ٢٠ : ٣٤-٣٥) .

٩ - تعود إيزابيل لتظهر من جديد ولكن بشكل فعلي فتقتل نابوت حامل تقليد آبائه وتأخذ منه أرضه التي صارح من أجلها أصحاب الإيمان اليهودي ومتملكي أرض آبائهم . فيتنبأ عليها إيليا غاضباً هي وآحاب (١ مل ٢١ : ١-٢٦) .

١٠ - يدخل آحاب في حرب جديدة فيموت، لأنه عارض مشيئة الرب التي أعلنت على لسان النبي ميخا. فيصبح أنبياء آحاب شبيهين بأنبياء البعل الذين طالهم روح الكذب والضياع. ويعتمد الكتاب إظهار روح البعل من خلاف القرنين الذين يرمزان إلى الوثنيين، «وابن كنعنة» الذي يشير إلى بني كنعان الذين يتعامل معهم الملك آحاب من خلال زوجته. فيموت الملك منكسراً وتحقق نبوءة إيليا والنبي ميخا بن يملة (١ مل ٢٢: ١-٣٨).

١١ - يسرد لنا الكاتب موت آحاب وسيرته التي لم تُرض الرب، وحلول ابنه آحاز مكانه وسيره على خطى أبيه. يُجري مقارنة واضحة مع الملك يوشافاط وابنه مظهراً الفرق بين ملك يهوذا المستقيم وملك إسرائيل المنحرف بإيمانه (١ مل ٢٢: ٣٩-٥٣).

١٢ - سار أحزيا بن آحاز على خطى أبيه وطلب حماية البعل. فظهر عمل إيليا من جديد وتنبأ له بموته. مات أحزيا لأنه رفض طلب عناية الرب عكس ما فعلت الأرملة بالنسبة لابنها. فيموت في عليته بالوقت الذي يحيا فيه ابن الأرملة في عليته (١ مل ١٧: ١٨-٢٤) و (٢ مل ١: ١-١٨).

١٣ - بعد ذلك يصعد إيليا في العاصفة مشيراً إلى نفسه الحية التي ستبقى حية ما دام الرب حياً. فطالما أن الموت يطال كل من اتحد بالبعل، فالحياة تُصعد كل من اتحد بالرب (٢ مل ٢: ١-١٨). وهكذا تبدأ قصة جديدة مع أليشع تعاود الأحداث كما لو كانت هي نفسها.

V - معنى لاهوت معجزة جبل الكرمل (١ مل ١٨: ١٧-٤٠) بالمقارنة مع الحرب الآرامية (١ مل ٢٢: ١-٣٨).

إن الدخول بشرح آية أعجوبة من الأعاجيب يحتم علينا الاستفادة من التوزيع البلاغي الذي اكتشفناه سابقاً. لذلك فالتوازي بين أعجوبة جبل الكرمل (١ مل ١٨: ٧-٤٠) والحرب الآرامية (١ مل ٢٢: ١-٣٨) يدفعنا لأخذ كل واحدة على حدة. ومن ثم مقارنتها مع الأخرى من أجل استكمال الشروحات اللازمة وإظهار الأهداف اللاهوتية والخلفيات التاريخية الكامنة في كل منها.

## أ - معجزة جبل الكرمل (١ مل ١٨ : ١٧-٤٠)

يقسم النص أربعة أقسام متوازية فيما بينها: أ - (١٧-٢٠) // أ - (٢٥-٢٩)

و

ب - (٢١-٢٤) // ب - (٣٠-٤٠)

يعرض القسم الأول حواراً جرى بين إيليا وأحاب، يتهم فيه أحاب إيليا بأنه مكذّر إسرائيل، أي أنّه سبب الجفاف (١٧). ينطلق إيليا برده من تقليد آباء أحاب الذين تركوا وصايا الربّ وساروا مثله وراء البعليم وأنبيائه طالين حمايته. وبالنهاية أمر إيليا أحاب بجمع الشعب وأنبياء البعل معاً على جبل الكرمل (١٨-١٩). ففعل أحاب كما أمره إيليا.

أما القسم الثالث (٢٥-٢٩) فهو يعرض التقدمة التي قام بها أنبياء البعل أي تقطيع الثور والصلوات وضرب الذات. ويبرز الحدث عندما يسخر منهم إيليا ومن آلهتهم (٢٧). أما التوازي بين ١٧-٢٠ و ٢٥-٢٩، فهو يركز على تباعية أحاب وآبائه والشعب الحالي للأصنام التي لا تتكلّم ولا تصغي (٢٩).

ويعتمد القسم الثاني (٢١-٢٤) على كشف شكّ وتردد الشعب الإسرائيلي الذي يترنح بين البعل والله، فعرض عليهم إيليا فكرة تقدمه الثور والنار آكلة المحرقة (٢٢-٢٤) فقبلوا عنهم وعن أنبياء البعل (٢٤). وقام إيليا بتنفيذ كلمته بحيث إنه صعبّ التقدمة وأعطى للشعب براهين كبيرة عندما طلب منهم أن يصبّوا على المحرقة ماء (٣٣-٣٤). فاستجاب الربّ طلبه (٣٨) وأخذ الشعب قراره وثبّت في إيمانه عندما سجد أمام إله إيليا. يستند التوازي إذاً إلى انتقال الشعب من حالة التردد (٢١) إلى حالة الايمان (٣٩) وإلى الوصف الذي أعطاه إيليا للذبيحة في آ ٢٢-٢٤ و ٣٠-٣٥.

إذاً يأخذ التوزيع البلاغي العام للنص الشكل التالي:

أ - (١٧-٢٠) إيليا يتهم أحاب وآبائه بإتباعهم للبعل
ب - (٢١-٢٤) تردد الشعب ووصف الذبيحة
أ - (٢٥-٢٩) إيليا يسخر من أنبياء البعل ويكشف عن كذبهم وآلهتهم التي لا تتكلّم ولا تصغي
ب - (٣٠-٤٠) تخلص الشعب من التردد والربّ استجاب إيليا

ب - الحرب بين آرام وإسرائيل (١ مل ٢٢ : ١-٣٨) .

يقسم النص أربعة أقسام: أ - (٤-١) // أ - (٢٩-٣٨)

و

٢ ب - (٥-١٢) // ب ب - (١٣-١٢٨)

يشكّل القسم الأول (٤-١) العنوان والمقدمة. بعد مرور ثلاث سنين على الحرب بين آرام وإسرائيل يجتمع آحاب ويوشافاط من أجل احتلال راموت جلعاد. أخذ آحاب المبادرة من أجل ذلك. وتوازي آ ١-٤ مع ٢٩-٣٨ كون الحرب التي طرحت في القسم الأول ستتحقق في القسم الرابع. يدخل الملك آحاب الحرب متنكراً ويوشافاط يرتدي ثيابه (٣٠) أما آرام فيهدف إلى قتل آحاب مباشرة وينجح في ذلك (٣٤). مات آحاب ولحست الكلاب دماؤه حسب كلام الرب (٣٧).

بعد أن سأل آحاب يوشافاط عن الحرب (٤-١) يبدأ الملكان بالتفتيش عن وسيلة يأخذان بها القرار (٥-١٢). يأخذ هذه المرة يوشافاط المبادرة ويقترح على ملك إسرائيل أن يسأل كلام الرب (٥). فيدعو آحاب أنبياء وعددهم أربع مائة فيقولون له إصعد وحارب لأنك ستنتصر (٦). يعود يوشافاط ويشدد على طلب نبي آخر قد يختلف رأيه عن رأيهم فأشار آحاب على ميخا بن يملة الذي لا يتنبأ إلا بالشرّ على آحاب حسب قول هذا الأخير (٧-٨). وأكد صدقياً بن كنعنة بواسطة قرنين من حديد على النبوءة التي تقول إن آحاب سينتصر (٨-١٢). إذاً توازي آ ٥-١٢ مع ١٣-٢٨ نظراً للمواجهة بين ميخا بن يملة وبين الأربع مائة نبي التابعين لآحاب (١٣). سخر في بادئ الأمر ميخا من آحاب (١٥) ولكن عاد ونطق بكلام الرب الذي يشير إلى انكسار الملك وموته (١٨-١٩). فاضطهد النبي ميخا وسُجن (٢٨).

أما التوزيع البلاغي للنص فهو التالي:

أ - (٤-١) آحاب يأخذ المبادرة ويعرض الحرب ضد آرام.
ب - (٥-١٢) يهوشافاط يعرض على آحاب استشارة كلمة الرب (الأنبياء ٤٠٠ + صدقياً بن كنعنة) = ستتتصر.
ب ب - (١٣-٢٨) آحاب يأخذ برأي ميخا بن يملة (رأي معاكس للأنبياء و ٤٠٠) ستتتصر وتموت.
أ - (٢٩-٣٧) خوض الحرب (وموت آحاب ونجاة يوشافاط).

## ج - مقارنة بين معجزة الكرمل والحرب بين آرام وإسرائيل

بعد أن عرضنا كل سلسلة على حدة وثبتنا من الوحدة الأدبية التي تركز على تسلسل الأحداث وتربط العناصر ببعضها البعض في كل من ١٨: ١٧-٤٠ و ١٨: ٢٢-٣٨، نتقل الآن إلى جدول مقارنات جديد بين السلسلتين محاولين إيجاد التشابهات والمتناقضات التي تساعدنا على تفسير أهداف كل من الإثنين معاً.

١ مل ١٨ : ١٧-٤٠	١ مل ٢٢ : ١-٣٨
المقدمة : حوار بين اثنين، إيليا وأحاب (١٧) - ١٩) بيدوان مختلفين بالرأي. أحاب يقول لإيليا «أنت هو مكدر إسرائيل» (١٧)	المقدمة : حوار بين اثنين بيدوان في بادئ الأمر متفقين : «شعبي كشعبك وخيلي كخيلك» (٤ب)
يأمر إيليا أحاب بجمع الشعب والأنبياء ٤٥٠ وأنبياء السّواري الذين يأكلون على مائدة إيزابيل (١٩)	يشير يهوشافاط على ملك إسرائيل أن يسأل «اليوم على كلام الرب» (٥)
فأرسل أحاب إلى جميع بني إسرائيل وجميع الأنبياء إلى جبل الكرمل (٢٠)	فجمع ملك إسرائيل الأنبياء نحو أربع مئة رجل (٦)
عدد الأنبياء ٤٥٠ و ٤٠٠ المقرّبون من إيزابيل (١٩ب)	عدد الأنبياء ٤٠٠ (٦أ)
يوجه إيليا كلامه إلى الشعب سائلاً: حتى متى تعرجون بين الفرقتين. إن كان الله فاتبعوه وإن كان البعل فاتبعوه (٢١)	فقال أحاب للأنبياء «أذهب إلى راموت جلعاد للقتال أم لا؟ (٦ب)
فلم يجبه الشعب بكلمة (٢١ب)	فقال الأنبياء لأحاب : إصعد فيرفعها السيد ليد الملك (٦ج)
ثم قال إيليا للشعب : «أنا بقيت نبياً للرب وحدي وأنبياء البعل أربع مئة وخمسون رجلاً» (٢٢).	فقال يوشافاط : «أما يوجد هنا بعد نبي للرب فنسأل منه» (٧)
فقال إيليا : «فليعطونا ثورين». كي يقدموا ذبيحة، إيليل يقدم واحد والأنبياء يقدمون واحد والإله الذي يجيب بالنار يكون هو الله (٢٢-٢٤)	فقال ملك إسرائيل أنه يوجد بعد رجل واحد لسؤال الرب ولكنه يتنبأ عليّ شرّاً (٨أ)
فأجاب جميع الشعب وقالوا : «الكلام حسن» (٢٤ب)	فقال يوشافاط : «لا يقل الملك هكذا» (٨ب).

امل ١٨ : ١٧-٤٠	امل ٢٢ : ١-٣٨
فقال إيليا الأنبياء البعل اختاروا لأنفسكم ثوراً واحداً وقربوا أولاً لأنكم الأكثر وادعوا باسم آلهتكم ولكن لا تضعوا ناراً. (٢٥)	فدعا ملك إسرائيل خصياً وقال أسرع إليّ بميخا بن يملة (٩)
فأخذوا الثور الذي أعطي لهم وقربوه ودعوا باسم البعل من الصباح إلى الظهر قائلين يا بعل أجبننا فلم يكن صوت ولا مجيب (١٢٦)	وكان ملك إسرائيل ويهوشافاط ملك يهوذا جالسين كل واحد على كرسيه لابسين ثيابهما في ساحة عند مدخل باب السامرة وجميع الأنبياء يتنبأون أمامهم (١١)
وكانوا يرقصون حول المذبح الذي عمل (٢٦ب) فصرخوا بصوت عالٍ وتقطعوا بالسيوف والرماح حتى سال منهم الدم (٢٨)	وعمل صدقيا بن كنعنة لنفسه قرنين حديد (إشارة إلى الوثنية) وقال هكذا تنطح الأراميين حتى يفنوا (١١)
ولما جاز الظهر وتنبأوا إلى حين إصعاد التقدمة ولم يكن صوت ولا مجيب ولا مصغ (٢٩)	وتنبأ جميع الأنبياء هكذا قائلين: «إصعد إلى راموت جلعداء وأفلح فيدفعها الرب ليد الملك (١٢)
أما الرسول الذي ذهب ليدعو ميخا كلمه قائلاً هوذا كلام الأنبياء بغم واحد. فليكن كلامك مثل كلام واحد منهم وتكلم بخير (١٣)	
قال إيليا: «الجميع الشعب تقدموا إليّ» (٣٠أ)	فقال ميخا: «حي هو الرب إن ما يقوله لي الرب به أتكلّم». (١٤)
فتقدم جميع العشب إليه (٣٠ب)	ولما أتى إلى الملك قال له الملك يا ميخا أنصعد إلى راموت جلعداء للقتال أم تمتنع (١٥)
وعند الظهر سخر بهم إيليا وقال: «ادعوا بصوت عالٍ لآله إله. لعله مستغرق... (٢٧)	فقال اصعد وافلح فيدفعها الرب ليد الملك (١٥ب)
وبنى الحجارة مذبحاً باسم الرب (١٣٢)	فقال له الملك كم مرة استحلّفتك أن لا تقولي إلا الحق باسم الرب (١٥ب-١٦)
فرم مذبح الرب المنهدم (٣٠ج) ثم أخذ إيليا اثني عشر حجراً بعدد أسباط بني يعقوب الذي كان كلام الرب إليه قائلاً: «إسرائيل يكون اسمك» (٣١)	فقال رأيت كل إسرائيل مشتتين على الجبال كخراف لا راعي لها فقال الرب: «ليس لهؤلاء أصحاب فليرجعوا كل واحد إلى بيته بسلام (١٧)
	فقال ملك إسرائيل ليهوشافاط أما قلت لك أنه لا يتنبأ عليّ خيراً بل شراً (١٨)

١ مل ٢٢: ١-٣٨	١ مل ١٨: ١٧-٤٠
وقال فاسمع إذا كلام الرب (١١٩)	وعمل قناة «حول المذبح تسع كيلتين . . . ثم رتب الحطب وقطع الثور ووضع على الحطب [وتعاون مع الشعب كي يسكب الماء على النار والحطب] فجرى الماء حول المذبح وامتلت القناة أيضاً ماء (٣٢٢ب-٣٥)
قد رأيت الرب جالساً على كرسيه وكل جند السماء وقوف لديه عن يمينه وعن يساره (١١٩)	وقال أيها الرب إله إبراهيم وإسحق وإسرائيل ليعلم اليوم أنك أنت الله في إسرائيل (١٣٦)
فقال الرب من يغوي آحاب فيصعد ويسقط في راموت جلعاد فقال هذا هكذا وقال ذلك هكذا ثم خرج روح ووقف أمام الرب وقال أنا أغويه . وقال له الرب بماذا فقال أخرج وأكون روح كذب في أفواه جميع أنبيائه . فقال إنك تغويه وتقتدر فأخرج وافعل هكذا (١٩ب-٢٢)	وإني أنا عبدك وبأمرك قد فعلت كل هذه الأمور (٣٦ب)
والآن هوذا قد جعل الرب روح كذب في أفواه جميع أنبيائك هؤلاء والرب تكلم عليك شراً (٢٣)	استجبني يا رب ليعلم هذا الشعب أنك أنت الرب الإله وأنت حولت قلوبهم رجوعاً (٣٧)
فتقدم صدقيا بن كنعنة وضرب ميخا على الفك وقال من أين عبر روح الرب مني ليكلمك (٢٤)	فسقطت نار الرب وأكلت المحرقة والحطب والحجارة والتراب ولحست المياه التي في القناة (٣٨)
فقال ميخا إنك ستري في ذلك اليوم الذي تدخل فيه من مخدع إلى مخدع لتختبيء (٢٥)	فلما رأى جميع الشعب ذلك سقطوا على وجوههم وقالوا الرب هو الله الرب هو الله (٣٩)
فقال ملك إسرائيل خذ ميخا ورددّه إلى أمون رئيس المدينة وإلى أبوش ابن الملك (٢٧) وقل هكذا قال الملك ضعوا هذا في السجن وأطعموه خبز الضيق وماء الضيق حتى آتي بسلام (٢٦-٢٧).	فقال لهم إيليا أمسكوا أنبياء البعل ولا يفلت منهم رجل (٤٠أ)
فقال ميخا إن رجعت بسلام فلم يتكلم الرب بي (٢٨)	
جرت الحرب بين آحاب ويوشافاط من جهة وملك آرام من جهة أخرى فقضي على آحاب ومات الملك وغسلت المركبة في بركة السامرة (٣٧-٣٨) فلحست الكلاب دمه [ . . . ] حسب كلام الرب الذي تكلم به .	فأمسكواهم فتنزل بهم إلى نهر قيشون وذبحهم هناك (٤٠ب)

ما يهّمنا من هذه المقارنة هو التشديد على الأعجوبة أكثر منه على خبر مواجهة ميخا بن يملة للملك آحاب. ولكن لاهوت الأعجوبة على ما يبدو، يكتمل بهذا الخبر لذلك سننظر لمعالجة الخبرين معاً.

## د - المعنى واللاهوت

### ١ - المقدّمة

يبدأ الحوار بين النبيّ والملك آحاب فيبرز الملك سيّداً على شعبه لأنّه مفروض على النبيّ المرور بالملك كي يصل إلى الشعب: «والآن أرسل واجمع إليّ كل إسرائيل إلى جبل الكرمل» (١ مل ١٨: ١٩). وهذا ما نراه فعلاً في ١ مل ٢٢: ٤ ب عندما يقول يوشافاط لآحاب: «شعبي كشعبك».

### ٢ - الدافع والعقدة

تدخل النبيّ بسبب انحراف الملك الذي بسيادته وقراراته ضلّل الشعب عن إيمانه بإله آبائهم ابراهيم واسحق ويعقوب. ويبدو ذلك واضحاً عندما يردّ إيليا على آحاب قائلاً: «لم أكدر إسرائيل بل أنت وبيت أبيك بترككم وصايا الربّ وسيرك وراء البعليم» (١٨: ١٨). أما بالنسبة لآحاب ويوشافاط، فالأول يطرح مشكلة التمييز بين الدخول بحرب مع آرام أم لا (٣: ٢٤).

### ٣ - دور الملك والنبيّ

حتى وإن كان الملك هو سيد الشعب فعليه الأخذ بعين الاعتبار وجود الأنبياء حاملبي كلمة الله كي يستلهم قراراته منهم، لذلك فهو يسمع كلمة إيليا عندما يقول له: «والآن أرسل واجمع إليّ كل إسرائيل إلى جبل الكرمل» (٢٠). أما من ناحية يوشافاط، فهو يذكّر آحاب بضرورة الإصغاء إلى كلمة أنبيائه (٥: ٢٢) ويلعب يوشافاط دور الملك المثالي الذي لا يخطو خطوة دون استلهامه لكلمة الربّ. جمع آحاب ٤٠٠ نبي كانوا يتنبأون لصالحه أي يكرّرون ما يرغب القيام به ويشرّعون عمله وخطواته (٦: ٢٢). وكان هؤلاء الأنبياء من المقرّبين لإيزابيل كما يقول النبيّ إيليا: «وأنبياء السواري أربع المئة الذين يأكلون

على مائدة إيزابيل» (١٨ : ١٩ ب). انطلقاً تماماً ورد، يمكننا استنتاج ما يلي: إن الصراع الذي سيجري لم يعد بين شخص النبيّ بحدّ ذاته والمملك، بل بين الله والمملك لهدف واحد ألا وهو استرجاع وإنقاذ الشعب الذي تبع المملك ومعتقداته (١ مل ١٨) وسار وراء البعل (١ مل ٢٢).

## ٤ - النبيّ والشعب

بعد أن اخترق إيليا جدار الملك آحاب وجّه كلامه للشعب مباشرة طالباً منه أخذ القرار النهائي وعدم «اللعب على الحبلين» إمّا الله وإمّا البعل (١٨ - ٢١ أ). وهذا ما سيتعرّض لم الملك آحاب عندما يطرح سؤالا يطلب جواباً عليه: «أأذهب إلى راموت جلعاد للقتال أم لا؟» (٢٢ : ٦ ب). كان الشعب كما هو ملاحظ يتعمّد المحافظة على إيمانه بالله وبالبعل معاً وقلبه مجزأ بين الإثنين. أما تدخل إيليا فيشير إلى مطالبة الله لهم بالجزئية في أخذ القرار: إمّا الله وإمّا البعل. بقي الشعب صامتاً ولم يُجب بكلمة خوفاً من أخذ طرف يكون الكاذب (١٨ : ٢١) فيخسر المعركة ويهلك.

أما في الجهة المقابلة فالردّ على سؤال آحاب كان سريعاً عندما قال له أنبيأوه: «إصعد فيرفعها السيد ليد الملك» (٢٢ : ٦ ب). ولكن بالرغم من ذلك فإنّ وجود يوشافاط أثار الشك في قلب الملك آحاب وأعاد عليه السؤال مجدداً عندما طالب بأخذ رأي نبيّ آخر لا ينتمي إلى مجموعة أنبياء آحاب (٢٢ : ٦ ب). ويبرز التناقض عندما يكشف إيليا للشعب بأنّه بقي وحده نبياً للرب أما أنبياء البعل فهم أربع مئة وخمسون رجلاً (١٨ : ٢٢).

## ٥ - مرحلة انتقال المواجهة من النبيّ - الشعب إلى النبيّ - أنبياء البعل

وبدأت هنا مرحلة انتقال المواجهة من إيليا-الشعب إلى إيليا-أنبياء البعل كما هي الحال في ١ مل ٢٢ إذ إنّ آحاب يتهم هذا النبيّ بالكذب لأنّه يتنبأ عليه شراً (٢٢ : ٨ أ). فيردّ يوشافاط طالباً من الملك التروّي والتراجع عن رأيه: «لا يقل الملك هكذا» (٢٢ : ٨ ب). وعرض أيضاً إيليا وجهة نظره في تقديم ثورين ورفع الصلاة إلى الله وإلى البعل كل من جهته. أما الاستجابة للصلوات فتظهر من خلال إرسال النار من السماء وأكل المحرقة. والذي يجيب بالنار يكون الله الحقّ (١٨ : ٢٢-٢٤). فكان الشعب متجاوباً مع طرح إيليا (١٨ : ٢٤ ب) كما هي الحال مع يوشافاط (٢٢ : ٨ ب). والهدف من تجاوب

هذين الطرفين كان عن ما أعتقد التفتيش على وسيلة تساعدهم على التمييز بين الحق والباطل. فيوشافاط يريد التأكد من صحة نبوءة أنبياء آحاب، والشعب بدوره يريد التمييز كي يختار نهائياً بين الربّ والبعل.

نجح إذاً إيليا برمي الكرة في ملعب أنبياء البعل وحصل على موافقة الشعب. ونجح فيوشافاط بلقت نظر آحاب إلى نبي يواجه من خلاله أنبياء آحاب. انطلاقاً من ذلك ستأخذ المعركة الشكل التالي:

إيليا — أنبياء البعل.

ميخا — أنبياء آحاب.

إنّ الحصول على موافقة الشعب ورضاه يُلزم هذا الأخير بأخذ القرار عندما يشهد على نتيجة ما سيحدث بين إيليا وأنبياء البعل.

## ٦ - النبيّ وأنبياء البعل

تساور إيليا مع أنبياء البعل فبدا وكأنه سيد الموقف وصاحب السلطة المطلقة في إدارة مجرى التحدّي وقوانينه: «اختاروا لأنفسكم ثوراً واحداً» (١٨: ٢٢). أما بالنسبة للملك آحاب فاقنع كما اقنع الشعب ودعا النبيّ ميخا كبداية للدخول في مسار طلب المشورة (٢٢: ٩). وأخذ أنبياء البعل الدور الأول في تقديم الذبيحة نظراً لكثرة عددهم، واختاروا لهم الثور المناسب كما أشار عليهم إيليا (١٨: ٢٥). بدأوا بتقديم الصلوات وتقريب الثور باسم البعل من الصباح إلى الظهر (١٨: ٢٦). وكان الشعب يشهد على ذلك. أما بالنسبة للملك إسرائيل وفيوشافاط فكانا جالسين على كرسيهما لابسين ثيابهما في ساحة عند مدخل باب السامرة (٢٢: ١١). وهذا ما يشير إلى الدور الأساسي المعطى للملكين في إجراء الحكم والتمييز بين ما هو حق وما هو باطل لأنّ باب المدينة هو مكان اجتماع الشيوخ للحكم في قضايا الشعب وأخذ الأحكام.

## ٧ - صمت البعل أمام أنبيائه

أما ما كان يجري أمامهم فهو يشبه إلى حد قريب ما كان يجري أمام إيليا: «وجميع الأنبياء يتنبأون أمامهم» (٢٢: ١١). والمقارنة بين الحادثتين تكشف لنا عدم تجاوب الإله

معهم . بالنسبة لأنبياء البعل ، لم يكن صوت ولا مجيب (١٨ : ٢٦). أما أنبياء آحاب فليس هناك من تأكيد على صحة ما يتنبأون به لأن يوشافاط بنفسه طلب نبياً آخر للكشف عن الحق (٧ : ٢٢). ويخرج هنا نبي لم يعتبره يوشافاط كنبى آخر ، وهو صدقيا بن كنعنة حامل نسب كنعاني أي آرامي . يضع على رأسه «قرني حديد» يرمزان إلى مدى قرابته من عبادة الأوثان والتعاطي معها ، لأنهما يذكران بالعجل الذهبي الذي صنعه الشعب اليهودي عندما غاب عنهم موسى لمدة أربعين يوماً في سيناء . والدليل على صحة ما أقول يكمن في استعمال الفعل نفسه في الجهتين : «وكانوا يرقصون حول المذبح الذي «عمل» (١٨ : ٢٦ب؟) «وعمل صدقيا لنفسه» (٧ : ٢٢) من جهة أخرى . استعمل الفعل «عمل» عند أنبياء البعل في المجهول للدلالة على عدم ربط المذبح بأي من الحاضرين إن كان بالشعب أو حتى بأنبياء البعل أنفسهم . وعند صدقيا بن كنعنة فالفعل «عمل» يشير إليه فقط : «عمل . . . لنفسه» (١١ : ٢٢) وليس للحاضرين كما هي الحال مع أنبياء البعل .

أما باقي الأنبياء فكانوا مماثلين لصدقيا بن كنعنة لأنهم تنبأوا مثله (١٢ : ٢٢) فزادوا أصواتهم على صوت صدقيا كي يشددوا على صحة ما يقولون ويدفعوا الملك لأخذ كلمتهم بعين الاعتبار . وزادت الأصوات حدة من جهة أنبياء البعل وقاموا بحركات تعبيرية وقطعوا أنفسهم بالسيوف والرماح حتى سال الدم منهم (١٨ : ٢٨) . ولكن في النهاية بقيت النتيجة نفسها ، لا مجيب من جهة البعل (١٨ : ٢٩) ، ولا حركة حتى من جهة الملكين . فالتحقيق بقي مفتوحاً لعدم وجود أدلة تدعم ما يتنبأ به أنبياءهم .

## ٨ - تدخل النبي من أجل الشعب

بعد إثبات عجز أنبياء البعل (١ مل ١٨) وعجز أنبياء آحاب ، سيتدخل هنا النبي الآخر أي إيليا لمواجهة أنبياء البعل ، وميخا بن يملة لمواجهة أنبياء آحاب . فأصبح إيليا لجهة الشعب .

نعتقد وللوهلة الأولى عند قراءة لبداية تدخل النبي الآخر أن الجوهر يختلف بين هدف تدخل ميخا وهدف تدخل إيليا لأن هذا الأخير ينتظر رضى الشعب مباشرة ، أما ميخا فينتظر رضى الملك (١٥ : ٢٢) . ولكن بالواقع ، تتجه كلمة ميخا في بدايتها وبشكل رمزي إلى الشعب لأنه قال : «رأيت كل إسرائيل مشتتين على الجبال كخراف لا راعي لها» (١٧ : ٢٢) . إذاً فالنبيان وإن تكلموا فهما يتكلمان من أجل الشعب الضال في مسيرته تجاه الله وليس من أجل إرضاء نزوات الملك .

## ٩ - قوة النبيّ في تجاوب الشعب

أراد إيليا في بادئ الأمر أن يثبت عدم مقدرته على القيام بأي عمل يتوخّى الأناية. وإظهار التفرد قد يبعد شراكة الشعب بالأمر الذي سيحدث. لذلك دعا الشعب كي يتقدّم إليه (١٨ : ١٣٠). فتقدّم الشعب معلناً عن تجاوبه مع ما سيقوم به النبيّ الذي انطلق من علاقته بالله ومن استناده إلى كون الشعب سوف يتلقّى رسالة الحدث الإلهية التي قد تغيره وترده إلى الإيمان القويم (١٨ : ٣٠ب). أما بالنسبة لميخا بن يملة فنوّهته مرتبطة بطلب مباشر من الملك لأنّ قرار هذا الأخير يشمل مستقبله الشخصي ومستقبل الشعب معاً (٢٢ : ١٥). فعندما سأل الملك ميخا ردّ عليه ساخرًا مكرراً ما تلا عليه أنبيأؤه. فعلم الملك بسخريته (١٥ب). واعترف الملك ولو بطريقة مبطنّة أنّ قول ميخا هو «الحق باسم الربّ» (٢٢ : ١٥-١٦) كما اعترف الشعب بإيليا عندما «تقدّم منه» (١٨ : ٣٠ب).

## ١٠ - قوة النبيّ في حضور الشعب

بعد كسب إيليا وميخا ثقة ولو بسيطة من الشعب ومن الملك أطلقا العنان لعملهما وأقوالهما.

رّمّ إيليا مذبح الربّ المهدم (١٨ : ٣٠ج) الذي ينبغي له أن يكون مرتبطاً بثلاثة أمور ألا وهي :

الأول : أن يكون المذبح مكوّنًا من حجارة مبنية باسم الربّ (١٨ : ١٣٢).

الثاني : أن يكون عدد الحجارة اثني عشر حجرًا بعدد أسباط بني يعقوب.

الثالث : أن يحمل هؤلاء الأسباط اسمًا أعطي لهم من الربّ مباشرة : «إسرائيل يكون اسمك» (١٨ : ٣١).

عندما يرّمّ إيليا المذبح يشير إلى ذبائح سابقة، كان الشعب الإسرائيلي يقوم بها قبل أن يتبنّى عقائد مصدرها أنبياء البعل. وكلمة «يرّمّ» التي يستعملها الكاتب تردنا إلى الخلاف الذي ذكرناه سابقاً في فترة «الإطار التاريخي» بين الإسرائيليين والآراميين على الأرض. أما بالنسبة لعبارة «باسم الربّ» فهي تتضمن إرادة الربّ ومشيئته، لذلك لا يمكن أن يرد الربّ على طلب إيليا إلا إذا كان في خط رسمه الربّ له بنفسه

(١٨ : ٣٣). وعدد الحجارة الذي يرمز إلى أسباط بني يعقوب يؤكد على أن المذبح هو الشعب نفسه، إذ لا وجود لمذبح يصنعه إيليا دون وجود الشعب وتضامنه معه. لذلك قال إيليا للشعب: «تقدّموا إليّ» (١٨ : ١٣٠). أما الإسم الذي أعطاه الربّ لإسرائيل فهو يعبر عن أمرين يرمزان إلى العهد ألا وهما: انتماء الشعب الذي أعطاه الإسم كونه خالقه واعتبار إسرائيل حاملاً لرسالة أوكله الله بها. وميخا من جهته ربط كلمته التي اعترف بها الملك آحاب كونها «الحق باسم الربّ» (٢٢ : ١٥ ب-١٦) بالشعب الذي ينبغي له الرجوع لأنّه من دون راع (٢٢ : ١٧). فالسلام الذي يسعى إليه الشعب لا يناله إلا إذا عمل بمشيئة الربّ المعلنة على لسان ميخا بن يملة. وعدم الاعتراف بوجود الراعي يشير إلى استبعاد الاعتماد على قرار قد يصدر عن الملك آحاب بنفسه (٢٢ : ١٨) الذي قال بأنّ كلام ميخا شرّ عليه.

## ١١ - شهادة الشعب على عمل النبيّ

لم يغيّر كلام ميخا قلب آحاب بالرغم من استدعاء هذا الأخير له، فحاول ميخا أن يثبت للملك صحة ما يقوله علّه يرده عن قراره المهلك فقال «اسمع إذا كلام الربّ» (٢٢ : ١٩). أي إنّ كلمة ميخا هي نبوءة بحدّ ذاتها، ومصدرها الله نفسه، لذلك تفوق سلطتها كل اعتداد بشري مهما كانت أهميته.

أما بالنسبة للنبيّ إيليا فأراد دعم الكلمة بالفعل (١٨ : ٣٢ ب-٣٥) فطلب معونة الشعب لتحضير المحرقة والمذبح. أما الشعب من جهته فقد صبّ الماء على الحطب بمقدار ثلاث مرات أربع جرار ماء مما يجعلها اثنتي عشرة جرة. ويعادل هذا العدد عدد الحجارة التي يتكوّن منها المذبح.

ويضفي عدد الجرار على العمل قيمة الإتحاد الضرورية بين النبيّ والأسباط الإثني عشر في تحضير المحرقة ورفعها إلى الربّ. بالإضافة إلى المعاني الجوهرية من أجل دعم صلاة إيليا وجعلها مستجابة، فهناك إثبات صحة ما يقوم به إيليا من جهة الشعب. فإغراق الحطب والمحرقة والمذبح بالماء يصعب عمل إيليا ويجعل موقفه أكثر احراجاً؛ ويصبح الشعب أكثر استعداداً لتغيير قناعاته إذا ما استجيب صلاة النبيّ.

## ١٢ - النبي يرفع صلاته أمام الربّ

بعد تحضير المحرقة من قبل إيليا (١٨: ٣٢-٣٥) وتلاوة المقدّمة من قبل ميخا (٢٢: ١٩) يأتي الموقف الذي فيه سيّدخل النبيّ بمغامرة عميقة مع الربّ لأنّه باتحاده مع إلهه سيقوم بأي عمل قد يساعد على إثبات صحة إيمانه وردّ الشعب عن طريق هلاكه.

تحتوي صلاة النبيّ إيليا عناصر عديدة لا بد لنا من تفصيلها ليظهر الجوهر الذي ارتكز عليه كي يُصعد صلاته للربّ:

- **العنصر الأول:** «تقدمة إيليا»، خروجه من بين الشعب كي يلقي كلمته ليس باسمه بل باسم الشعب الحاضر وإلا تعود كلمته لتصبح مشابهة لكلمة أنبياء البعل.

- **العنصر الثاني:** التقليد، بدأ إيليا صلاته بإعلان انتمائه لتقليد آبائه أي إيمانه بإله ابراهيم واسحق وإسرائيل. وذلك ليذكّر الشعب بما كانوا قد تركوه بسيرهم وراء قناعات الملك آحاب الذي سار وراء البعل وترك وصايا الربّ (١٨: ١٨). إذأ يستمدّ إيليا النبيّ إيمانه من إيمان آبائه وإيمان الشعب الذي ينتمي إليه. ولم يستعمل إيليا «اسم يعقوب» بل «إسرائيل» كي يذكّر الشعب بحالته التي أخرجته عن المسار الذي اختير من أجله، أي الرسالة التي أوكلت إليه باختيار الله له. لأنّ اسم «إسرائيل» يخص الله وليس البعل (١٨: ٣٦) وهو يرمز إلى العهد كما سبق وذكرنا.

- **العنصر الثالث:** السبب الذي من أجله دعا إيليا الله في صلاته؛ يطلب إيليا من الله كي يتدخل مباشرة بهدف إقناع الشعب أنّ الربّ هو الله في إسرائيل وأنّ النبيّ إيليا يفعل كل هذا بأمر منه، أي إنّ سلطة كلمته وعمله مستمدة من الربّ (١٨: ٣٦).

- **العنصر الرابع:** التكرار الذي به يظهر إيليا متوسلاً ومتواضعاً أمام الربّ: «استجبني يا رب استجبني» (١٨: ٣٧).

- **العنصر الخامس:** إذا علم الشعب أنّ الربّ هو الله وأنّ إيليا يفعل كل هذا بأمر منه، فعلى الشعب أيضاً أن يعترف بتدخل الله في تحويل قلوبهم وردّها. لأنّ الإيمان على ما يبدو يأتي من فوق وهو نعمة مجانية توهب للشعب من أجل تخليصه.

وصلاة إيليا بالذات تشبه صلاة المسيح أمام قبر لعازر كما هو بارز في الجدول التالي :

صلاة إيليا (١٨ : ٣٦-٣٧)	صلاة المسيح (يو ١١ : ٤١-٤٣)
إن إيليا النبي تقدم وقال	ورفع يسوع عينيه وقال (١٤١)
أيها الرب إله ابراهيم واسحق وإسرائيل (أعلن إيليا إيمانه وانتماءه إلى التقليد أي إيمان آباءه ليقول بأن الرب هو نفسه دائماً كما كان سابقاً وأبداً كما سيحدث معه الآن وفي المستقبل)	شكراً لك/ يا أبت / على أنك استجبت لي/ وقد علمت أنك تستجيب لي دائماً أبداً (٤١ب) (أعلن يسوع إيمانه وثقته بأبيه وذكر بما صنعه معه وأنه دائماً سيصنع ذلك معه الآن وفي المستقبل)
لُيعلم اليوم (٣٦ب)	ولكنني قلت هذا من أجل الجمع المحيط بي (٤١ج)
لُيعلم اليوم (٣٦ب)	ولكنني قلت هذا من أجل الجمع المحيط بي (٤١ج)
أنك أنت الله في إسرائيل وأنت إسرائيل وأنت أنل حوكت قلوبهم عبدك وبأمرك قد رجوعاً. فعلت كل هذه الأمر.	لكي يؤمنوا أنك أنت أرسلتني (٤١د)

### ١٣- النبي يُجذّر النبوءة في حدث تاريخي

انطلاقاً من هذه المقارنة يمكننا طرح السؤال التالي :

إن كان محتوى الصلاة التي رفعها إيليا إلى الرب مشابهاً لمحتوى الصلاة التي قام بها المسيح لإحياء لعازر، يُعقل أن يكون تجاوب الله مع الصلاة مجرد فن أدبي ابتدعه الكاتب كي يؤثر على القارئ، ولا يمتّ بأيّة صلة إلى أي حدث تاريخي؟ يُعقل أن يكون كاتب انجيل يوحنا قد استعاد العناصر نفسها التي وردت في ١ مل ١٨ : ٣٦-٣٧ كي يقول بأنّ المسيح ينتمي إلى التيار اليهودي الذي يؤمن بالعجائب التي تستمد قوتها من الله، وليس إلى التيار الذي يشدّد على الشريعة وحرفيتهما؟

الردّ على أسئلة كهذه قد يزعزع معتقدات البعض ويهّمس معتقدات البعض الآخر. لذلك يبقى الجواب مفتوحاً أمام كل مفسّر أو مؤمن يحاول التعمّق في هذا الحدث.

أما بالنسبة للأعجوبة التي حدثت أمام الشعب وهي أنّ ناراً نزلت من السماء وأكلت المحرقة والخطب والحجارة والتراب ولحست المياه في القناة، فقد حولت مجرى الأمور وأضفت على الحاضرين شعوراً بالرهبة والمخافة (١٨: ٣٨-٣٩). رأى الشعب وشهد، وسجدوا على وجوههم واعترفوا وآمنوا أنّ الربّ هو الله. وكرّروا عبارة «أنّ الربّ هو الله» مرتين للتأكيد على ثباتهم في قناعتهم التي كانت سابقاً (١٨: ٣٩). ومع المسيح أيضاً بصرخته خرج لعازر من القبر وآمن به كثير من الناس.

إذاً للأعجوبة هدفان جوهريان: إيمان الشعب بالله والاعتراف برسوله وبكلمته كما هي الحال مع المسيح. بالواقع يُبنى الإيمان دائماً على حدث له جذوره التاريخية يدفع الشاهد للدخول فيه فيصبح الإيمان قناعة توحّد الإنسان بالله كما هي الحال بين حدث القيامة من جهة والتلاميذ من جهة أخرى. لم تنمّ قناعة التلاميذ ولم يثبت إيمانهم إلا عندما شاهدوا ولسوا القائم من بين الأموات. انطلاقاً من ذلك، لا يمكننا استبعاد حدوث أعجوبة كهذه، كما وأنّه لا يمكننا نفي تلويها بالفنّ الملحمي الذي كان متبعاً في ذلك الوقت.

عندما نعود إلى ميخا بن يمّلة فإننا نراه يعرض في بادئ الأمر الرواية التي تخوله لأن يقول بأنّ الربّ هو رب الجنود وسيد السماء ولا إله غيره (٢٢: ١٩ أ). وهذا الإله هو نفسه إله إبراهيم واسحق وإسرائيل الذي تكلم عنه إيليا (١٨: ١٣٦). وبما أنّ رب الجنود فهو سيد المعركة الذي سيقرّر مجرى الأحداث. وما يثبت أنّ أنبياء آحاب كذبة هو روح الكذب الذي حلّ عليهم ومنعهم من حسن التمييز بين الخير والشر (١ صم ١٦: ١٤) وأبعدهم عن أية صلة قد تجعل منهم رسلاً لله أو عبيداً له كما هي الحال مع إيليا النبيّ (١٨: ٣٦ ب) عندما يقول: «وإني أنا عبدك وبأمرك قد فعلت كل هذه الأمور». وبما أنّ روح الشر متملّك بأنبياء آحاب، حكماً سيكون كلامهم شراً على من يطلب نصيحة منهم (٢٣: ٢٢). أما الربّ فيستجيب كل من اتكل عليه وطلب منه المعونة كما فعل عندما رفع صلاته أمامه (١٨: ٣٧).

إنّ أنبياء آحاب يضلّلون الملك والشعب معاً، أما النبيّ إيليا وميخا بن يمّلة فهذهما هو إرشاد الشعب إلى الإيمان وتحويل القلوب. وكانت ردّة فعل الملك اضطهاد ميخا

وضربه وسجنه (٢٢: ٢٤ و ٢٦-٢٧). ولكن صحة كلمة ميخا ستتأثر عند المعركة حين يهرب صدقيا بن كنعنة (رمز النبوءة الكاذبة) من وجه الآراميين ويقتل الملك آحاب .

إن قتل الملك آحاب وهرب الأنبياء الكذبة يقابلان عمل إيليا النبي الذي أمسك الأنبياء ونزل بهم إلى نهر قيشون وذبحهم هناك (١٨ : ٤٠ ب). إن حدث ذبح الأنبياء قد يكون عملاً جرى ضمن معركة بين تباع إيليا وتباع البعل ، انتصر فيها رجال إيليا الذين آمنوا بكلمته كما هي الحال عند مقتل الملك آحاب الذي مات وغسلت مركبته في بركة السامرة. تربطنا «بركة المياه» «بنهر قيشون» حيث ذبح أنبياء البعل وقضي عليهم (١٨ : ٤٠ ب).

## الخاتمة

نستنتج من خلال ما ورد أن الأعجوبة بحد ذاتها مرتبطة بعوامل عديدة أهمها علاقة النبي بالله التي من خلالها سيتم ردّ قلوب الشعب إلى الإيمان. والأعجوبة بحد ذاتها لا قيمة لها إلا إذا تمت بحضور الشعب: لذلك فالعمل الذي قام به إيليا له ارتباط مجدّر بحدث تاريخي تمّ على عهد ملك ما، في مكان ما، وأمام شعب ما.

أما بالنسبة لأنبياء البعل وحضورهم فهم يشيرون إلى إيمان الشعب الذي ضلّ عن طريقه وإلى مدى خطورة هذا الضياع وحدته. والخلاص من ذلك لا يتمّ إلا عن يد الله وتدخله بواسطة أنبيائه كما قال إيليا: «وأنتك حوّلت قلوبهم رجوعاً» (١٨ : ٣٧). فالأعجوبة بحد ذاتها نعمة مجانية معطاة من الله بهدف تخليص الإنسان وإرجاعه إليه.

الأب ريمون الهاشم

## العهد القديم في العهد الجديد

حين نقرأ العهد القديم نتميّز نوعين رئيسيين من المعجزات: الخوارق المدهشة وهي التي نراها في مسيرة الخروج من مصر حتى أرض موآب. وأعمال الخير والإحسان التي نُسبت إلى إيليا وأليشاع. وهناك نمط ثالث لن نتوقّف عنه وهو العقاب الذي يصيب هذا الإنسان أو ذاك مثل عقاب هليودورس الذي حاول أن يأخذ الودائع الموجودة في الهيكل إلى خزانة ملك السلوقيين، فجاءه فارس على جواد أخذ يضربه بحوافره فسقط على الأرض (٢ مك ٣).

ونطرح السؤال: ما علاقة أخبار المعجزات الإنجيليّة مع هذه الأخبار التي ترد في التوراة؟ ونقسم كلامنا قسمين: في الأناجيل الأربعة، في الإنجيل الرابع.

### ١- في الأناجيل الأربعة

لم يذكر مرقس ولا متى معجزة من هذه المعجزات التي وردت في العهد القديم. وحده لوقا أشار في خطبة يسوع وبرنامجه في مجمع الناصرة إلى العون الذي حمّله إيليا إلى أرملة صرفت صيدا، وأليشاع إلى نعمان السوري الذي كان أبرص (لو ٤: ٢٥-٢٧). أما هدف لوقا فكان إبراز موضوع عزيز على قلبه: الوثنيون ينعمون بالخلاص واليهود ينظرون أو يغضبون على مثال الابن الأكبر في مثل الابن الشاطر: رأى أخاه الأصغر الذي يمثّل العالم الوثني ينعم بالعجل المسمن، ولا ينال هو (الذي يمثّل العالم اليهودي) جدياً يتنعم به مع أصحابه (لو ١٥: ١١-٣٢).

مقابل هذا الاغفال لأخبار المعجزات في الأناجيل الإزائية، نجد الايرادات الكتابية والاستشهادات التي ترتبط بأعمال يسوع العجائبيّة. نذكر أولاً مت ٨: ١٧: «فتمّ ما قال النبيّ أشعيا: أخذ أوجاعنا وحمل أمراضنا» (أش ٥٣: ٤). هذا الايراد النبويّ يبرز مدلول الاحداث السابقة: شفاء الابرص، شفاء خادم الضابط، شفاء حماة بطرس (مت ٨: ١-١٥). وكانت إجمالة سبقت هذا الايراد حالاً فقالت: «وعند المساء، جاءه الناس بكثير من الذين فيهم شياطين، فأخرجها بكلمة منه، وشفى جميع المرضى» (آ ١٧). أجل، هو المسيح الذي يقوم برسالته حسب ما قيل في أش ٣٥، مع وجه الألم والموت بحسب نشيد عبدالله في أش ٥٣.

والايراد المتأوي الثاني يأتي أيضاً بعد إجمالة (مت ١٢: ١٥: شفى جميع مرضاهم) حول نشاط يسوع العجائبيّ: «ليتّم ما قال أشعيا النبيّ: ها هو فتاي الذي اخترته، حبيبي الذي به رضيت. سأفيض روعي عليه، فيعلن للشعوب إرادتي...» (مت ١٢: ١٧-٢١). هذا الاستشهاد هو أطول استشهاد بالكتاب نجده عند مت، وهو يعود إلى نشيد عبد الله الأول (أش ٤٢: ١-٩). فيدلّ على الطريقة التي يعمل بها يسوع، عبد يهوه، لكي يتتصر انتصاراً تاماً حين تعود الأم الوثنيّة إلى الربّ... وما نلاحظه، هو أن يسوع لا يعمل أعمال قدرة وعنف، بل يكون تصرّفه خفراً، خفياً: لا يخاصم ولا يصيح، وفي الشوارع لا يسمع أحد صوته. قصبة مرضوضة لا يكسر. وشعلة ذابلة لا يطفئ» (آ ١٩-٢٠). وإن عمل معجزة فهو يزرع المرضى «أن لا يخبروا أحداً عنه» (مت ١٢: ١٦).

أما الخطّ الثالث الذي فيه يُذكر العهد القديم، فترتيب الأخبار. ونبدأ أولاً بالأخبار التي تتحدّث عن إقامة موتى أو عودتهم إلى الحياة اليومية، عن عمل إحياء. نتذكّر هنا أن إيليا النبيّ أقام الابن الوحيد لأرملة صرفت صيدا (١ مل ١٧: ١٧-٢٤). وأليشع ابن الشومنيّة (٢ مل ٤: ١٨-٣٧). فحين أورد لوقا إحياء ابن أرملة نائين، تذكّر أرملة صرفت، وأشار إلى أن ليس لها ابن آخر: هو ابنها الوحيد (لو ٧: ١٢). وكذا قيل عن ابنة يائيرس (لو ٨: ٢).

أما حين نقرأ خبر شفاء ابنة يائيرس في مر ٥: ٢١-٤٣، فنجد المقاربات العديدة مع ما فعله إيليا وأليشع. مات الولد عند الشومنيّة فذهبت تستغيث بأليشع الذي أرسل لها خادمه قبل أن يذهب هو بنفسه. وذكرت أرملة صرفت صيدا خطاياها التي تبعتها عن

الله، كما ذكر قائد المئة وضعه كوثنياً يمنعه من استقبال يسوع في بيته (مت ٨: ٨). لما شفى إيليا وحيد الارملة، كان وحده في العلية. أخذ الصبي من حضن أمه (١ مل ١٧: ١٩) وصرخ إلى الرب. وكذا فعلت الشونمية مع أليشاع: «أصعدت ابنها إلى علية أليشاع ومددته على سرير النبي، وأغلقت عليه وخرجت» (٢ مل ٤: ٢١). هذا ما فعله في بيت يائيرس: «أخرجهم جميعاً» (مر ٥: ٤). ولم يأخذ معه سوى أبي الصبية وأمها. ويقول لو ٨: ٥١: منع يسوع الجموع أن يدخلوا. فما أخذ معه إلا التلاميذ المميزين، بطرس ويوحنا ويعقوب، ووالد الصبية وأمها. فالمعجزة ستتم على مستوى الإيمان، وهي نداء إلى هؤلاء التلاميذ والوالدي الصبية اللذين سيتعجبان (لو ٨: ٥٦).

وقد نقابل بين تكثير الأرزفة عند أليشاع (٢ مل ٤: ٤٢-٤٤)، والمعجزة ذاتها في الأناجيل الازائية الثلاثة، مع أن الإنجيليين جعلوا من تكثير الخبز نداء إلى الخلاص الذي يقدم للناس، ودعوة للمشاركة في الوليمة الافخارستية بانتظار الوليمة الاسكاتولوجية. فحين أنهى مر ٦: ٣٠-٤٤ بعبارة: «وكان الأكلون خمسة آلاف»، لم يقع في خطأ بلاغي به اختتم الخبر دون عامل تشويق. بل هو أراد أن يدل على أن هذه الجماعة التي سمعت كلمة الله، وشفيت من أمراضها وخطاياها، واغتذت من خبز الله، قد صارت الجماعة الكاملة.

وتتابع المقابلة: حلّ الجوع في البلاد في أيام أليشاع فجاع بنو الأنبياء (٢ مل ٤: ٣٨). والجموع التي ترافق يسوع هي في موضع قفر. تتبع يسوع منذ ثلاثة أيام، فلا بد من إطعامها (مت ١٤: ١٣-١٥؛ مر ٦: ٣٢-٣٤؛ لو ٩: ١٠-١٢). اعترض خادم أليشاع: كمية الطعام قليلة. لم يهتم النبي لهذا الاحتجاج: «أسكب للقوم ليأكلوا» (٢ مل ٤: ٤٢). وكذلك فعل يسوع: أمر تلاميذه بأن يوزعوا الطعام على الشعب. فأكلوا كلهم وشبعوا. بل بقي بعض الطعام من أجل الذين سوف يأتون بعدهم. هنا يفترق الإنجيل عن نصّ كتاب الملوك. لم يكتف بالقول بأن خيرات الرب فاقت بحيث شبع الجميع فما عاد من مكان للجوع، بل تحدّث عن كسر جمعت في ١٢ قفّة. فالكسرة هي أبعد ما يكون عن الفتات. هي خبز جهّز للذين سوف يأتون إلى الكنيسة. و١٢ قفّة تكفي الكنيسة برسلها الاثني عشر حتى نهاية العالم، على مثال خمرة قانا التي تسقي الكنيسة من خمرة يسوع.

والخط الرابع يقف على مستوى الألفاظ. نبدأ مع أخبار القيامة

لو ٧

١ مل ١٧

- ١ - ومضى إلى صرفت  
١١ - ذهب يسوع إلى مدينة  
وجاء إلى باب المدينة  
١٢ - ووصل قرب باب المدينة  
وها امرأة أرملة  
... كانت أمه أرملة  
١٥ - عادت روح الصبي إليه  
١٥ جلس الميت  
وصرخ صراخاً عظيماً  
واخذ يتكلم  
٢٣ - وردّه إلى أمه.  
فردّه إلى أمه.

لا حاجة إلى التوسّع في هذه المقابلة. فهي واضحة إلى درجة تفهمنا أن لوقا انطلق من معجزة أجزاها يسوع، فدونها في رسمة وجدها في كتاب الملوك (١ مل ١٧). ثم نحن لا ننسى أن يسوع هو إيليا الجديد ولا سيّما في صعوده على مثال ارتفاع إيليا في العاصفة.

وأخبار الخبز في الاناجيل تحمل عبارات نجدها في ٢ مل ٤ حسب الترجمة السبعينية.

٢ مل ٤

- ٤٢ - أرغفة شعير  
أرغفة (خبز) (مت ١٤ : ١٧ وز)  
أعط القوم  
أعطوهم أنتم  
ليأكلوا  
ليأكلوا (مت ١٤ : ١٦ وز)  
٤٤ - أكلوا  
أكلو كلّهم (مت ١٤ : ٢٠)  
وفضل  
جمعوا الكسر (ما بقي) (مت ١٤ : ٢٠ وز).

يبقى أن ما عمله يسوع يتفوق بدرجة لا تضاهي على ما فعله أليشع. أطعم بخمس خبزات خمسة آلاف، أي جماعة شعب الله كلها. وفي الخبر الثاني أطعم أربعة آلاف، يعني البشرية كلها (١٠٠٠ أي ١٠×١٠×١٠) المجتمعة من أربعة أقطار الأرض.

والمثل الأخير هو خبر تسكين العاصفة حسب مت ٨؛ مر ٤؛ لو ٨. ويقابله ما نقرأ في يون ١: ٣-١٦.

	يون ١	
٣- وجد سفينة	في سفينة (لو آ ٢٢)	
صعد إليها	صعد	
لكي يبحر	(وإذ ابحروا) (لو آ ٢٣)	
٤- ريح شديدة على البحر	عاصفة شديدة على البحر	
بحيث كانت السفينة	بحيث (مت آ ٢٤)	
في خطر	كانوا في خطر (لو آ ٢٣)	
٥- نام يونان	أما يسوع فنام (مت آ ٢٤)	
٦- فدنا منه الرئيس وقال له:	فدناوا منه (مت آ ٢٥ = لو آ ٢٤)	
قم فادع إلهك	وأيقظوه (مر آ ٣٨) قائلين:	
لعلّه يخلصنا	خلص	
فلا نهلك	فنحن نهلك (مت ٨: ٢٥ وز)	
١٥- هدأ البحر	وكان هدوء عظيم (مت ٨: ٢٦ وز)	
١٦- فخاف الرجال	والرجال (مت آ ٢٧) خافوا	
خوفاً شديداً.	خوفاً شديداً (مر آ ٤١).	

نشير هنا إلى أن الجماعات المسيحية التي رأت يسوع وسمعتة ولمسته، عادت إلى العهد القديم لتكتشف الكلمات التي بها تعبر عن سرّ الله في معجزاته. عادت إلى كلام الله لتتحدث عن عمل الله، كما عادت إلى المزامير لكي ترفع صلاتها إلى الله، والخطر الذي يهدّد المؤمنين في الماضي هو الذي يهدّد المؤمنين اليوم (رج أع ٤: ٢٤-٣٠؛ مز ٢: ١).

## ٢ - في إنجيل يوحنا

أحداث عديدة ترجع إلى سفر الخروج وسائر أسفار الشريعة، قد أوردتها يوحنا في إنجيله. عطية الشريعة على جبل سيناء قد اعتُبرت معجزة المعجزات. قال يوحنا: «الله بموسى أعطانا الشريعة. وأما يسوع المسيح فوهبنا النعمة والحق» (١٧: ١). لا شك في أننا بعيدون جداً. الشريعة هي كلمة الله كما تُتلى وتُكتب. أما يسوع فهو كلمة الله الحيّة، هو شخص الابن العائش في حضن الآب (آ ١٨). وما قلناه هنا عن الشريعة نقوله بالأولى عن الحيّة النحاسيّة التي كانت تشفي من لسعتهم حيّات البرية (عد ٢١: ٩). شبه يسوع نفسه في ارتفاعه بهذه الحيّة النحاسيّة. قال: «وكما رفع موسى الحيّة في البرية، هكذا يجب أن يُرفع ابن الإنسان، فتكون الحياة الأبدية لكل من يؤمن به» (يو ٣: ١٤-١٥). سيرتفع يسوع على الصليب ارتفاعاً هو في الوقت عينه ارتفاع في المجد.

ويشير الإنجيل الرابع إلى معجزة الماء الذي تفجّر من الصخرة فسقى العطاش في البرية. هذا الماء عرضه على السامريّة. وربطه بما قاله حزقيال عن ذلك ألنبع الذي يجري من تحت الهيكل فيصل إلى البحر الميت لكي يعيد إليه الحياة (حز ٤٧: ١؛ حز ١٤: ٨). هتف يسوع في عيد المظال: «إن عطش أحد فليأت إليّ ليشرب، ومن آمن بي، كما قال الكتاب، تفيض من صدره أنهار ماء حيّ» (يو ٧: ٣٧-٣٨). وهناك معجزة المنّ، طعام الشعب في البرية. تحدّث عنها اليهود بعد أن كثّر لهم يسوع الأرغفة وأشبعهم. قالوا: «آبأؤنا أكلوا المنّ في البرية، كما جاء في الكتاب، أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا». أجب يسوع: «ما أعطاكم موسى الخبز من السماء، أبي وحده يعطيكم الخبز الحقيقي من السماء» (يو ٦: ٣١-٣٢). هي معجزة فريدة. ويسوع يقرّ بها. ولكنه يوجّه الأنظار إلى خبز آخر، إلى عطاء آخر هو عطاء ذاته من خلال الخبز والخمر طعاماً وشراباً.

هنا نعود إلى معجزة تكثير الأرغفة في إنجيل يوحنا (٦: ١-١٥) وما تبعها من خطبة طويلة حول خبز الحياة (٦: ٢٥-٥٩). نجد أولاً «خبز السماء» (آ ٥٠)، «خبز الله» (آ ٣٣). وهذا ما يعود بنا إلى خر ١٦: ٤ ونح ٩: ١٥ اللذين يحدّثاننا عن خبز السماء. وقالت حك ١٦: ٢٠ ب: «خبز المساء، خبز معدّ». وتوقّف مز ٧٨ في معرض حديثه عن عظام الله فقال: «أمر الغيوم من فوق وفتح أبواب المساء. فأمطرت منّا ليأكلوا، حنطة أعطاهم من السماء. فأكل الإنسان خبز الملائكة زاداً أرسله للشعب. أطلق ريحاً شرقية من السماء... فأمطر عليهم حوماً كالتراب وطيوراً مجنّحة كرمل البحار...

فأكلوا وشبعوا جداً» (آ ٢٣-٢٩). هذا الخبز هو خبز الملائكة، كما يقول أيضاً حك ١٦: ٢٠. وهو خبز السماوات كما في مز ٧٨ حسب السبعينية. واجتمع في هذا الزمور الذي ذكرنا كما في مز ١٠٥: ٤٠ المن والسلوى، الخبز واللحم. ولا ننسى هنا أن اللحم هو طعام العيد للبدو العائشين في البرية، والذين كان طعامهم العاديّ الألبان والأجبان. أما يسوع فأحلّ السمك محلّ اللحم، ورسالته تدور حول بحيرة الجليل.

ذكرنا موسى، ذكرنا المنّ، ونذكر الكتب التي تشهد ليسوع (٥: ٢٥، ٤٨). وأشرنا إلى كلام يسوع (٦: ٣١ب) الذي يرتبط مثلاً بسفر الخروج الذي يقول: «سأمطر عليهم خبزاً من السماء». ثم قال موسى: هذا هو الخبز الذي يعطيكم الله لتأكلوه (خر ١٦: ٤). هو خبز الاقوياء، خبز الملائكة. في هذا المجال نتذكر التقليد الاخباري حول سفر الخروج: «في عالم المائتين، يأتي الماء من فوق والخبز من تحت. أما في ما يخصّ الله، فنحن نقرأ أن المياه جاءت من تحت، من بئر قيل فيها: «أصعد يا بئر». وجاء الخبز من فوق لأنه قيل: «ها أنا أمطر خبزاً» (خروج ربه ٢٥: ٦).

أما ما يقابل خبر تكثير الأرغفة في إنجيل يوحنا، فمعجزة الأيساع التي ذكرناها في حديثنا عن الأناجيل الازائية (٢ مل ٤)، وخبز نقرأه في عد ١١: ٤-٢٣، ساعة تدمّر الشعب على موسى. قال موسى للرب: «من أين لي لحم أعطيه لجميع هؤلاء الشعب» (عد ١١: ١٣)؟ وقال الرسل ليسوع: «من أين نستري خبزاً ليأكلوا» (يو ٦: ٥)؟ وقال موسى للرب أيضاً: «هل يكفيهم ما يُذبح لهم...» (عد ١١: ٢٢)؟ وقال فيلبس: «لو اشترينا... هل هذا يكفي» (يو ٦: ٧)؟ وبما أننا في إطار سفر العدد، نتذكر السمكات الصغيرة «بساريا» في اليونانية (عد ١: ٢٢: يجمع لهم سمك البحر كلّه ليشبعهم). لا ترد هذه اللفظة إلا في سفر العدد وفي يو ٦: ٩: «خمسة أرغفة من شعير وسمكتان صغيرتان». أترى الربّ نسي السخاء فأطعم الناس من هذه السمكات الصغيرة؟ كلا، ولكن الإنجيليّ أراد أن يربط خبر تكثير الأرغفة بما حدث بين موسى والشعب الذي يتدمّر عليه. فشعب البرية الذي لم يعرف كيف يتقبّل عطايا الله، يشبه الشعب الذي تبع يسوع، وانتهى به الأمر إلى التدمر (يو ٦: ٦١). بل «تخلّى عنه من تلك الساعة كثير من تلاميذه وانقطعوا عن مصاحبته» (يو ٦: ٦٦).

ولماذا يذكر يوحنا خبز الشعير الذي هو خبز الفقراء؟ قد يكون هذا الطعام طعام يسوع وتلاميذه. ولكن أترى الله في سخائه لا يقدم لنا أفضل مائدة؟ بلى. هو كما قلنا

خبز السماء، خبز الملائكة. ولكن من الواضح أن يوحنا يقرأ معجزة تكثير الأرغفة على ضوء ما فعل أليشع. قال اندراوس ليسوع: «هنا صبيّ معه خمسة أرغفة من شعير» (يو ٦: ٩). وأخبر سفر الملوك الثاني (٤: ٤٢): «وجاء رجل من بعل شليشة يحمل في جرابه عشرين رغيفاً من الشعير». والإشارة الثانية إلى ارتباط خبر الإنجيل الرابع بخبر أليشع، هي تسمية «الغلام». هناك كلمة «بيس» (بيدوس) التي تعني «الصبي». ولكن كتاب الملوك وإنجيل يوحنا تفرّداً في اليونانية وقالاً: صبيّ صغير، «بيديون».

## خاتمة

تلك بعض الأمور ذكرناها لندلّ على ارتباط العهد الجديد بالعهد القديم على مستوى رواية المعجزات، ولاسيما في دورة الخروج، كما في دورة إيليا وأليشع. وهذه القاعدة الخاصة تصبح عامة على مستوى الكتاب المقدّس، على ما قال الآباء: إن العهد الجديد يغرز جذوره في العهد القديم. والعهد القديم يجد كامل معناه في العهد الجديد. وهكذا نكون في قصد خلاصيّ واحد بدأ مع ابراهيم وموسى وامتدّ إلى داود والانبياء حتى وصل إلى ذروته مع المسيح. وكانت المعجزات وجهاً من وجوه تدخّل الله ليصل بقصده إلى الملء إلى الساعة التي فيها يجمع يسوع في شخصه كل ما في السماء وما على الأرض.

الخوري

بولس الفغالي

## المعجزة لدى المعلمين اليهود

عندما نتحدث عن المعجزة في اللغة العربية، نفهم أننا أمام أمر خارق العادة يعجز البشر عن أن يأتوا بمثله. أمر لا يقدر أن يقوم به إلا الله أو من أعطيت له قدرة الله. وعندما نتحدث عن العجيبة، نشدد على العجب والدهشة أمام ما يقوم به إنسان تقيّ بقدرة الله. ونحن نجد هذا التعبير مراراً في الأناجيل. بعد أن هدأ يسوع العاصفة، تعجّب التلاميذ قائلين: «من ترى هذا، حتى تطيعه الرياح والبحر» (مت ٨: ٢٧). وبعد أن شفى يسوع مجنوناً أخرس، تعجّب الجموع قائلين: «لم يظهر قطّ مثل هذا في إسرائيل» (مت ٩: ٣٣). وقبل أن يكسر يسوع الخبزات، قدّموا إليه المرضى فشفاهم. «فتعجّب الجمع إذ رأوا الخرس يتكلمون والعرج يمشون...» (مت ١٥: ٣١). أما الآية فهي العلامة. فهي شيء منظور يدلّ على ما هو غير منظور. يدلّ على عمل الله الذي لا يرى في جسم إنسان نستطيع أن نراه ينتقل من المرض إلى الصحة، من الموت إلى الحياة. وقد يعمل الله في الطبيعة فيهدئ البحر والرياح، ويكثر الأرغفة، ويؤمن الصيد الوفير.

وإذا تطلّعنا إلى ما يقابل المعجزة<sup>(١)</sup> في الفرنسية مثلاً، نفهم أننا أمام حدث خارق يربطنا بعالم سحريّ أو فائق الطبيعة. وما يقابل العجيبة<sup>(٢)</sup>: ظاهرة تفسّر على أنها تدخل من قبل الله. أما الآية<sup>(٣)</sup> أو العلامة: ما يتيح لنا أن نعرف، أن نحزر، أن نستتج. وهذه

(١) Prodiges. تعود اللفظة إلى اللاتينية التي تتحدث عن قفزة إلى الأمام.

(٢) miracle تحمل اللفظة الآتية من اللاتينية صفة الدهشة والاندھال والعجب. وهناك merveille التي ترتبط بالجذر نفسه mims وتدلّ على ما يحرك الاعجاب.

(٣) signe. لفظه لاتينية. هي تدلّ، تعني، تعبّر عن فكرة، عن نية. تسمّى معجزة قانا الجليل «آية». أراد يسوع أن يحرك الإيمان عند التلاميذ.

اللفظة ترتبط بحضور الشخص الذي يبدو وكأنه وضع ختمه، وقّع بيده فدلّ على حضوره وعمله .

## ١- النصوص

بعد هذه التحديدات للآية والعجيبة والمعجزة، نتعرّف إلى الينوع الذي يتيح لنا أن نقدّم المعجزة في التقليد اليهودي. هذا الينوع هو الأدب الرايبي الواسع جداً.

من كتاب الصلاة (ت ف ل ه) الذي كان يستعمل في زمن يسوع إلى «تكوين ربه» الذي يتضمّن مجموعة التقاليد المدراسية، والذي دوّن في فلسطين في النصف الثاني من القرن الخامس<sup>(٤)</sup>. في المشناة<sup>(٥)</sup>. في أقوال الآباء، في خروج ربّه الذي هو مدرّاش حول الخروج<sup>(٦)</sup> حيث نجد حواراً بين الله وموسى قبل عبور البحر. في معجزة البحر وفي وحي سيناء اختبر الشعب حضور الله الفاعل. في «مكلتا رابي اسماعيل» التي هي تقاليد مدراسية حول الخروج<sup>(٧)</sup>. وفي التلمود<sup>(٨)</sup>.

(٤) هو أقدم تفسير لسفر التكوين وصل إلينا. نقرأ فيه «قول رابي يوحنا (+ ٢٧٩ في فلسطين): «فالقُدوس، مبارك هو، قطع عهداً مع البحر يتضمّن بأن عليه أن ينغلق أمام إسرائيل» (خر)... وقال رابي ارميا بن اليعازر (فلسطين، بداية القرن التاسع): «لم يقطع القُدوس (مبارك هو) فقط عهداً مع البحر، بل مع كل ما خلق خلال ستة أيام البداية. هذا ما يعبر عنه: «أنا الذي نشرت يداي السماوات. وأعطيت أوامر لكل سكانها» (أش ٤٥: ١٢). أمرت السماوات والأرض بأن تسكت أمام موسى حين يقول: «أصيخي أذنك أيتها السماوات فاتكلم، واسمعي يا أرض أقوال فمي» (تث ٣٢: ١). أمرت الشمس والقمر بأن يجمدا أمام يسوع حين يقول: «يا شمس، قفي على جبعون، وأنت يا قمر على جبل أيلون» (يش ١٠: ١٢). أمرت الغربان أن تطعم إيليا. هذا ما يدلّ عليه: «أمرت الغربان أن تطعمك هناك» (١ مل ١٧: ٤) Cité dans Cahiers Evangile, Suppléments (CES) n° 66 (Paris) 1988, p. 7.

(٥) المشناة دوّنت وجمعت الشريعة الشفهية في نهاية القرن الثاني مع رابي يهودا هاناسي. المشناة هي أساس التلمودين (أورشليم وبابل). وتتوزع على ستة أنظمة وثلاثة وستين مقالاً. من هذه المقالات أقوال الآباء.

(٦) دوّن في القرن العاشر، ولكن تقاليده قديمة جداً.

(٧) دوّنت في بداية القرن ١٧، فبدأت مع خر ١٢ والفرائض حول عشاء الفصح.

(٨) نقرأ مثلاً في بركوت ٢٠: «سأل رابي فافا آباي (٢٨٠-٣٣٩): «لماذا كانت المعجزات ممكنة في الأزمنة القديمة، ولم تعد كذلك في أيامنا؟ هل هي قضية درس (أي هل تنقصنا دراسة التوراة)؟ ... حين كان رابي يهودا (حوالي ١٥٠) ينزع أحد نعليه، يتساقط المطر. أما نحن فنكبكي ونصرخ وليس من ينتبه لنا». CES p. 10

ما نكتشفه في هذه الكتب هو أن الله وحده يستطيع أن يكون صانع العجائب. وبما أنه لا يتبدّل، فقد هيأ كل شيء ساعة الخلق، أخذ احتياطاته منذ البداية (راجع حاشية ٤). أما المعجزة فهي تدلّ على حضور الله وعمله. ليس ميتاً كالأصنام التي لها آذان ولا تسمع، لها عيون ولا ترى. «هو لم يخرجنا بواسطة ملاك ولا بسرافيم ولا بمبعوث ما. فالذي عمل هو القدوس (مبارك هو) شخصياً، في مجده كما قيل (خر ١٢: ١٢): «في هذه الليلة، أعبّر أرض مصر وأقتل كل بكر فيها من الناس والبهائم»<sup>(٩)</sup>.

المعجزة هي عطية الله، وهي تقابل الحرارة الدنيّة عند المؤمنين. تساءل الناس: لماذا لم نعد نرى المعجزات؟ وسأل رابي فافا أبيي. فأجاب هذا: أنت تسأل لماذا؟ لأن الأقدمين كانوا مستعدّين لأن يضحّوا بحياتهم من أجل تقديس الاسم (اسم الله). أما نحن فلسنا بمستعدّين لهذه التضحية<sup>(١٠)</sup>. ولكن المعجزة ليست شيئاً شاذاً يحدث مرّة ويتوقّف. إنها تملأ الحياة اليوميّة: رحمة الله التي تنير الأرض وساكنيها، حنانه الذي يجدد عمل الخلق. وحين يعطينا قوتنا اليوميّ فهو يجري معجزة شبيهة بمعجزة البحر الأحمر<sup>(١١)</sup>. وسيقول أحد المعلّمين إن تحصيل القوت اليوميّ معجزة كبيرة جداً. وقال رابي أباهو<sup>(١٢)</sup> إن اليوم الذي فيه يسقط المطر أكثر أهميّة من يوم قيامة الموتى. فقيامه الموتى هي للأبرار، ولكن الأبرار والخطأة ينعمون بالمطر<sup>(١٣)</sup>. وقال ربّه<sup>(١٤)</sup>: «يوم المطر أهمّ من اليوم الذي فيه أعطيت التوراة»<sup>(١٥)</sup>.

## ٢ - المعجزة مظهر من مظاهر القوّة

لن نتوقّف عند المعجزة في العهد القديم، ولكننا نودّ هنا أن نقول إنه لما بدأ الشعب العبراني يضعف على المستوى السياسي والحربي، لما صار مشتتاً وسط الأمم، لما صار لا

(٩) سدر هاغاده شل فصح أي ترتيب إخباري حول الفصح CES p. 9-10

(١٠) التلمود، بركوت ٢٠ أ 11 CES p.

(١١) مدرّاش تهليم أو مدرّاش الزامير (جُمع في القرن ١٣) CES p. 11

(١٢) معلّم فلسطيني عاش في بداية القرن الرابع.

(١٣) تلمود، تعנית ٧ أ، 13 CES p.

(١٤) معلّم كبير في بابل. توفي سنة ٣٥٢.

(١٥) تلمود تعנית ٧ أ، 13 CES p.

كيان له ولا قوة، لما رأى نفسه خاضعاً لسلطة أجنبية، تعلق بالله وحده وأراد أن يكون هذا التعلق ظاهراً حتى للذين من الخارج. لهذا كان تشديد على المعجزة حتى ولو كان الأمر طبيعياً. هنا نذكر ما سمي «الضربات العشر» في سفر الخروج. أن يصير لون مياه النيل أحمر فأمر معروف في مصر ساعة يحمل النهر الطمي. ولكن الكاتب رأى في هذا اللون، «الدم» الذي قد يكون دم الأطفال العبرانيين أو دم أبكار مصر. وهكذا نقول عن البعوض والضفادع. وحين روى الكاتب ما روى، ضخم الأمور ليدلّ على أنه ليس أمام أمر طبيعي يحصل كل يوم، بل أمام تدخل خاص من قبل الله الذي يلاحق فرعون وأهل مصر حتى آخر موضع يستطيعون أن يختبئوا فيه. ونأخذ مثلاً الضفادع، ووجودها معروف حيث المياه. أما الكاتب الملهم فقال: «يفيض النهر بها، فتصعد وتتشر في بيتك وغرفة نومك وعلى سريرك (يا فرعون)، وفي بيوت عبيدك وشعبك، وفي أفرانك ومعاجنك». وزاد: «وتصعد الضفادع عليك وعلى جميع عبيدك»<sup>(١٦)</sup>.

ويشدّد الكاتب على قدرة الله التي تفعل في الحال، وكأننا أمام قوة سحرية. مدّ موسى يده على الأنهار فخرجت الضفادع. صرخ موسى فاستجاب الله. فكأنني بالله صار أداة في موسى، ولم يعد موسى أداة في يد الله. كأنني بموسى يوجّه «المعركة» ضد فرعون، عابد الأوثان، والله ينفذ له خططه. وفي أي حال، هذا ما يفهمه المصريون. ضرب موسى<sup>(١٧)</sup> النهر فتحوّل إلى الدم. «وفعل كذلك سحرة مصر بسحرهم» (خر ٧: ٢٢). ولكن السحر عند موسى أقوى منه عند سحرة مصر. ألقى موسى العصا فصارت حية. فدعا فرعون المنجّمين والعرافين. وهم سحرة مصر، فصنعوا كذلك بسحرهم. . . . ولكن عصا هارون ابتلعت عصيهم» (خر ٧: ١٢). وفي الضربة الثالثة، ستركع السلطة الدينية في مصر، ويعلن سحرة مصر: «هذه إصبع الله». أجل، الله هو الأقوى. وبالتالي، ليس شعبه بضعيف. وبعد ذلك تتراجع السلطة السياسية وفي النهاية تستسلم<sup>(١٨)</sup>.

(١٦) خر ٧: ٢٦-٢٩. في الترجمة اليسوعيّة القديمة، ٨: ١-٤.

(١٧) يقول النص: هارون. في الواقع هو موسى. ولكن التقليد الكهنوتي أراد أن يبرز شخص هارون، فيجعله مع موسى، أو أحله بعض المرات محلّ موسى، كما هو الحال هنا وفي آ ١٠.

(١٨) في خر ٨: ٤ طلب الفرعون من موسى وهارون: «تشفّعوا فيّ إلى الله». رج آ ٢٤. وفي ٢٧: ٩ قال فرعون: «خظنت هذه المرة. الربّ عادل وأنا وشعبي أشرار. تشفّعوا إلى الربّ»، رج ١٠: ١٦-١٧.

وما نلاحظه في النهاية هو أن الضربة تصيب المصريين ولا تصيب العبرانيين، وهكذا يفهم الشعب أن الله معه على غيره، على الأعداء. في الضربة الخامسة «ماتت مواشي المصريين كلها. وأمّا مواشي بني إسرائيل فما مات منها واحد» (خر ٩: ٦). ونزل البرد على أرض مصر كلّها، مع أن هناك مناطق لا ينزل فيها مطر. «أما أرض جاسان التي فيها بنو إسرائيل فلم ينزل عليها البرد» (١٩). وجاءت الظلمة في الضربة التاسعة. «فما كان الواحد يبصر الآخر» في مصر، أما «بنو إسرائيل فكان لهم نور في مساكنهم» (خر ١٩: ٢٣).

وسواصل سفر الحكمة التأمّل في الضربات العشر، فيدلّ على حكمة الله في كل ما عمل. عطش بنو إسرائيل وما إن صرخوا إلى الربّ حتى أخرج لهم ماء من الصخر (١١: ٤). أما المصريون، فالماء الذي عندهم تحوّل إلى دم فما عادوا يستطيعون أن يشربوا منه. جاء الحيوان على المصريين فعذبهم، أما بنو إسرائيل فجاءهم طير السلوى غذاء، بل أطيب غذاء في تلك الصحراء القاحلة. وفعلت الحيات في المصريين ما فعلت ساعة نجّاهم العبرانيون بالحية النحاسية. للشعب العبراني سقط من السماء منّ، أما للمصريين فسقط البرد بشكل حجارة أماتت بهائمهم. حلّت الظلمة في وضح النهار على المصريين. أما العبرانيون فكان لهم عمود نار ينير طريقهم في البرية (حك ١٦-١٨). وكانت النهاية في البحر الأحمر (ف ١٩).

وحين يُنقل النصّ العبري إلى اليونانية في الترجمة المسمّاة سبعينية، سوف نرى تشديداً على الوجهة العجائبية حيث لا نرى معجزة. اكتفي هنا بإعطاء مثلين إثنيين. واحد من سفر الملوك الأوّل يتحدث عن إيليا الذي ذهب إلى قبائل عربية، فأضافته أحسن

---

(١٩) خر ١٩: ٢٦ هنا نذكر معركة يشوع مع الاموريين. «أمضى يشوع الليل كله صاعداً من الجلجال، وهجم عليهم بغتة» (يش ١٠: ٩). إذن، انتهت المعركة عند طلوع الفجر، فما الحاجة بعد إلى إيقاف الشمس والقمر؟ ونزل البرد على الاموريين (لا على بني إسرائيل)، «رماهم الربّ بحجارة عظيمة من السماء إلى أن بلغوا عزيقة فهلكوا. وكان الذين هلكوا بحجارة البرد أكثر من الذين قتلهم بنو إسرائيل بالسيف» (يش ١٠: ١١). دون سفر يشوع في صيغته النهائية ساعة عاد بنو إسرائيل من السبي، وكانوا خاضعين للسلطة الفارسية. لهذا روي ما روي من منظار قدرة الله الذي يستعمل عناصر الطبيعة. فما أرادوا أن يقولوه: الله معنا وليس مع أعدائنا. فلا تخافوا. تلك هي نتيجة خيرة الاحباط التي عاشها العائدون من السبي.

ضيافة: الخبز واللحم ساعة كانوا يأكلون هم الحليب واللبن. أما التقليد اللاحق منذ ابن سيراخ، فتحدّث عن «الغراب» الذي حمل الطعام إلى إيليا<sup>(٢٠)</sup>. والمثل الثاني ينطلق من نصّ أشعيا الذي يتحدّث عن «صبية متزوّجة» أنجبت للملك ابناً. أما السبعينية فقد ترجمت لفظة «صبية» بـ «العذراء» في اليونانية، وهكذا برزت المعجزة في هذا العمل العجيب الذي قام به الله<sup>(٢١)</sup>. نوّد هنا أن نقول إن الولادة التي يتحدّث عنها أش ٧: ١٤،

(٢٠) ماذا يقول النص؟ «أقام إيليا عند نهر كريت شرقيّ الأردن» (١ مل ١٧: ٥-٢). وفي العبرية نقراً آ ٦: «و.ه. ع ر ب ي م. م ب ي ا ي م. ل و. ل ح م. و ب س ر. ب ب ق ر...». «كان العرب يأتونه بخبز ولحم في الصباح، وخبز ولحم في المساء». فالله يعتني بنبية. كان بين أهله، فلم يستقبله أهله (سيكون يسوع مثله: جاء إلى خاصته وخاصته لم تعرفه، يو ١: ١١). ذهب إلى أرض غربية في الشرق فاستقبله العرب أحسن استقبال وذبحوه له، وهذا ما لم يكونوا يفعلونه إلا في الأحوال النادرة. وذهب إيليا أيضاً إلى الغرب، إلى أرض غربية، في صرفت صيدا، فاستقبله أفقر الفقراء. استقبلته أرملة لم يكن عندما سوى «قبضة من الدقيق وقليل من الزيت في الخابية» (١ مل ١٧: ١٢). ماذا قالت له: «أجمع عودين من الحطب لأعد «طعاماً لي ولابني، فنأكله ثم نموت من الجوع» (١٢ أ).

ولكن أن يطعم الإنسان أخاه، ليس بمعجزة. لهذا قرأت السبعينية «غريبان» بدل «العرب» وأرثنا الايقونات الغراب (بلونه الأسود وحامل الشؤم) يحمل خبزة إلى إيليا. ويبقى اللحم. فلفظة «ع ر ب» تعني العرب والغراب. قالت اليونانية: «كانت الغريبان تحمل إليه الخبز في الصباح واللحم في المساء».

Kai hoi korakes epheron autō artous to prōi kai kreira to deilés.

فهي لا تستطيع أن تحمل الاثنين معاً. وسوف تقول السبعينية عن «صعود إيليا»: «عربة من نار وخبيل من نار فصلت بينهما. وأخذ إيليا في العاصفة كما إلى السماء» (٢ مل ٢: ١١). أما ابن سيراخ فقال: «خُطفتَ (يا إيليا) في عاصفة من النار، في مركبة خيل نارية» (٩: ٤٨). وهكذا نسي الكاتب (ابن سيراخ) أو المترجم (حفيده) أن النار تدلّ على الله، وأن الإنسان لا يقدر أن يقترب منها. هي مرّت قرب إيليا فأخذته على ما كان يقال: «لا يستطيع أحد أن يرى الله ويبقى على قيد الحياة». رج بولس الفغالي، التاريخ الاشتراعي، المكتبة البولسية. ١٩٩٢، ص ٤٥٩، ٤٨٢-٤٨٥، جريدة ببيليا ٢٣ (١٩٩٣) ص ٥ بعنوان «نهاية إيليا موت أم انتقال». وفي المسرة تموز- آب ١٩٩٣ ص ٥٢٣-٥٣٤ بعنوان «إيليا النبيّ، من جبل الكرمل إلى جبل الصعود».

(٢١) ترجمت «ع ل م ه» التي هي مؤنث ما يقابل في العربية «غلام» «غلاما» (الطريّ الشارب) Parthenos التي قد تعني الصبية، ولكنها تعني بالأحرى العذراء والبتول، الصبية غير المتزوجة. لهذا، إذ أراد اليهود في بداية القرن الثاني المسيحي أن يتباعدا عن المسيحيين الذين قرأوا في أش ٧: ١٤ نبوءة عن مريم العذراء الذي ولد منها يسوع، عادوا مع راوي عقيدة إلى Neanis رج Theological Dict. of the NT, vol V (Eerdmans 1993, p. 831-832 avec l'étude de «almah» qui peut signifier la femme mariée et l'étude de «Parthenos» qui équivant en grec à «ب ت ل».

ليست ولادة الولد من حشا أمه، بل ارتقاؤه العرش، وفي ذلك اليوم يتبناه الله. فالعيد في أرض إسرائيل لا يحتفلون به يوم يولد ابن للملك، بل يوم يعتلي هذا الابن العرش فيقول له الله: «أنت النبي، أنا اليوم ولدتك» (مز ٢: ٧).

### ٣ - تحفظ تجاه المعجزة

هذا المظهر المدهش للمعجزة، الذي يدلّ على أن الله هو معنا وضدّ الآخرين الذي هم «أعداؤنا» وبالتالي أعداء الله، سيكون موضع تساؤل وتحفظ. هل الله معنا لأننا من شعبه بعد أن قبلنا الختان؟ وما يلفت النظر، هل يكون دومًا المعيار الأخير للحكم؟ أما يفعل الله أيضًا بشكل سرّي في قلب عبده ولا سيّما في من سُموا «مساكين الرب»؟ فالمعجزة لا موضع لها إلا داخل إيمان الشعب، ولا يمكنها أبدًا أن تتعارض مع هذا الإيمان.

في هذا المجال، قال سفر التثنية الذي وصل إلينا في صيغته النهائية بعد العودة من المنفى: «إذا قام فيما بينكم نبيّ أو حالم حلم<sup>(٢٢)</sup>، فوعدكم بأية (أوت) أو معجزة (م و ف ت)، وتمت هذه الآية أو المعجزة (أو: الأعجوبة) التي كلّمك عنها قائلًا: لنذهب وراء آلهة أخرى (في تطواف أو زياح. ونسلك بحسب التعليم الوثني) (أي: غريبة) لم تعرفها، ولنعبدها، فلا تسمع لكلام هذا النبيّ أو حالم الحلم. فالربّ إلهكم يمتحنكم لكي يعرف هل تحبّون الربّ إلهكم من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم. . . ذلك النبيّ أو حالم الحلم يُقتل، لأنه تكلم بهذا الكلام ليصرفكم عن الربّ إلهكم الذي أخرجكم من أرض مصر» (١٣: ٢-٦). هناك مقياس لا نستطيع أن نتخلّى عنه: خبيرة الخروج من مصر، بيد الله القويّة وذراعه المحدودة. وهناك عقيدة تبقى الأساس في كل ظواهر النبوءة والرؤى: عبادة الله الواحد. فكل ما يبعدنا عن هذه العبادة كل ما يشوّه هذه العبادة أو يجعلنا نشرك «شيئًا» آخر مع الله، يجب أن يرفض.

إن تعليم النبيّ يترافق مرارًا بأية عجائبية تؤكّد الأصل الإلهي لأقواله. هذا ما كان بالنسبة إلى موسى (خر ٤: ٣٠-٣١) وإيليا (١ مل ١٨: ٣٦-٣٩) وأشعيا (٧: ١٤). ولكن الأنبياء الكذبة قد يجرون آيات كما فعل سحرة فرعون (خر ٧: ١١؛ رج مت

(٢٢) شخص يعتبر أنه رأى رؤية من عند الله.

٢٤:٢٤). لهذا، حذّر سفر التثنية المؤمنين من هؤلاء «المشعوذين» الذين عرفتهم كل العصور، وشدد على معيار التمييز: مضمون التعليم النبوي<sup>(٢٣)</sup>.

هنا نقرأ نصاً أول في التلمود نجد فيه معلماً تقياً اعتبر أنه يستطيع أن يجري الايات بالنظر إلى استحاقاقاته. غير أن الرجل القديس رأى أن العجائب المصنوعة تُحذف من المكافأة التي تنتظرنا. «كان في نهارديا<sup>(٢٤)</sup> جدار مهدّد بالسقوط. فاعتاد راب وصموئيل<sup>(٢٥)</sup> أن يتجنباه مع أنّ حاله لم يتبدّل منذ ١٣ سنة. في ذات يوم، جاء رابي عدّة بن أهبة<sup>(٢٦)</sup> إلى تلك المدينة. وقال صموئيل لراب: تعال ندور (حول الجدار). فقال راب: لا حاجة إلى ذلك اليوم، لأن رابي عدّة بن أهبة معنا، فاستحقاقاته كبيرة. لهذا لا أخاف شيئاً...»<sup>(٢٧)</sup>. بعد ذلك الوقت سقط الجدار فقال رابي عدّة إنه لا يجب أن نتعرض للخطر ونحن ننتظر معجزة. فقد لا تتمّ المعجزة. وإن تمّت نخسر بعض المكافأة التي نكون قد استحققناها. فقد كُتب، «صرت صغيراً بسبب كل النعم» (تك ٣٢: ١١). في هذا المجال نتذكّر كلام أحد الاخوة السبعة الذين تألموا في سبيل الإيمان في أيام انطيوخس الرابع: هو الربّ. إن شاء، أجرى معجزة وخلصنا. وإلا فنحن نموت من أجل الشريعة، والربّ يقيمنا من أجل حياة أبدية (٢ مك ٧: ٩).

وتوقّف العلماء عند «المعجزة» في المناقشات السلوكية. فقال ييموت (حول الزواج) في التلمود يتساءل حول زواج المرأة التي فقدت بعلمها وما استطاعت أن تقدّم الدليل على أنه مات. والجواب: «لا نستطيع أن نستند إلى المعجزات ونعتبرها دليلاً» (١٢١ب). ثم إن شريعة سلوكية لا يمكن أن تستند إلى «بنت القول» أي إلى صوت جاء من السماء. وفي التلمود (بابا مصيا ٥٩) سيقتل أحدهم شجرة الخروب وينقلها مئة ذراع (وقال آخرون ٤٠٠ ذراع) فليل له: «هذه الخروبة لا تعطى الدليل». وجعل المياه تتراجع من

٢٣) Voir TOB. Texte intégral note y p. 376 بولس الفغالي من سيناء إلى موآب، المكتبة البولسية، ١٩٩٦ ص ٢٩٠-٢٩١. سيعود سفر التثنية أيضاً إلى هذا الموضوع الذي يبقى شائكاً جداً (٢: ١٨). المهمّ التطابق مع مضمون التعليم ونمأسكه مع أعمال الله وأقواله - VON RAD Deuteronomy, Philadelphia, 1952, p. 96-97.

(٢٤) مدينة في بابلونية، كان فيها أكاديمية رابينية.

(٢٥) معلّمان بابليان مشهوران. تُوقفاً في منتصف القرن الثالث.

(٢٦) هو تلميذ راب، وقد اعتُبر أنه يصنع المعجزات.

(٢٧) التلمود، تعنيت ٢١أ، p. 14 CES

أسفل إلى أعلى. فكان الجواب ليس هذا بدليل . . . وجاء صوت من السماء. فقيل له: «ليس هذا القول في السماء». فليست التوراة في السماء (تث ٣٠: ١٢)، بل أعطيت على جبل سيناء.

## ٤ - الانتقاء والمعجزات

وهكذا نصل إلى الرجال الانتقاء الذين تجري المعجزات على أيديهم، وقد سبق وذكرنا بعضاً منهم. ونذكر الآن «صانع الدوائر»<sup>(٢٨)</sup> الذي عاش في الثلث الأول من القرن الأول ب. م. أشارت إليه المشناة وتوسفتا<sup>(٢٩)</sup> من خلال نصوص رابينية، كما عرفه فلافيوس يوسيفوس، المؤرخ اليهودي<sup>(٣٧-١٠٠)</sup>. أما مثال «صانع الدوائر هذا فهو إيليا النبي الذي قال: «لا يكن في السنوات ندى ولا مطر إلا حين أعلن ذلك» (١ مل ١٧: ١؛ رج تكوين ربه ١٣/١: ٧).

وذكر يوسيفوس في العاديات اليهودية<sup>(١٤: ٢٢-٢٤)</sup> أونياس (أي هوني) الذي كان رجلاً باراً وخليلاً لله. مرت فترة بدون مطر، فصلّى إلى الله لكي يضع حداً للجفاف. فسمع الربّ صلواته وأرسل المطر. وشدّدت المشناة في مقال تعنيت (أي: الصوم، المقال التاسع في نظام موعد) على الصوم والصلاة من أجل المطر. فالجفاف يُعتبر عقاباً من الله. يروي هذا المقال (٨: ٣) أنهم صلّوا وصاموا دون أن يحصلوا على المطر. فقام «هوني» ورسم دائرة وأقام في وسطها وقال: «يا ربّ الكون، وضع أبناؤك ثقتهم فيّ لأنهم اعتبروني من خلّانك. أقسم باسمك العظيم أنني لن أتحرك من هنا حتى ترحم أبناءك». فبدأت نقاط مطر تتساقط. فقال: «ما هذا الذي طلبته، بل طلبت ما يطلب الآبار وكل جبّ ومغارة». فسقط الشتاء مدراراً. . . . وتروي توسفتا تعنيت (٨: ٣) أنه قيل لأحد الانتقاء (لا يُذكر هنا اسم هاني): «صلّ فيسقط المطر». صلّى فنزل المطر. ثم قالوا له: «كما صلّيت فتساقط المطر، صلّ لكي يتوقّف».

ويذكر التلمود (تعنيت ٢٣ب) حكليا، أحد أحفاد هاني، كما يذكر حنين حفيد هاني من ابنته الذي صلّى إلى القدوس فقال: «يا سيّد الكون، أرسل مطرك إلى أولادك الذين لا يعرفون أن يميّزوا أباً يستطيع أن يعطي المطر من أب لا يستطيع».

(٢٨) هان ي. ه. مع ج ل.

(٢٩) توسفتا: الزيادات، المحقق. تعليم الرّدادين (أو: نائيم) التي تكملّ تعاليم المشناة.

نرى في وجه هاني ذاك الذي «يفرض» نفسه على الله، ذاك الذي يريد أن يُستجاب سريعاً. ولكن أين تقع الصلاة التي لا تملّ في هذا الإطار؟ وإذ يفرض هاني على الله بأن يتدخل، يبدو وكأنه يجربّ الله ويمتحنه كما نقرأ في خر ١٧: ٧ حيث جربّ بنو إسرائيل الرب، وشكّوا في أن يكون معهم حقاً. فإن كان معهم فلماذا لا يفعل؟ أترأه أضعف من أن يفعل؟ أهو يهمل أبناءه؟

ونذكر أيضاً حنينة بن دوسة الذي كان تلميذ رابي يوحنان بن زكاي. عاش في مقاطعة صفورية في قرية تبعد ١٥ كلم إلى الشمال من الناصرة. امتدّ عمله خلال القرن الأول، وقد احتفظت المشناة بثلاثة أقوال له في أقوال الآباء (فرقه ابوت ٣: ١٠)، ومنها هذا القول: «من يمنح السعادة للخلائق ينال رضى المكان (= أي الله). ومن لا يمنح سعادة للخلائق، لا ينال رضى المكان».

نبدأ فنذكر معجزة نعم بها حنينة بصلاته<sup>(٣٠)</sup>. كان يمشي في الطريق وهو يحمل سلّة مملوءة ملحاً. فبدأ المطر يتساقط. فتوجّه حنينة إلى الله: «يا سيّد الكون، الكلّ راضٍ في هذا الوقت ما عدا حنينه». فتوقّف المطر. ولما وصل إلى بيته قال: «الكون كله في غمّ وكدر ما عدا حنينه». حيثنذ تساقط المطر من جديد<sup>(٣١)</sup>.

وتتحدّث المشناة في «بركوت ٥: ٥» عن شفاء المرضى. فإن حنينة يعرف أنه عندما يطلب من الله شفاء مريض، فطلبه يستجاب حين يتوصّل إلى الصلاة بسهولة. روى أن رابي حنينة بن دوسة كان يصلّي من أجل المرضى ويعرف مسبقاً من يحيا ومن يموت. فسألوه كيف يعرف ذلك. فأجاب: «إذا سألت صلاتي بسهولة من فمي، أعرف أنها استجيبت، وإلا أعرف أنها ألغيت».

ويورد التلمود (بركوت ٢٤ب) شفاءين عن بُعد نستطيع أن نقرّبهما ممّا في إنجيل يوحنا (٤: ٥٢-٥٣). أما اللذان نالا هذه النعمة فهما ابنا شخصيتين كبيرتين: الاول، صغير غملائيل القديم (معلّم بولس الطرسوسي حسب أع ٢٢: ٣)، ربان غملائيل الثاني الذي كان رئيس اليهودية الرايبيّة سنة ١٠-٩٠. والثاني ابن ربان يوحنان بن زكاي الذي أسّس «بيت الدرس» في بينه (أو: مينة) بعد دمار أورشليم سنة ٧٠ ب.م.

(٣٠) عكس يسوع. طلب منه المجرّب أن يحول الحجر إلى خبز، فلم يفعل (مت ٤: ٣؛ لو ٤: ٣).  
(٣١) تلمود تعنيت ٢٤ب، CES p. 22.

روى معلّمونا: مرض ابن رابان غملائيل . فأرسل رابان غملائيل اثنين من تلاميذه إلى رابي حنينة بن دوسة، يسأله بأن يطلب الرحمة الالهية لابنه . ما إن رآهما رابي حنينة، حتى صعد إلى العلية (كما فعل إيليا، ١ مل ١٧: ١٩)، وشرع يصلي إلى الرحيم من أجل المريض . وحين نزل قال للتلميذين: تستطيعان الذهاب، فقد فارقت الحمى (ق يو ٤/٥٢) . لست نبياً ولا ابن نبيّ (رج عا ٧: ١٤) . ولكني امتلك تقليداً ورثته من أبي . . . وعاد التلميذان إلى رابان غملائيل فأكد لهما: «في الساعة (التي تقولان)، لا قبل ولا بعد، فارقت الحمى وطلب منا أن نسقيه»

ومرة ثانية مضى رابي حنينة بن دوسة يدرس التوراة لدى رابان يوحانان بن زكاي . ومرض ابن يوحنا هذا . فقال رابي يوحانان: «يا حنينة ابني، صلّ لكي يُشفى . فوضع رابي حنينة رأسه بين ركبتيه (كما فعل إيليا، ١ مل ١٩: ٤٢) وتوسّل إلى رحمة الله، فشفي المريض (٣٢) .

قد نستطيع أن نطيل لائحة الاشخاص الاتقياء الذين عملوا من أجل الأفراد، لا من أجل الشعب كله، فما وُضعت «معجزاتهم» على مستوى المعجزات التي جرت حين تأسس شعب إسرائيل في أرض مصر . ثم إن معجزات هؤلاء الناس ارتبطت دوماً بالصلاة . كما توجه إيليا أو أليشاع إلى الله، هكذا يفعل رجال الله بطريقة تجعلنا قريين من الممارسات السحرية .

ذكرنا ما يتعلّق بالمطر في وقت الجفاف . كما ذكرنا الاشفية ولا سيما ما فعله رابي حنينة بن دوسة . ونرى في طرد الشياطين نمطاً آخر من المعجزات يرد مراراً في الأدب الرايبي . يبدو عمل «المقسّم» (طارد الشيطان) وكأنه عمل سحريّ وهو ما ترفضه التوراة بشكل قاطع . غير أن التلمود يعلن أن كل ما نفعله من أجل الشفاء، لا يعتبر عمل سحر وشعوذة (٣٣) .

(٣٢) CES p. 23، رج يو ٤: ٤٦-٥٣؛ مت ٨: ٥-١٣؛ لو ٧: ١-١٠ .

(٣٣) K. HRUBY, Perspectives rabbiniques sur le رج ٧٧ .

miracle in «Les miracles de Jésus», Seuil, Paris, 1977, p. 73-94.

حدثنا التلمود عن رابي شمعون بن يوحاي (٣٤) أنه أخرج الشيطان . وسوف نرى في الخبر التالي أن أشهر المعلمين اعتقدوا أن عالم الشيطان موجود في كل مكان . وحصل أن الحكم الظالم (أي الحكم الروماني بحسب تقليد الرايين) أعلن قراراً (يحرّم على اليهود) بأن يحفظوا السبت والختان (ويأمرهم) بعلاقات جنسيّة مع نسائهم في وقت طمّثهم (وهذا ما تحرّمه الشريعة) . (حينئذ قال المعلمون): من يذهب إلى رومة، ليبعد هذه النكبة، ليكن رابي شمعون بر يوحاي المعتاد على المعجزات . . . . في الطريق التقوا (رابي شمعون ورفاقه) ابن تمليون (وهو شيطان، فقال لهم): أتريدون أن أجيء معكم؟ فشرع رابي شمعون يبكي قائلاً: تراءى ملاك لخادمة بيت جدي (ابراهيم، هو يعني هاجر، تك ١٦: ٧) ثلاث مرات ولي مرة واحدة فقط . ولكن لتحصل المعجزة بأي شكل كان (ولو كان بتدخل شيطان) . سبقهم بن تمليون ودخل في ابنة الامبراطور . ولما وصل (رابي شمعون) قال: أخرج يا ابن تمليون، أخرج يا ابن تمليون! على أثر هذا الأمر تركها (الشيطان) ومضى . حينئذ قال الامبراطور: «أطلبوا ما تريدون . وأدخلهم إلى قاعة الكنز ليختاروا ما يشاؤون . فوجدوا القرار (قرار ادريانس) فمزّقوه . . .» (٣٥) .

هنا نتذكّر جدال يسوع مع الفريسيين بعد أن أخرج الشيطان من رجل أعمى وأخرس . قالوا عنه: «هذا يخرج الشياطين ببعل زبول، رئيس الشياطين» . فأجاب يسوع: «إن كنت أنا ببعل زبول أخرج الشياطين، فأبناؤكم (أو: تلاميذكم) بمن يخرجونهم» (٣٦)؟ هذا يعني أن الفريسيين وتلاميذهم مارسوا طقوس طرد الارواح النجسة كما نقرأ في الأناجيل .

## خاتمة

نستنتج من كل ما قلنا أن المعجزة هي حدث يفوق الوضع العاديّ، فيقلب نظام شريعة الطبيعة . وسببها هو الله . وقد ذكرت التوراة عدداً من الأحداث تدخل في هذا

(٣٤) معلّم من القرن الثاني . تلميذ رابي عقيبة . يروي التلمود (ثبت ٣٣ب) عنه أنه اختبأ مع ابنه ١٣ سنة على أثر قرار أدريانس (بعد سنة ١٣٥) الذي منع تعليم التوراة وممارسة النظم اليهوديّة .

(٣٥) التلمود معله ١٧ أب . رج HRUBY ص ٨٣ .

(٣٦) مت ٢٢: ٢٤، ٢٧ وز .

الإطار: فصل الله مياه البحر الأحمر ليستطيع العبرانيون أن يجتازوه. وسقط المن من السماء، طعاماً للعبرانيين في البرية<sup>(٣٧)</sup>. وصعد إيليا إلى السماء. تتحدث التوراة عن «ج دول وت» أي الأشياء العظيمة، العظام (٢ مل ٨: ٤؛ تث ١٠: ٢١). وعن «نفلوت» أي العجائب (خر ٣٤: ١٠)، تجعلنا نعجب، ندهش) وعن «الآيات والمعجزات» (اوتوت ومفتيم) (إر ٣٢: ٢١).

إن مدوتني التوراة لا يعتبرون أن هذه الأحداث هي غير عادية. فعرض مآثر الله وأعماله العظيمة هي موضوع الكتاب المقدس. فالله دمر سدوم وعمورة، وأتاح لسارة أن تحبل في شيخوختها، وضرب فرعون ضربات قاسية لأنه خطف سارة (تك ١٢: ١٧)، وأخرج الماء لهاجر من بئر في الصحراء (تك ٢١: ١٩).

عاد التقليد اليهودي إلى كل هذه المعجزات فرأى فيها حضور الله الدائم وسط شعبه. تأمل في ما حدث في الماضي، واعتبر أن الله قد هيأه منذ خلق العالم. عاد إلى أمور طبيعية فرأى فيها معجزات الله المتواصلة من أجل شعبه الضعيف المقهور. وما اكتفى المعلمون بتذكر المعجزات الماضية، بل هم قد اجترحوا مثلها في أيامهم: جعلوا المطر ينزل كما فعل إيليا حين أقام ابن الأرملة. وأخرجوا الشياطين لأنهم اعتبروا أن العالم كله تحت سلطتهم. وأعطوا ما معهم فما فرغت أهرآؤهم كما فعل رابي اليعازر<sup>(٣٨)</sup> على مثال أرملة صرفت صيدا بالنسبة إلى إيليا. وفعلوا كم فعل موسى حين صارت يده برصاء، ليهربوا من التجربة<sup>(٣٩)</sup>.

ما يمكن أن نلاحظه هو البحث عما يعجز الإنسان، عما يدل على قدرة الله التي تعمل من أجل شعبه وأتقيائه، عما يدهش. وهذه الظاهرة باقية في أيامنا حين نقرأ

(٣٧) Dict. Enc du Judaïsme, Cerf, Paris, 1993 p. 755-756

(٣٨) ذهب رابي اليعازر يشتري جهاز ابنته، فقيل له إن هناك زواج يتيمين يحتاج إلى المال. فأعطى اليعازر كل ما يملك، فعوض الله عليه: ملأ له أهرآء قمحاً حتى الباب (نجد أخباراً عديدة في التاريخ الشرقي مشابهة لهذا الخبر) رج CES p.29.

(٣٩) حصل لحينة بن فاني أن جاءت به بعض بنات الهوى تجرّه. فقال قولاً، فتغطى جسده بالقروح. CES p.31.

النصوص الإنجيلية. نتوقف عند قدرة يسوع الذي يُجري المعجزات وننسى التعليم الذي توخاه الإنجيليون حين رَووا لنا معجزة من المعجزات. كل هذا يدعونا إلى أن نعرف كيف نقرأ الآيات والمعجزات. فقد تقود إلى الإيمان ولكن الرب يقول لنا ما قاله لتوما: «طوبى للذين لم يروا وآمنوا».

الخوري  
بولس الفغالي

## الشياطين وطرد الارواح في العالم القديم

حين ندرس «امتلاك» الشيطان للناس وطرده في الأخبار الانجيلية، نتذكر المحيط الذي حصلت فيه هذه الأمور، أو الذي فيه دوّنت: هناك مراجع أدبية وتقاليد شعبية. إلى أي حدّ كانوا يميّزون بين المرض وامتلاك الشيطان لانسان والاقامة فيه؟ وكيف يتمّ الفصل بين شفاء طبيعيّ وتعزيم يخرج الشيطان على أكثر من انسان من الناس؟

### ١ - في العصور القديمة

إن الاعتقاد بالشياطين وامتلاك الشياطين للبشر، واقع حضاريّ شارك فيه معاصرو يسوع، سواء من العالم اليهوديّ أم من العالم اليونانيّ. ومن بحث في الجذور القديمة لهذا المعتقد، اكتشف «وجود نفس» أو «وجود روح» في الكون. هذا الروح يعمل في الطبيعة، يحسّ به الانسان وبقدرته، وينسب إليه نوايا صالحة أو شريرة. هذا ما نجد حتى اليوم في الحضارات التقليدية في أفريقيا وفي قبائل بدائية ما زالت تعيش في أستراليا أو غيرها من البلدان.

في العالم الوثنيّ القديم، امتزج «عالم الروح» هذا بميتولوجيات منظّمة، فدلت على أن القوى الإلهية تُشرف على الكون وعلى الانسان. وهذه القوى التي تقيم في الأعالي العلوية، تستعمل وسطاء لتنفّذ على الأرض مقاصدها: هي الارواح والشياطين من كل نوع. تسبح في الجوّ أو تمتزج مع البشر في حياتهم اليومية.

وتتنظم هذه «الأرواح الخيرة والشريرة» في صراع ينعكس صراعات على الأرض، بين الشر والخير، بين النور والظلمة، بين النظام والفوضى أو الشواش. هذا ما نجدّه في بلاد الرافدين: بعد أن انتصر مردوك على تيامات، تنين البحر والفوضى، أعاد تنظيم الأرض. والفصل الأول من سفر التكوين يرينا الله الذي يفصل المياه العليا عن المياه السفلى، ثم اليابسة عن المياه، والنور عن الظلمة. وبعد ذلك يزيّن الفلك بالشمس والقمر والكواكب، ويملأ الأرض بالنبات والحيوان والإنسان. غير أننا لا نجد كلمة واحدة عن خلق هذه الأرواح التي ستسمّى ملائكة، أو أرواحاً خيرة، وشياطين أو أرواحاً شريرة. وسيحاول المعلّمون وآباء الكنيسة أن يجدوا في مسيرة الخلق، «اليوم» الذي فيه خلق الله الملائكة والشياطين: في اليوم الأول من الخلق.

وهكذا انقسم هؤلاء «الأرواح» حسب أعمالهم التي تحمل الخير أو تحمل الشر، بل تقاسموا العالم، فصاروا الجنّ والغيلان والعفاريت والملائكة وأعطوا أسماء، كما ذُكرت الشياطين وعملهم المضرّ. هنا نذكر سفر طوبيا والشیطان اسموداوس الذي قتل أزواج سارة السبعة. وفي النهاية، تغلّب عليه طوبيا حين أحرق كبّد الحوت، فأجبره على الهرب إلى برية مصر.

ما كان موقف العهد القديم من هذه المعتقدات؟ هناك الاله الواحد. وهذا الايمان يستبعد وجود الآلهة وعملهم. في الطوفان بحسب غلغامش، الآلهة تعمل. في الطوفان كما تحدّث عنه سفر التكوين (ف ٦-٩)، الله الواحد هو في حوار مع نوح لكي يخلّصه. وهو أساس عقاب البشرية الخاطئة التي ارتدت العنف لباساً.

وبجانب هذا الاله هناك قوى خاضعة له. قد تساعده في تنفيذ مقاصده من أجل البشر. هي الملائكة. مثل رفائيل في سفر طوبيا. وميخائيل في سفر دانيال. هذا عدا ما نجدّه في الأسفار المنحولة ولا سيّما سفر أخنوخ. هذه الملائكة تطيع الله في عمله. أما الذين يعارضونه فهم الشياطين الذين يحاولون بكل الوسائل أن يحملوا الضرر إلى البشر.

## ٢- في العالم اليهودي

دراسة «حضور» الشياطين في العالم اليهودي دراسة متشعبة. لقد أخذ العبرانيون الكثير من كنعان ومصر وبلاد الرافدين وإيران، كما استقوا ممّا وجدوه في العالم اليونانيّ الذي ارتبط من قريب أو بعيد بالعالم الهنديّ.

على المستوى العقائديّ يختلف إطار عالم الشياطين عمّا نجده في النصوص الوثنيّة. بما أن قدرة الاله الواحد تتغلب على كلّ قدرة أخرى، فالقوى الخفيّة التي تتحرّك خارجاً عنه أو ضده، لا يمكنها إلاّ أن تكون خلائق تأتمر بأمره. وقد أعطاه سلطة محدودة لكي تتمحن الانسان الذي يبقى رغم كل شيء مغموراً بعناية الله. هذا ما نجده عند أيوب. «سمح» الله له بأن يضرّ ذاك البار في أمواله وممتلكاته. وفي مرحلة ثانية، سمح له فقط بأن يرسل المرضى إلى أيوب. من هذا القبيل، تبقى هذه «الأرواح النجسة» خاضعة لله، وعملها لا يزيل قصد الله الخيريّ تجاه البشر.

أما على مستوى التصورات، فالعالم اليهوديّ سيلجأ إلى صور وعبارات يأخذها من العالم المحيط به. بما أن الانسان جسد يرتبط بالمادّة، فهو بحاجة إلى المادّة لكي يعبر عن فكره وعقله، عن خبرته التي تتجاوز عالم المادّة. وهكذا أخذت التوراة شخص «اسمو داوس» الذي هو شرّ الشياطين» (طو ٣: ٨) من إيران، ووسمته بسمات الملاك «المدمر» الذي ضرب الشعب بالبواباء بعد خطيئة داود (١ صم ٢٤: ١٦)، والذي ذكره سفر الحكمة (١٨: ٢٥) فقال: «حين رأى المهلك هذا، خاف وتراجع».

وشيطان سفر أيوب الذي هو المتهمّ الأول (أي ١: ٦)، صار ملهم الشرّ والمجرّب (أخ ٢١: ١). فإن كانت الديانة اليهوديّة قد أزلت من فلسطين الآلهة الوثنيّة القديمة، إلاّ أن تلك الآلهة التي أنزلت عن عروشها، صارت ترمز إلى الشرّ وسميت «بعل زبول» أي «بعل الأمير»، و«رئيس الشياطين» (مت ١٢: ٢٤). فإن قلنا إن الله ليس سبب الشرّ على المستوى الماديّ كما على المستوى الأدبيّ، فالشيطان هو حاضر هنا وهو يسعى لكي يُسيء إلينا أو يجتذبنا إلى الشرّ: في الحالتين هو يحرك قوى «خفيّة»، يحرك «الملائكة الساقطين»، لأنه هو ملاك ساقط، كما يقول التقليد اليهودي المتأخر في تفسير تك ٦: ١-٢ على ضوء سطرة كنعانيّة قديمة. قال العليّ لرفائيل: «قيّد عزائيل برجليه ويديه، واطرحه في الظلمة. إفتح البريّة التي في داودئيل وألقه في داخلها. . . وفي يوم الدينونة العظمى، سيُقاد إلى النار» (أخنوخ الحبشي ١٠: ٤-٦).

في التوراة، كان الله يُعتبر سبب كل شيء، سبب الشرّ وسبب الخير، سبب الصحّة وسبب الشقاء، سبب الحياة وسبب الموت. ولكن مع الوقت، صار الشيطان محرّك الانسان إلى الشرّ. في ٢ صم ٢٤: ١ نقرأ أن الربّ دفع داود لكي يحصي الشعب. وبما أن هذا الاحصاء خطيئة، بدا وكأن الله دفع الملك إلى الخطيئة دفعاً. ولكن أخ ٢١: ١

تحدّث عن الشيطان الذي «دفع داود لكي يحصي اسرائيل». وستتوسّع هذه الفكرة مع الأدب اللابيلي. مثلاً، في تك ١: ٢٢ امتحن الله ابراهيم وطلب منه أن يذبح له ابنه. أما «كتاب اليوبيلات» (دوّن في بداية القرن ٢ ب.م.) فدلّ على أن الأمير مستيماً (= الشيطان) ألهم ابراهيم بأن يذبح ابنه لكي يرضي الله (١٧: ١٦)، فالتجربة لا يمكن أن تأتي إلا من الشيطان. وفي تك ١٧: ١٢، ضرب الرب فرعون (مع بيته) لأنه خطف سارة. أما «منحول التكوين» الذي وُجد في قمران، فقال إن روح شرّ أرسله الله، ضرب المصريين فما عادوا يستطيعون أن يقيموا علاقات جنسيّة. وتمّ شفاؤهم حين تشفّع ابراهيم من أجلهم. أبعد الروح النجس فتوقّفت الضربة.

ومع بروز الأدب الجليانيّ انطلاّقاً من القرن ٢ ق.م.، تكاثرت الشياطين والارواح النجسة، كما تكاثرت الملائكة الذي صاروا وسطاء بين الله والإنسان. لهذا مارس اليهود التقسيم من أجل طرد الشياطين كما نقرأ في مت ١٢: ٢٧. وكانت ممارسة ملتبسة تبحث عن عبارات ناجعة وأسماء قديرة تستدعيها لكي ينال الانسان ما يطلب (أع ١٩ ١٣-١٦). وعرف العالم الوثنيّ ممارسات مماثلة مع إبراز عقليّة سحرية ترتبط بالتقاليد القديمة.

### ٣ - علاقة هذه المعتقدات بالمرض والشفاء

هنا نطرح السؤال على نفوسنا: هل كان لهذه المعتقدات تأثير في المرض والشفاء من المرض؟ لا نستطيع أن نعطي جواباً قاطعاً في هذا المجال. ففي العالم الشرقيّ القديم، كان الناس يمشون إلى الكهّان لينالوا الشفاء، وإلى المعزّمين لكي يتخلّصوا من «شياطينهم». وُجدت أدوية «شعبية». ولكن اللجوء إلى عبارات «توسلية»، وإلى دعوة «الأسماء»، نجح أكثر من جميع الأدوية. لا شكّ في أن هذا المزيج بين السحر والطبّ، ترك شيئاً فشيئاً المجال للطبّ دون أن يتخلّص من السحر. وفي العالم اليهوديّ، كانت الصلوات والتقسيمات والدعاءات بجانب الأدوية. كان الملائكة يُرسَلون من أجل الخير. وكان الشياطين أيضاً يمارسون شرّهم.

هنا نقرأ ما قاله يشوع بن سيراخ: «كرّم الطبيب لأن الله خلقه. لأن الطبّ آت من عند العليّ... الرب خلق الأدوية من الأرض، والرجل الفطن لا يكرهها...». (٣٨: ١-١٥). أجل، في القرنين ٤-٣ ق.م، صار الطبّ موضوع احترام، واعتُبر عطية

الله للبشر. وسوف نرى الأطباء العديدين في المدن والقرى في اليهودية والجليل، كما تقول المشناة والتلمود. ويتحدّث مر ٢٦:٥ عن الأطباء العديدين الذين عالجوا المرأة النازفة.

ولكن مع العودة إلى الطبيب والأدوية، نرى دوماً النظرة الشعبية إلى المرض. سببه الشيطان. هي امرأة منحنية الظهر لا تستطيع أن تنتصب. لماذا؟ لأن «فيها روح شرير أمرضها» (لو ١٣: ١١). ومجنون الجراسيين الذي تتحدّث عنه الأناجيل الإزائية الثلاثة، فيه أكثر من شيطان، فيه جيش من الشياطين، فيه لجيون (أي: فيلق). وهكذا انتشر تأثير الشياطين والأرواح النجسة في العالم اليهودي كما في العالم الوثني. من أجل هذا، ذكرت الأناجيل «معجزات» عديدة تتحدّث عن طرد الشياطين وما يتبع هذا الطرد (أو يرافقه) من شفاء.

## خاتمة

ذاك هو الإطار الذي عمل فيه يسوع. حماة بطرس مريضة بالحمى، فزجر يسوع الحمى وكأنها «شخص»، فتركت المرأة (لو ٤: ٣٩). والبحر والريح يعملان. أسكتهما يسوع (مر ٤: ٣٩). ونقرأ في مت ٤: ٢٤: «قدموا إلى يسوع جميع المرضى المصابين بمختلف العلل، والمتشيطين والمصروعين، فشفاهم». وفي مر ١: ٣٤: «شفى كثيراً من المصابين بمختلف الأمراض، وطرده كثيراً من الشياطين».

الخوري  
بولس الفغالي

## المعجزات في العالم الهلنستي

ماذا نفهم بالمعجزة هنا؟ هي ظاهرة من عالم الطبيعة المحسوسة، تدهش الإنسان فينسبها إلى قوة فائقة الطبيعة. وماذا نفهم بالعالم الهلنستي؟ حضارة وُلدت بعد مجيء الاسكندر إلى الشرق، فتلاقى فيها الفكر اليونانيّ مع عالم الشرق بدياناته السّرانية ونظراته الخاصّة إلى الكون. أما موضوعنا فهو امتداد لما قلنا عن المعجزات في العالم اليهوديّ. بعد أن قرأنا المدهشات في أدب الرايينيين أو المعلمين، نتوقّف عند العجائب في العالم اليونانيّ وبالتالي الوثنيّ الذي تحدّث هو أيضاً عن معجزات قامت بها الآلهة بشكل مباشر في معابدها أو بواسطة الفلاسفة.

### ١ - الخلاص الذي يحمله الآلهة

العالم القديم عالمٌ دينيٌّ في أساسه. يبتعد مثلاً عن شريحة كبيرة من شعب أوروبا، ولكنّه يلتقي في العمق مع العالم الشرقيّ، عالمنا اليوم، حيث يدخل الدين في كل شاردة وواردة. وحيث تُدخل الله في كلامنا وتصرفّاتنا، وحتى في شتائمنا. من أجل هذا، بدأ الآلهة في وسط حياة البشر. وكانت المعابد أهمّ بناء في المدينة مهما صغرت. وفي الزمن الرومانيّ، كان تمثال الامبراطور المؤلّه ورومة العبودة في الساحة العامة. وكان الجميع يأتون، طوعاً أو قسراً، ليقدموا عبادتهم ويحرقوا البخور.

الآلهة هو الذي يعطي الحياة ونحن نشد عطايها. ولكن قد نخاف من هذا الآلهة أو ذلك. لذلك جعلت كل مدينة في حماية إله من الآلهة. فالليونان الذين حاربوا أهل

طرودة، ما كانوا انتصروا لولا معونة الالهة أئينة. ولكن بما أن الآلهة عديدون، فيجب علينا أن نسترضيهم جميعاً لئلا يفلت واحد منهم ويسيء إلى الجماعة أو إلى الأفراد. في هذا الإطار نفهم ما عمله أهل أئينة الذين جاءهم بولس مبشراً: بنوا معبداً كرسوه للاله المجهول (أع ١٧: ٢٣). كان لكل إله معبده. وهذا المعبد يكون لإله قد يوجد هنا أو هناك. أجل، حياة الإنسان سريعة العطب. وأمور عديدة تهددها. هناك بالدرجة الأولى الجفاف الذي يحمل معه الجوع. فلماذا كانت الصلوات للآلهة لكي ترسل المطر. وإذا كان بعل هو إله المطر في العالم الكنعاني، وهدد في العالم الآرامي، فلرومة إلهها ولبليونان أيضاً. والوباء يهدد الحياة. لهذا تُرفع الصلوات. هذا على مستوى الجماعة. وعلى مستوى الفرد هناك العقم الذي يعارض عطية الحياة. قالت حواء إن الله هو الذي أعطاها ولدًا (تك ٤). وكذلك قالت النساء في العالم الوثني فذهبن إلى معابد خاصة يطلبن ولدًا. والموت مخيف وعتبته هي المرض. لهذا، يذهب المريض إلى معبد الاله يلتمس منه الشفاء. وبما أن المرض يدلّ بشكل من الأشكال على الخطيئة التي تفصل الإنسان عن الله، وبالتالي على العقاب الذي يستحقّه المريض، كانت الصلوات والذبائح لإرضاء الآلهة<sup>(١)</sup>.

الاله يعاقب. وهو يخلّص أيضاً. ولهذا كانت الأناشيد العديدة التي تمتدح الآلهة لما أرسلوه من عون لأحبائهم. ففي قصيدة هوميرية تعود إلى القرن السادس ق. م، ينشد الشاعر الالهين كستور وبوليكس اللذين سكنا العاصفة. بعد أن أعلن أنهما محلّصا البشر الذين على الأرض (قصيدة ٢٣ سطر ٦)، أنشد تدخلهما في العاصفة فقال: «من على جانب السفن، ينادي البحارون ابني زوش العظيم. ويذهبون إلى المقدّمة وينذرون لهما حملاناً بيضاً. فالريح العنيفة وأمواج البحر تملأ السفينة. ولكنهما يظهران فجأة، وينطلقان عبر الأثير بحفيف أجنتهما. وحالاً يهدّئ الرياح العاصفة العاتية ويسقطا حدّة الموج على بحر عاد يضيء من جديد. تلك علامة طيبة للبحارة لا تؤلمهم. وحين يرونهما الناس، يتهجون بعد أن انتهى شقاؤهم وتعبهم»<sup>(٢)</sup>.

هنا نتذكّر مز ١٠٧ الذي فيه يروي المؤمنون نجاتهم من البحر. «أمر فشارت ريح عاصفة وهيّجت أمواج البحر، فكانت تعلو إلى السماء وتهبط بهم إلى الأعماق،

(١) Cahier Evangile, n° 8. (Paris 1974) p. 16-17.

(٢) A, GEORGE, Miracle dans le monde hellénistique in Les Miracles de Jésus (Paris 1977) p. 96.

فترجّحت حياتهم في الخطر... فصرخوا إلى الربّ في ضيقهم، فأنقذهم من سوء حالهم. هذا الزوبعة فسكنت، وسكنت أمواج البحر. وفرحوا حين سكنت، وهدهم إلى ميناء أرادوها. فليحمدوا الربّ على رحمته وعلى عجائبه لبني البشر» (آ ٢٥-٣١). كما نتذكّر تسكين العاصفة في مت ٨: ٢٣-٢٧. العاطفة البشريّة هي هي. وصرخة الإنسان في ضيقه هي هي. والكتاب الملهم حين أراد أن يصرّو حالة الإنسان مع ما في حياته من خطر، استعمل الاسلوب عينه. ولكن هذا لا يعني أن النداء إلى الإله الواحد يشبه النداء إلى الآلهة. الله هو وحده الحيّ. أما سائر الآلهة فلها عيون ولا ترى، وأذان ولا تسمع، وأنوف ولا تشمّ (مز ١١٥: ٥).

وسيعود هذا الموضوع نفسه مع «البحر والسفينة والرياح والأمواج والهدوء والسكينة والخلاص» لدى شعراء عديدين. مثلاً في القصيدة الثانية والعشرين التي دونّها تيوكريتس في القرن الثالث ق.م. وفي خطبة ألقاها إيليوستيدس حول اسكلابيوس وسراييس. وفي صلاة شكر قصيرة رفعها إلى الإله جندي مصري اسمه ابيون فدوّنها في رسالة إلى أبيه: «أشكر الربّ سراييس: ساعة كنت في خطر البحر، خلّصني في الحال» (٣).

نحن هنا أمام صلوات تنسب الخلاص إلى إله من الآلهة، إلى كائن لا منظور (برونه في رؤية) يكتشفون تدخّله في حدث خلاصيّ. وقد يعلن المصلّي قوّة زوش أو ابولون أو اسكلابيوس أو سيراييس... الذي جاء إليه وخلّصه في مرض من الأمراض أو ضيق من الضيقات.

معجزات في عالم البحر وفي عالم المرض، ومعجزات على مستوى ظواهر الطبيعة الأخرى. مثلاً يروي بوليبيوس في أخباره (١٦: ١٢) ما يلي: «يُحكى لدى سكان برجيلية (مرفأ في أسية الصغرى، جنوبيّ أفسس) ويظنون أن تمثال أرطاميس المنتصب في الفضاء لا ينزل عليه ثلج ولا مطر. ويقال الشيء عينه عن تمثال أرطاميس استياس في ياسوس (مرفأ قريب من برجيلية). وقد وُجد مؤرّخون ليؤكّدوا هذه الظاهرة». ولكن بوليبيوس يُعمل العقل ولا يصدّق مثل هذه «الخوراق»... ويتابع في النصّ عينه: «حين نكون أمام أمور تحافظ على التقوى الشعبيّة تجاه الآلهة، يُعذر المؤرّخون الذين يوردون عجائب وأساطير من هذا النوع. ولكننا لا نقبل كلامهم حين يتجاوزون الحدود» (٤).

Ibidem. (٣)

Cahier Evangile supplément au n° 66 (Paris 1988) p. 52-53. (٤)

ويقول بلوترخس في حياة كوريولان (٣٨): «ويروى أن هذا الصوت سُمع مرتين. فكأنهم يريدون أن يجعلونا نعتقد بأمور لم تحصل ويصعب القبول بها: ليس بمستحيل أن يكونوا رأوا تماثيل تذرف الدموع، تخرج منها قطرات دم. فالخشب والحجر قد يدبّ فيهما العفن الذي يولّد الرطوبة، فيأخذان لون الجو الذي يحيط بهما. ولا شيء يمنع من أن نظن أن يكون الاله قد استعمل هذه الظواهر ليدلّ على بعض الأحداث. ويمكن أن يُخرج تماثل صوتاً يشبه تنهّداً، وقد يكون سببه تلك عناصره الداخلية. ولكن صوتاً مميّزاً وكلمة واضحة... يستحيل وجودهما في كائن لا نفس فيه»<sup>(٥)</sup>.

وهكذا حاول بوليبيوس وبلوترخس أن ينظرا بعين ناقدة إلى أمور شعبية يرويها الناس، بل يدوّنها المؤرّخون. ومع ذلك، فهما لا ينفيان كل تدخل من قبل الآلهة التي قد تريد أن «تقول» للمؤمن شيئاً.

## ٢- المؤرّخون والمعجزات

روى المؤرّخون في العالم اليوناني وفي العالم الروماني عدداً من الرؤى والأحلام والانباءات المسبقة والأقوال الآتية من عالم السماء. وهكذا يبدو «الملك» وكأنه يتصرّف باسم الآلهة. نكتفي هنا بذكر الرؤية التي حصل عليها قسطنطين في معركته ضدّ ماكسنس عند جسر ملفيوس سنة ٣١٢. ظهرت له علامة مع كتابة تقول «بهذه العلامة تنتصر». وفي الواقع انتصر بعد أن حفر تلك العلامة على تروس جنوده<sup>(٦)</sup>.

وقد تحدّث المؤرّخون بشكل خاص عن طقس «قضاء ليلة» في معبد الإله يتمّ على أثره الشفاء. يروي ديودورس الصقلي (القرن الأول ب. م) حالتين من هذا النوع، في «المكتبة التاريخية» (١: ٢٥). يقول: «حسب المصريين استنبطت إيزيس (إلهة مصرية، زوجة اوزيريس. عبّدت في كل حوض البحر المتوسط) عدداً كبيراً من الأدوية المفيدة للصحة، وامتلكت خبرة كبيرة في علم الطبّ. ولما صارت خالدة (لا مائة)، كانت تُسرّ بشفاء الأمراض، وتظهر للناس في شكل خاص، وتحمل العون إلى الذين يتوسّلون إليها، في الحلم. وأخيراً أظهرت نفسها كفاعلة خير للذين يدعونها. ويُسندون رأيهم

(٥) المرجع السابق ص ٥٣.

(٦) Le Robert. Dict. Universel des noms propres, Paris 1974, au mot «Constantin».

فيوردون لا أساطير كما يفعل اليونان، بل أموراً واقعية، ويؤكدون أن العالم كله تقريباً يشهد لهم بعبادة تقدم لتلك الالهة لفتها في شفاء الأمراض. وهي تظهر بشكل خاص للمتألمين خلال الرقاد، فتخفف عنهم، وتشفي الذين يطعونها بشكل فائق الطبيعة. وكمن مريض يئس الأطباء من شفائه، قد خلصتهم هي. فهناك عدد كبير من العميان والعرج شفوا حين لجأوا إلى هذه الالهة»<sup>(٧)</sup>.

تذكر هنا نازفة الدم التي حدثنا عنها مر ٥: ٢٦ فقال: «عاجلها أطباء كثيرون، وأنفقت كل ما تملك، فما استفادت شيئاً، لا بل صارت من سيئ إلى أسوأ». يشت من الأطباء، ويئس الأطباء منها. «فلما سمعت بأخبار يسوع» ذهبت إليه ونالت الشفاء (آ ٢٧). نحن لا نقابل بين ايزيس والرب يسوع، ولكننا نبرز التشابه على مستوى التعبير الأدبي. ولا ننسى أن العاطفة الدينية في الإنسان هي هي. وإذ يذكر نص ديودورس في صيغة عامة «العميان والعرج»، يجعلنا نفكر بعدد من الاجمالات في الأناجيل. مثلاً نقراً في مت ٢١: ١٤: «وجاء إليه العرج والعميان وهو في الهيكل فشفاهم».

وروى ديودورس الصقلي في «المكتبة التاريخية» (٥: ٦٣) ما يلي: «كانت الالهة تتراءى في الحلم للمرضى، فتدلهم بشكل واضح على وسائل الشفاء. وهكذا استعاد الصحة عدد كبير من المصابين بأمراض مياوس منها. بالإضافة إلى ذلك، فالالهة تُسعف النساء اللواتي يبدو وضعهن صعباً، فتبعد عنهن كل خطر<sup>(٨)</sup>». هنا نلتقي بظواهر عديدة ما زالت موجودة في أيامنا، ويعزوها العلماء إلى الإيحاء الذاتي، إلى رؤية ما قيل لهم نهاراً في أحلام الليل.

ما رأي المؤرخين القدماء في هذه «المعجزات» و«الخوارق»؟ ذكرنا بوليبيوس (٢٠٨-١٢٦) وبلوترخس (٤٦: ١٢٦ ب م) ونذكر أيضاً هيرودوتس (٤٩٠-٤٢٠) وتوسيديد (٤٦٠-٤٠٠). هم يرون في مسيرة التاريخ تدخلات من الآلهة. ويسمّون هذا التدخل بثلاثة أسماء: العناية، الانتقام (أو: الغضب)، الحظ (أو: النصيب)<sup>(٩)</sup>. إلا أنهم يتحدثون بطرق مختلفة عن تدخلات الله الملموسة. فيورد هيرودوتس وبلوترخس عدداً من الأحداث الالهية والاحلام والرؤى والخوارق (تيراتا في اليونانية) التي يرى فيها

(٧) راجع الحاشية ٤، ص ٥٠.

(٨) المرجع السابق.

(٩) في اليونانية. Pronoia, Nemesis, Tyché.

بلوترخس آيات وعلامات (سيمايا). وأورد توسديد عددًا من الاحداث الالهية، ولكنه ظلّ متحفظًا تجاهها. فقد لاحظ بالنسبة إلى الذي أعلن كم تطول حرب البلوبونيز فقال: «بالنسبة إلى الذين يستندون إلى هذه الأقوال الالهية، لا نجد هنا ما يثبت ذلك». كما لاحظ أن هذه الأقوال هي ملتبسة وغير ناجعة. ويهاجم بوليبيوس هذه المدهشات ويدلّ على احتقاره لما يورده اليونان والرومان من آيات ومعجزات (١٠).

ويورد هؤلاء المؤرخون معجزات أجراها الملوك. مثلاً، نسب بلوترخس إلى بيروس ملك إبيرة (٢٢٧) أسفية عديدة. ونسب تاقيتس وسواتانيوس (القرن ٢ ب. م) معجزات إلى الأمبراطور الروماني وسباسيانس.

إليكم ما قال بلوترخس في «مسيرة بيروس» (٣: ٧-٩): «كانوا يظنون أن بيروس يشفي مرض الطحال: يذبح ديكاً أبيض (١١)، ويجعل المريض ينام على ظهره ويدوس هذا العضو برجله اليمنى: وأي رجل، مهما كان فقيراً أو من حالة وضیعة، وطلب منه، نال هذا الشفاء. وكان يتسلم أجرته ذاك الديك الذي ذبحه، وكان يرضى بهذه الهدية كل الرضى. وقد قيل أنه كان لباهم رجله قوة إلهية بحيث إنه حين أحرق جسده كله بعد موته، لم تتأثر هذه الباهم بالنار» (١٢).

ويقول تاقيتس في أخباره (٤: ٨١): «خلال الأشهر التي فيها انتظر وسباسيانس في الاسكندرية، الوقت الذي فيه تصبح الرياح مؤاتية للإبحار، حصلت عدة معجزات توّخت أن تدلّ على الخطوة التي نالها وسباسيانس من السماء، وعلى تعاطف الآلهة معه. جاء واحد من سكان الاسكندرية، ذو حالة وضیعة، وكانت عينه مفككة. ارتقى على قدميه وأخذ يتوسّل إليه لكي يشفيه من عماه. وقال: هذا ما أمرني به سيرابيس... (١٣) وتوسّل إلى الملك أن يضع من لعاب فمه على وجهه ودائرة عينيه. وجاءه آخر يده يابسة قد أرسله إليه. طلب من القيصر (وسباسيانس) أن يضع أخمص رجله على يده. في البداية هزئ منهما وسباسيانس وأبعدهما. ولكن لما ألحا... (وأخذ كل الاحتياطات) نفذ ما طلبا منه. حالاً، استعادت اليد وظيفتها، ورأى الأعمى نور النهار من جديد» (١٤).

(١٠) راجع حاشية ٢، ص ١٠٢-١٠٣.

(١١) هذا الحيوان يذبح لاسكلابيوس، إله الصحة.

(١٢) راجع حاشية ٤، ص ٥١.

(١٣) إله يوناني دخل إلى مصر في الحقبة الهلنستية.

(١٤) راجع حاشية ٤، ص ٥١-٥٢.

ويذكر سواتانيوس أيضاً في «السير»، وسباسيانس ٧، هاتين المعجزتين<sup>(١٥)</sup>. وما نلاحظه هو قرب ما عمله وسباسيانس مما عمله يسوع مع أعمى بيت صيدا: «تفل في عينيه، ووضع يديه عليه وسأله: أتبصر شيئاً<sup>(١٦)</sup>». وفي مر ٣: ١-٦، نرى رجلاً يده يابسة. قال يسوع للرجل: «مدّ يدك». فمدّها فعدت صحيحة كالأخرى<sup>(١٧)</sup>. هنا اختلفت طريقة الشفاء في الأناجيل الازائية الثلاثة. قال يسوع كلمة، فأعاد «خلق» تلك اليد، بل بدا وكأنه خلق ذلك الإنسان من جديد، على ما في سفر التكوين.

### ٣ - أسفوية في المعابد

اكتشف العلماء عدداً كبيراً من الكتابات التي تركها أناس شفوا في معابد آلهة الشفاء، مثل اسكلابيوس وسيرايبس<sup>(١٨)</sup>. وأهمّ هذه الكتابات نجدها على مسلات معبد اسكلابيوس العظيم في ايدوروس في اليونان. هي تعود إلى القرن الرابع ولكنها نسخت كتابات تعود إلى ما قبل ذلك الوقت. وهي تورد ثمانين خبر معجزة: ٧ في أمراض العيون، ٤ في حبل لا أمل فيه للأم بأن تضع طفلها، ولادتان بعد خمس أو ثلاث سنوات من الحمل، ٤ حالات لأشخاص كسيحين، ثلاثة أسفوية للعرج، ثلاث حالات للدود في الامعاء...<sup>(١٩)</sup>.

يتحدّث نص أول عن امرأة حملت ابنها في حشاها خمسة أعوام: «لما ظلّت حاملاً خمسة أعوام، جاءت تتوسّل إلى الاله وقضت الليل في معبده. وما إن خرجت وتجاوزت حدود المعبد حتى وضعت صبيّاً، ما إن وكّد حتى ذهب يغتسل في العين ثم جاء راکضاً

(١٥) المرجع السابق ص ٥٢.

(١٦) مر ٨: ٢٣. نلاحظ أن متى ولوقا لم يوردا هذه المعجزة. تفرّد مرقس بذكرها وهو العائش في محيط رومة.

(١٧) رج مت ١٢: ٩-١٤ حيث الحديث عن اليد اليابسة وكان ليس للرجل يدٌ أخرى. وفي لو ٦: ٦-١١، يتحدّث الانجيلي عن اليد اليمنى. فهي يد العمل.

(١٨) A. DUPREZ, Jésus et les Dieux Guérisseurs. A propos de Jean V, Paris (Gabal-da), 1970, p. 57 - 85. Voir aussi Foi et Vie, n° 9 (1970) p.3-27.

(١٩) J. M. VAN CANGH, Santé et salut dans les miracles D'Epidaure, d'Apolloniu de Tyane et du NT dans Gnosticisme et monde hellémistique (Louvain 1980) p. 263-277.

إلى أمّه . ولما حصلت «كلايو» على هذه النعمة نقشت على تقدمتها: لا تتوقّف عند كبر اللوحة، بل عند قدرة الإله . ظلّت كلايو تحمل الثقل في بطنها حتى قضت ليلتها في معبد الإله، فردّ إليها الإله الصحة» .

أما «امبروسيه» ابنة أثينة فكانت عوراء . «جاءت تتوسّل إلى الإله . ولما دارت حول المعبد، أخذت تهزأ ببعض الأشفية التي اعتبرتها غير معقولة ومستحيلة . لا يستطيع العرج والعميان أن يشفوا بمجرد رأوا رؤية . ولما قضت الليلة في المعبد، رأت رؤية: رأت في حلمها الإله يقف بقربها ويقول لها إنه سيشفئها ولكنه يطلب منها أجراً، أن تعلّق في المعبد خنزيراً من الفضة تذكراً لجهالتها وبلادتها . وحين قال هذا فتح (كما في عمليّة جراحية) العين المريضة ووضع فيها دواء . ولما طلع النهار وجدت نفسها معافاة» .

والحالة الخامسة، ولد أخرس . «جاء إلى المعبد لكي يستعيد الكلام . قدّم الوالد الذبائح الأولى وأتمّ الطقوس التقليدية . عند ذلك قال له العبد الصغير الذي يحمل النار قبالة الإله، أن يقدمّ ذبائح الشكر خلال السنة إن حصل على الشفاء الذي جاء يطلبه . فصرخ الولد فجأة: «أعو» . تعجّب الوالد وأمر ابنه أن يعيد ما قاله . فأعاد كلامه، ومنذ ذلك الوقت شفي» .

أما نكانور فكان أعرج . «إذ كان جالساً سرق له صبيّ عصاه في وضح النهار وهرب . قام الرجل ليمسك بالولد، وشُفي منذ تلك الساعة» (٢٠) .

ذكرنا هنا أربع حالات، ونستطيع أن نذكر غيرها، إنّما نودّ أن نستخلص العناصر المشتركة . نجد في البداية اسم المريض، موطنه ومرضه . وقد يتوسّع النصّ في شرح المرض . كما نلاحظ لا إيمان لدى المريض أو لدى الحاضرين . كل هذا يدلّ على أننا أمام أشخاص ملموسين، محدّدين، لا أمام عموميّات .

ويتمّ تدخّل الله بشكل عام خلال ليلة يقضيها المريض في المعبد . يرى المريض الإله الذي قد يعمل له عملية جراحية أو يقدمّ له دواء، أو يدلّه على ما يجب أن يفعله . وقد تكون الفعلة الإلهية مدهشة: يشفي الأخرس حين يلمس له فمه . ويشفي المخلّع بخاتم في إصبعه . وقد تأتي حيات المعبد وكلابه فتلحس العضو المريض . وفي النهاية، يُذكر

(٢٠) راجع حاشية ٤، صفحة ٤٦-٤٧ .

الشفاء، بصورة مقتضية، فيعلنه ذاك الذي نال حظوة الاله، وينشد قدرة الاله فيكون نشيده درساً للاؤمنين .

وما توخّته أخبار الأشفية هذه هو أن تملأ قلوب الحجاج ثقة بالاله الشافي، وهذا ما يجعل المعبد يزدهر. هي لا تتضمن تعليماً عن الحياة الدينية والأخلاقية التي يجب أن يعيشها الإنسان، كما لا تحاول أن تعيد العلاقة إلى سابق عهدا بينه وبين إلهه على مثال ذبائح الخطيئة مثلاً في إطار الديانة اليهودية. هذه الأخبار كُتبت مرةً أولاً. ثم أُعيدت كتابتها. وكانوا يزيدون كل مرة بحيث يصبح النصّ مليئاً بالسّمات العجيبة المدهشة. ولقد شدّدوا على قدرة الله بحيث وصلوا إلى مستوى اللامعقول .

وتشير أخبار تدخّلات الاله إلى أن الحُدْم في المعبد يقومون في الليل ببعض الممارسات الطبيّة والعمليات الجراحية. وما يسند هذه الفرضية اعتباران. الأول، صارت معابد اسكلابيوس منذ القرن الثاني ب.م، مستشفيات بالمعنى الحضري للكلمة مع أطباء وعلاجات مطوّلة. ولكن مع ذلك، يرافق هذا العلاج خبرة دينية، على ما يبدو. فالفلاسفة يعتبرون أن عمل الإنسان لا يستبعد عمل الله. وقد تعود الخوارق في بعض الأحيان إلى سببية ترتبط بالطبيعة البشرية. وهكذا استطاع الكهّان الأطباء في معبد ابيدوروس أن يقولوا: «ضمدت الجرح، ولكن الله هو الذي شفى» (٢١).

#### ٤ - الفلاسفة يصنعون العجائب

بين الفلاسفة العديدين الذين عرفهم العالم اليونانيّ، تحدّث التقليد عن عدد منهم كصانعي معجزات. نذكر بعض الأسماء: ابيمناديس من كفرسوس. فيرسيديس من سيروس، بيتاغور في القرن السادس. امبيدوكلس تلميذ فيتاغور في القرن الخامس. ابولونيوس التياني الذي عاش في القرن الأول واعتبر نفسه تلميذ فيتاغور. دون بورفيربوس الصوريّ في القرن الثالث ب.م سيرة فيتاغور. ومثله فعل مبليلك في القرن الرابع. وسنة ٢١٧، كتب فيلوستراتيس حياة أبولونيوس التياني (٢٢).

(٢١) راجع حاشية ٢، ص ١٠٠-١٠٢.

(٢٢) المرجع السابق ص ١٠٤.

ونبدأ مع الفيلسوف والعالم في الرياضيات فيتاغور الذي سيطرت الاساطير على حياته بسرعة فائقة. دون سيرته، كما قلنا، بورفيرْيوس (٢٣٤-٣٠٥) الفيلسوف المرتبط بالافلاطونية الجديدة. كان بورفيرْيوس خصماً عنيداً للمسيحية، فجمع عدداً من التقاليد القديمة. عاد إلى نيكوماك ابن جراسه وهو فلسطيني من شرقي الأردن عاش في بداية القرن الثاني ب.م. قال:

في اولمبيا، طار نسرٌ فوق رأسه حين كان يتحدث مع المقرَّبين إليه عن تنبوءات زوش ورموزه وعلاماته قائلاً إن هذه هي بلاغات وأحداث يرسلها الآلهة إلى البشر العزيزين على قلوبهم. وقيل عنه أنه انزل الطير (٢٣)، وبعد أن دلَّه أطلقه. ومرة أخرى، كان واقفاً قرب الصيَّادين (٢٤) الذين كانوا يسحبون من البحر شبكة مملوءة بالسّمك. فعرف مسبقاً كمية السمك الذي اصطادوه وقال العدد (٢٥). وحين وعده الناس بأن ينفذوا أوامره إن تحققت نبوءته، أمرهم بأن يرموا السمكات في البحر بعد أن يعدّوها بشكل دقيق. وأعجب ما في الأمر، هو أنه لم تمت سمكة واحدة أمامه طوال المدة التي فيها أحصي السمك... (٢٦).

وقيل عنه أنه تنبأ عن هزة أرضية. أنه أوقف الوباء بسرعة. واسكت الرياح الهائجة، ومنع سقوط البرد.

وهناك فيلسوف آخر، امبيدوكلس تلميذ فيتاغور. كتب عن نفسه: «جئت إليهم كإله خالد، لا كإنسان مائت... وما إن دخلت إلى مدنهم... حتى عبدوني. تبعوني جماهيرٌ ليسألوا عن الطريق الواجب اتباعها للحصول على الغنى. وكثيرون طلبوا معرفة المستقبل. والذين اعتراهم ألف مرض ومرض... رغبوا في أن يسمعوا كلمات الشفاء» (٢٧).

قيل له: «كل الأدوية التي تساعد على الشرور والشيخوخة، سوف تتعلّمها. ولك وحلك أعطي جميع هذه الإحياءات. ستعرف كيف تلجم قوة الرياح التي لا تتعب، التي

(٢٣) أي النسر. فالبطل الالهي مسلط على الحيوانات.

(٢٤) رج يو ٢١: ٢-١١ والصيد العجيب بعد القيامة.

(٢٥) العراف هو الذي يعرف الاعداد قبل الوقت.

(٢٦) راجع حاشية ٤، ص ٦٠-٦١. من حياة فيتاغور لبورفيرْيوس ٢٥: ٢٨-٣٠.

(٢٧) المرجع السابق ص ٦٠.

تدمر الحقول حين ترتفع عن الأرض بشكل إعصار. ومن جديد، إن شئت أعدت النسمة التي تعوض. وبعد شتاء مظلم ترد الجفاف المؤاتي للبشر. ومن جديد، بعد جفاف الصيف تنتج مطراً ينزل من السماء، لكي ينمي النبات. وفي النهاية، تستعيد من الجحيم (٢٨) نفس إنسان سبق له ومات» (٢٩).

ونقرأ في «حياة الفلاسفة المشهورين وتعاليمهم وأقوالهم» لـ «ديوجين لائيرتيوس» (القرن الثالث ب. م) في الفصل الثامن عن امبيدوكلس ما يلي: قال تيمائوس (فيلسوف من القرن ٣ ق. م) إنه كان لامبيدوكلس عدد من الميزات العجيبة. مثلاً، كانت رياح الشمال تنفتح بقوة هائلة بحيث اقتلعت الثمار. سلخ الحمير وجعل جلودهم على التلال ورؤوس الجبال... توقفت الرياح فسمي «موقف الريح». وضرب الوباء أهل سيلينونتس في صقلية، فمات الرجال وأحسن النساء بالصعوبة في وضع أولادهن... عمد إلى الماء وجعلها صحية. فقدم أهل سيلينونتس ذبيحة قرب النهر. فظهر لهم امبيدوكلس. فوقفوا كلهم وأدوا له الاكرام كما لإله» (٣٠).

ولكن «الفيلسوف» الذي سيطر بعجائبه هو أبولونيوس الذي من تيانيس وهي مدينة في كبادوكية. يورد كاتب سيرته ما يقارب عشرين معجزة: خبر قيامة. خمسة أشقية. أربعة طرد شياطين من الناس. تخلص أفسس من الوباء، بعد أن دلّ على الشيطان الذي كان سبب المرض، ثم أمر برجمه. أما سلطانه على الطبيعة الجامدة فظهر حين ارتفع ذراعين فوق الأرض على مثال حكماء الهند. وانتقل في لحظة من إزمير إلى أفسس. وظلّ البحر هادئاً حين أبحر الماء خلال الشتاء. اتهموه فمُحى الاتهام حالاً. وُضعت رجليه في القبور فأخرجها. أغلقت أبواب الهيكل في وجهه، فانفتحت أمامه (٣١).

إن فيلوستراتس الذي روى سيرة ابولونيوس، رأى فيه إنساناً حكيمًا، وكانت معجزاته علامة تدلّ على قوة الحكمة. لهذا، حين روى ما روى عنه من معجزات، ما أراد أن يرينا فيه مجترح المعجزات، ولا المعلم الذي يجمع حوله تلاميذ، بل ذاك الذي يدعو القارئ ليسمع نداء الحكمة.

(٢٨) في اليونانية Hadès. يقابل الشبول العبري، أي مئوى الاموات.

(٢٩) راجع حاشية ٤، ص ٦١. من امبيدوكلس، الطبيعة، الجزء ١١١.

(٣٠) المرجع السابق ص ٦١-٦٢.

(٣١) راجع حاشية ٢، ص ١٠٥.

ونذكر شيئاً من سيرة ابولونيوس التياني (٣: ٣٨-٣٩) كما دونها فيلوستراتس. في وسط الحديث جاء رسول فأدخل امرأة مسكينة وأخذت تتوسل من أجل ابنها. روت أنه في سنه الحادي عشر، قد امتلكه شيطان منذ سنتين. وطبيعة هذا الشيطان الهزء والكذب... يأخذه إلى الأماكن المقفرة... وسأل الفيلسوف: هل الولد هنا؟ أجابت المرأة: كلا، مع أنني فعلت المستحيل لكي يأتي. فالشيطان هددني بالسقوط في الأعماق وبقتل ابني إن جئت به إلى هنا. قال الحكيم: «تشجعي. فهو لا يقتل ابنك حين يقرأ هذا». وأخذ رسالة من ثيابه تحمل تهديداً لذلك الشيطان.

ووصل أيضاً أعرج في الثلاثين من عمره. شفاه الحكيم. وجاء شخص اقتلعت عيناه، فعاد بنظر كامل. وكان لشخص يد يابسة، فذهب بيد معافية. وكانت المرأة تضع طفلها بصعوبة. فنصح الحكيم زوجها بأن يدخل أرنباً إلى الغرفة ساعة الولادة.

وفي ٤: ١٠، قال فيلوستراتس: «ضرب الوباء أفسس، وما استطاع شيء أن يوقفه. أرسل الأفسسيون وفداً إلى ابولونيوس (الذي كان في إزمير) وأرادوه أن يكون طبيب مرضهم. فرأى أنه يجب عليه أن لا يتأخر. وما إن قال: لنمض حتى كان في أفسس، وهكذا جدد على ما أظن مآثرة فيتاغور حين كان في الوقت عينه في توري وماتابنتس (٣٢). اذن، جمع الأفسسيين وقال لهم: تشجعوا. فأنا اليوم أضع حداً للمرض. عند ذلك اقتاد الشعب كله إلى المسرح، إلى الموضوع الذي ارتفع فيه تمثال إله العون الصالح (أي هركلس)». وطلب ابولونيوس من السكان أن يرجموا شيخاً فقيراً. فهذا الشيخ تلبس شيطاناً... وهكذا جعل تمثال إله العون الصالح في الموضوع الذي فيه قُتل الشيطان (٣٣).

## خاتمة

وهكذا بدا لنا أن العالم الهلنستي، العالم اليوناني والروماني، العالم الوثني، قد انتشرت فيه معتقدات عديدة حول المعجزات. على مستوى الاحلام والرؤى. على مستوى الأعمال المدهشة ولاسيما الشفاءات. على مستوى البحر والرياح والوباء. وقد

(٣٢) مدينتان تبعد الواحدة عن الاخرى مئة كلم تقريباً.

(٣٣) راجع حاشية رقم ٤، ص ٦٣-٦٤.

نسب الناس هذه الخوارق إلى الإله، إلى شخص غير منظور. واعتادوا أن يؤمّوا المعابد ولاسيّما معبد اسكلايوس في ابيدوروس. كما اعتبروا أن بعض البشر يستطيعون أن يجتروا المعجزات بفضل الحكمة التي اوتوها، أو بفضل قدرة خاصة وصلت إليهم فحملوا بركة الاله إلى البشر. فالفلاسفة يجترحون المعجزات. وكذلك الملوك. «معجزات» تصل إلى الجماعة فتنجيها من الوباء. أو إلى الافراد فتنجيهم من الأمراض. قد نفسّر هذه المعجزات عوامل طبيعية ونفسية. كما لا ننسى أن هذه العجائب لا تتوخى أبداً أن تكون علامة خلاص يشمل البشرية فيصل بها إلى نهاية الأزمنة. فأعمال البشر تبقى على مستوى البشر.

الخوري

بولس الفغالي

## يسوع صانع المعجزات\*

نستطيع فقط إنطلاقاً من قيامة الرب يسوع أن نفهم المعجزات التي صنعها يسوع خلال حياته الأرضية.

فالمعجزة أو الآية ليس لها معنى إلا على ضوء التدبير الخلاصي المهيأ من الآب والمتمم بكماله بالابن القائم الحيّ أبداً والذي يواصل عمله من خلال الروح القدس.

في تدبيره الإلهي، أراد الله أن يظهر نفسه، وقمة ظهوره كان سرّي التجسد والقيامة من أجل خلاص كل إنسان. هذان السرّان هما بحدّ ذاتهما معجزتان لا يمكن وصفهما، وبهما يظهر الله أيضاً بمعجزات وآيات تثبت حضوره، ووجود الخلاص وتدخّله في حياة البشر كنتيجة لحبه اللامتناهي.

المسيح هو آيته الكبرى، وكل من المسيح والمعجزة هما حدث التدبير الخلاصي، وعلى هذا الأساس لا يمكن الفصل بين المسيح والمعجزة.

ليس بالسهل علينا فهم معنى تدخّل الله في حياة إنسان وفي تاريخ البشر، خاصة وأن الإنسان اليوم أصبح عقلياً ومادياً جداً في آن معاً، بينما تُحرر المعجزة من قيود الحدود المنظمة والمدرّوسة وقوانين الكون المحسوبة، تحرّرها وتتخطاها في نظامٍ خلاصي لا يمكن أن يكون إلا إلهياً.

\* هذه المداخلة هي مقدّمة لسائر المداخلات.

لكن ليس بالمستحيل أيضاً فهم تدخل الله ومبادرته المجانية من خلال يسوع المسيح خلاص البشر. بهذه الطريقة تبقى المعجزة الأثر والعلامة في الكون كنعمة خلاصية.

انطلاقاً من أن يسوع هو الكلمة المتجسد، وتمازج تاريخ الخلاص، فإن المعجزة هي هذا التدخل الأكمل لله في حياة الإنسان والذي يُبدّل الخليقة بشكل نهائي في القائم من الموت.

المعجزة إذًا هي صورة مسبقة للحياة الأخرى؛ هي المستقبل المندمج بالحاضر ليعطيه معنى (أى معنى قدرة الله وعمله الخلاصي الأبدي).

لهذا فليست المعجزة بحد ذاتها هي المهمة، بل دورها الذي يرمي إلى دفع الإنسان إلى التساؤل والبحث عن الحقيقة وعن الله وعن المغزى.

## ١ - لماذا صنع يسوع المعجزات

المعجزة مثل الوحي، هي دعوة موجهة للإنسان في أعماقه، في عمق وجوده، موجهة لروحه المنفتح على الله وعلى ظهوره في التاريخ وفي العالم.

المعجزة هي أن يتعرف الإنسان على حدوده وضعفه وحاجته لله، الذي فقط فيه يجد حرّيته؛ إن الله وحده قادر على أن يحول ما هو غير معقول على مستوى التفكير البشري وتوقعاته واجتهاداته. الله يُظهر قدرته في خليقته.

## ٢ - «الكلمة الإلهية»

تحتل المعجزات أهمية كبيرة في الأناجيل، وأهم ما يجب أن نتذكره هو أن يسوع «الكلمة الإلهية» كان يصنع المعجزات «باسمه هو» و«بسلطانه الذاتي» وهذا يختلف عن تصرف الأنبياء في العهد القديم الذين كانوا يصنعون المعجزات باسم الرب، الإله خالق السماوات والأرض، كما يختلف في التصرف عن التلاميذ والرسول بعد المسيح الذين يتصرفون فقط باسم يسوع (رج مثلاً أع ٦/٣؛ ٩/٣٤؛ ١٣/١١؛ ١٩/١١؛ باخر ٨/٧؟)

### ٣ - المعجزة والملكوت

لا يمكن فصل المعجزة عن الملكوت. فرسالة يسوع من إجراء المعجزات كانت إعلاناً لمجيء ملكوت الله و«علامة» له، كما كانت أيضاً دعوةً إلى التوبة والإماتة لاستقبال هذا الملكوت (رج متى ١١/٢٠-٢٤ ب؛ لو ١٠/١٢-١٥).

### ٤ - ردّات الفعل

أمام المعجزات التي قام بها يسوع في حياته الأرضية كانت هناك ردّات فعل مختلفة، ومن فئات مختلفة من الأشخاص:

فهناك ملاقاتة الشعب ليسوع بالتعظيم والتمجيد عند ظهوره، وهناك الإيمان عند التلاميذ والرسل عند تجلّي مسيحيته؛ كما أن هناك الرفض والكره والغیظ عند رؤساء الكهنة والفريسيين بسبب المعجزات التي قام بها يسوع واستقطابه الجموع إليه.

وقد كان هناك تواصل وثيق بين أقوال يسوع وأعماله القديرة، خاصة كرازته حول مجيء الملكوت. وفي الكنيسة الأولى كانت المعجزات في الكرازة علامة واضحة لتدخل الله القاطع في تاريخ الخلاص من خلال يسوع «ابن الله».

### ٥ - القيامة

لإحياء لعازر من الموت أهمية خاصة لأنه صورة مسبقة لقيامة يسوع. ولهذه المعجزة علاقة مع الأحداث الأخرى في الأناجيل وخاصة في يوحنا (٤ و ١١ و ١٢).

تُلقي هذه المعجزة الضوء على ثلاثة أحداث مهمة في حياة يسوع:

١ - قرار السلطات اليهودية بالتخلّص من يسوع (رج يو ١١/٤٦+)

٢ - دهن يسوع في بيت عينا (يوحنا ١٢)

٣ - دخول يسوع المهيب إلى أورشليم (رج يو ١٢/١٢+)

وكلها تؤكد أن يسوع هو صانع المعجزات في العهد الجديد.

## ٦ - التأثير الفعّال للمعجزة

### أ - قدرة الله

المعجزة هي ظهور حقيقة المخلص وتجليها، مع قدرته وقوته الخلاصية بشكل قاطع وشامل.

ويسوع الذي يتصرف ويعمل باسمه الشخصي، بكلمة بسيطة يشفي، يطرد الشياطين، يهدئ العاصفة ويحيي الموتى.

نلاحظ أن المعجزة في يوحنا هي عمل مشترك بين الابن والآب، وتُظهر أن القدرة الفاعلة هي ذاتها في الآب والإبن، وأن المسيح هو الله، موجود بيننا، يعمل باستمرار، بنفس القوة الخالقة المحيية التي للآب وأن مجد يسوع هو ذاته مجد الله «يهوه العهد القديم».

### ب - حبّ الله

إن المعجزة هي إظهار حبّ يسوع الفعّال والشفوق، حيث يُنحني أمام كل بؤس.

أحياناً، تأتي المبادرة من يسوع نفسه، وتكون سابقة لتوسل الإنسان، مثل تكثير الأرزفة (رج متى ١٤/١٣-٢١ والتوازي)، وإحياء ابن الأرملة في نائين (رج لو ٧/١١-١٧)؛ الرجل الأشل اليد- يوم السبت- (رج متى ١٢/٩-١٤)؛ المرأة المحنية الظهر- السبت- (رج لو ١٣/١٠-١٦).

وتُظهر المعجزة أحياناً كجواب من يسوع على صلاة أحدهم، وأحياناً أخرى يُعبّر عنها بجواب صامت متمثّل في حركة أو عمل معيّن (مثال: شفاء حماة بطرس: «فَلَمَسَ يَدَهَا ففارقتهَا الحُمَّى...») (متى ٨/١٥) باستثناء الأعمى في اورشليم تَقَلَّ في الأرض، فجبَل من تُفاله طيناً، وطلّى به عيني الأعمى (يوحنا ٩/٦)

شفاء عبد عظيم الأخبار: «فَلَمَسَ أذُنَهُ فأبرأه» (لو ٢٢/٥٠-٥١).

في المعجزة يزور الله البشرية، في قلب آلامها وتوجّعها، يتأثر ويتألم معها ويشفق عليها.

المعجزة هي جواب حبّ الله على توسل الإنسان البائس. فالله هو الحبّ، وهذا الحبّ تجسّد في يسوع المسيح، وجعل نفسه مفهوماً للإنسان بكتافة حبّه له.

### ج - علامة لأحداث الملكوت المسيحاني

ترتبط المعجزة ارتباطاً وثيقاً بموضوع ملكوت الله، الذي بشرّ به الأنبياء من قبل، أجيالاً تلو أجيال، والذي تحقّق أخيراً بيسوع المسيح. فالبشرية تُشفى من أوجاعها، وتُحرّر من خطيئتها، والبشارة تُعلن، وتُظهر الشفاءات وتُطرد الشياطين أن ملكوت الشيطان قد دُمّر (لو ٧/٢٢؛ متى ٢٨).

مجيء المسيح، الذي هو قدرة الخلاص والحياة الأبدية، تتحقّق وتتمّ نبوءة الأنبياء: الانتصار على المرض، والموت الخطيئة والشيطان. ملكوت الله بدأ ويكمل في العمل.

### د - الرسالة الالهية

تؤكد المعجزة الرسالة الالهية، ولها قيمة محدّدة، كما تُعظّم قدر المرسل من عند الله مثل موسى، الذي كان كلامه مسموعاً وشأنه عالياً، بسبب ما أجرى الله على يديه من معجزات أمام شعبه (رج مثلاً خر ١/٤-٩؛ ١٤/٣١).

هكذا كان لا بدّ لیسوع أيضاً أن يصنع المعجزات أمام الحاجة الملحة اليها كتقليد متبع منذ بداية حياة الايمان مع الله (رج مر ٢/١٢؛ متى ١١/٢١؛ يو ١١/٤١-٤٢). ويؤكد يوحنا: «أمن باسمه كثير من الناس، لما رأوا الآيات التي أتى بها» (يو ٢/٢٣)، ذلك الأمر في التماس نيقوديموس للرب (٢/٣)، والمولود أعمى (٩/٣٣) وكثيرون من الجمع (٧/٣١) كان التماسهم عفويّاً.

### هـ - مجد يسوع

إن كانت المعجزة هي علامة إلهية بالنسبة للإنسان فهي علامة مجد بالنسبة للمسيح ابن الله.

فالمسيح يدرك أن مهمته هي القيام بأعمال تمجّد الله الأب، والتي يتمجّد أيضاً هو من خلالها، كابن لله، كما تمثل المعجزات في الوقت نفسه نشاط وعمل الابن بين البشر.

من خلال المعجزات يؤدي الابن أيضاً رسالته النبوية والمسيحانية، والتي يُظهر فيها علاقته واتحاده بالآب كابن في كل عمل وكل قدرة وكل معرفة (متى ٢٧/١١). هكذا فالمعجزة هي عمل الآب والابن معاً، وتصف مجد المسيح ابن الله الوحيد.

ويسوع نفسه يؤكد هذا: «إن الأعمال التي وكل إليّ الآب أن أتمها... هي تشهد لي بأن الآب أرسلني» (يو ٣٦/٥؛ ٢٥/١٠).

## و - عمل الثالث الأقدس

وكما أن المعجزة هي عمل الآب والابن، هي أيضاً عمل الروح القدس، أي الثالث الأقدس، وإظهار له. فالرباط الكامل بين الآب والابن، وعلاقة الحب المتبادلة بينهما يجمعها الروح نفسه (يو ١٤/١٠-١١؛ ٣٧-٣٨/١٠).

## ز - الأسرار

مجيء يسوع هو بداية العالم الجديد، عالم النعمة الذي يغيّر ويحوّل كل شيء: وهو الخلاص من خلال الصليب.

المعجزة تساعد على مرور هذه النعمة وعمل تغييرات جذرية في الإنسان وتحولات إيجابية في الحياة الشخصية. إنها العطيّة الروحية التي يقدمها يسوع من خلال المعجزة.

عندنا مثال المقعد: «ثقُ يا بني غفرت لك خطاياك» (متى ٩/١+)؛ والمرأة المنحنية الظهر: «يا امرأة، أنت معافاة من مرضك، ثم وُضِعَ يديه عليها فانتصبت من وقتها وأخذت تمجد الله» (لو ١٣/١٠+)؛ وشفاء الأبرص: «فمد يسوع يده فلمسه وقال: «قد شئتُ فابراً» (متى ١/٨).

نجد هنا الشفاء عن طريق الكلمة وعن طريق وضع اليدين. كذلك الأمر عند يوحنا الذي يُبرز تصرفات رمزية ليسوع في عمله المعجزات، حيث يُظهر سر النعمة المعطاة منه، سرّ شخصه الخلاصي: فهو سرّ الله وبالتالي يعطي الأسرار.

أمثلة على ذلك: المقعد الذي يُشقى بكلمة من يسوع: «قم فاحمل فراشك وامش» (يو ٥/١+). ومثالُ الاغتسال في بركة سلوام (يو ٩/١+) لأعمى منذ مولده. الاغتسال

هنا بالماء رمز لسر المعمودية ورمز ليسوع نور العالم. أما معجزة تكثير الخبز فتعبر عن سرّ الافخارستيا.

## ح - التحوّل في العالم الأخير

الفداء يجب أن يتحوّل كل شيء إلى أفضل، إلى جديد، إلى مُطَهَّر من كل خطيئة. بهذا المعنى تعمل المعجزة على تحرير الانسان، وتمجيد الجسد. فجسد يسوع القائم والممجّد هو الصورة المسبقة لمصير الإنسان الأخير، المدعو إلى الشركة التامة مع يسوع.

والجسد المحرّر، المُشْفَى، المُعالج، النشيط، المُحيى، يُظهر الانتصار الأخير للروح. الروح القدس الذي سيحيي أجسادنا المائة لكي يلبسها عدم الفساد (رج روم ٨/١-١٧).

حتى العالم المادي هو في انتظار للتحوّل، ويجب أن يشترك في جسد المسيح المجّد مثلما اشترك أيضاً في خطيئة الإنسان. يقول بولس: «فالخليقة تنتظر بفارغ الصبر تجلي أبناء الله. فقد أخضعت للباطل بسطان الذي أخضعها، لا طوعاً منها. ومع ذلك فلم تقطع الرجاء لأنها هي أيضاً ستعتق من عبودية الفساد لتشارك أبناء الله حرّيتهم ومجدهم (روم ٨/١٩-٢١). فهو يرى أن الخليقة مشمولة في الخلاص وفي مجد الإنسان بعد الفداء. وأنه يجب أن تتحوّل وتمجّد.

في هذا الاطار، تعلن المعجزة هذا التحوّل القاطع، بعد أن تُدمر قدرة الله سلطان الموت والخطيئة، وتجعل كل شيء جديداً وبلا عيب.

كل هذه القدرات الفعّالة للمعجزة مترابطة بعضها ببعض، ويوصل كل منها إلى الآخر. ويمكن تلخيصها كما يلي:

أ - عملُ المعجزة الأساسي هو التعبير عن حضور الله، إله المحبة والطبيرة، وإخضاع النفس لسماح كلته، أي خلق حوار بين الله والإنسان.

ب - عملها الثاني هو إظهار الله ووحيه، فعلى تجلّي يتم عبر الكلمة والعمل (رج الوحي الالهي ٢)، آيات ومعجزات (الوحي الالهي ٤). فالانجيل يعلن لنا أن المسيح أتى ليحرّر الإنسان، يطهّره، يحييه وقبل كل شيء أتى ليشفيه ويخلصه روحاً ونفساً وجسداً. والمعجزة هنا تُظهر نشاط هذا «الكلمة» المخلص.

ج - لولا المعجزة لما فهمنا أن المسيح يحمل الخلاص للإنسان نفساً وجسداً، ولولا أهمية الجسد لما اتخذ جسداً.

المعجزة إذًا هي أحد عناصر ملكوت الله، حقيقة فعلية تغير وضع الإنسان، وتثبت عظمة المسيح وسلطانه على كل شيء.

في الشفاءات وطرده الشياطين وإحياء الموتى يقوم يسوع فعلياً بتدمير مملكة إبليس.  
كلمة الخلاص تُظهر هكذا، واقعياً وفعلياً، الكلمة الفعالة لله الحيّ.

د - أخيراً، المعجزة هي شهادة وحكم. علامة وختمٌ لقدرة الله اللامتناهية؛ هي رسالة ما أو عمل يأتي منه؛ وتثبت أن من يقوم بالمعجزة هو مُرسل من عند الله: كالمسيح ابن الله الحي، المرسل من الآب، الإلهي الاصل، كألوهية الإنجيل الذي يعلنه.

## ٧ - كيفية تمييز المعجزة

### أ - طواعية داخلية

في المعجزة، من المفترض أن يكون الإنسان قادراً على قراءة الحدث إلى حد ما. بين الآية والمعنى يظل هناك سرٌّ، الأمر الذي يتطلب وجود عقلٍ نشطٍ ليدرك أن المعجزة هي علامة إلهية.

لسنا هنا أمام مسألة عقلية أو أخلاقية، بل أمام وضع داخلي عميق، يتميّز بالانفتاح على سرّ الله واستدعاء يسوع المسيح. إنه إدراك المرء لنفسه بأنه بائس، محتاج، ولا يمكن أن يكون مكتفياً ذاتياً دون الله.

لهذا لا بدّ للمرء من الدخول إلى عمق ذاته، والبحث والتساؤل عن معنى حياته وسر وجوده، فيعرف إن كانت هذه المعجزة علامة من عند الله.

### ب - توبة وإيمان

لا يمكن فصل المعجزة عن حدث الخلاص في يسوع المسيح، وهذا ما يدعو إلى التوبة، وإلى الاعتراف بملكوت الله وبالمسيح الذي نشره.

لهذا أيضاً، عندما كان يسوع يصنع المعجزات، كان يدعو إلى التوبة وإلى الإيمان. والإيمان الذي يطلبه يسوع هو الطوعية الكاملة أمام شخصه ورسالته.

تعني هذه الطوعية: قبول يسوع، واستقباله، والاستسلام التام له، والاعتراف بالعوز، وعدم الاكتفاء الذاتي.

الإيمان والتوبة إذاً هما عمل واحد في المعجزة ويسوع يدعو إلى التوبة في معجزاته كما يدعو إلى الإيمان برسالته وشخصه كمرسل من الأب، الإيمان ببشارته بالملكوت الذي يتطلب الخضوع للمسيح.

بالتأكيد لم يكن هذا الإيمان كاملاً أيام بشارة يسوع، ولم يفهم تمام الفهم إلا بعد قيامته، وعلى ضوءها، وانطلاقاً منها فقط.

د . منى أ . عبيد

## المعجزة في الإنجيل بحسب القديس متى أو علامات الزمن المسيحاني

تتضمن الأناجيل الأربعة روايات عدّة للمعجزات، من بينها الشفاءات، وهي إحدى أعمال يسوع التي تأتّى التقليد في الحفاظ عليها.

نلاحظ، وبحسب إنجيل مرقس، أن أولى المعجزات التي أتى بها يسوع هي شفاء ممسوس في مجمع كفرناحوم خلال خدمة يوم السبت (مر ١: ٢١-٢٨)، في الوقت الذي يفتح فيه لوقا سلسلة المعجزات في إنجيله، في كفرناحوم أيضاً، ضمن إطار أكثر حميمية وذلك في منزل سمعان بطرس، وهو من شفى يسوع حماته المريضة (لو ٤: ٣٨-٤١). أما بالنسبة إلى يوحنا فإن أولى الآيات التي يوردها هي آية تحويل الماء إلى خمر خلال وليمة عرس في قانا الجليل (يو ٢: ١-١٢).

غير أن نصّ متى يتميز في هذا الصدد، كما في مجالات أخرى، بخصائص عدّة. فهو، خلافاً للإنجيليين الثلاثة الآخرين، لا يفتح سلسلة المعجزات بمشهد معين. إنما بموجب لعمل يسوع الرسولي يظهر فيه التعليم مع الأعاجيب بطريقة متزامنة ومتكاملة:

«وكان يسوع يطوف كلّ الجليل، يعلم في مجامعهم، ويُنادي ببُشرى الملكوت، ويشفي الشعب من كلّ مرض وعلة. وذاع صيته في سوريا كلها، فحملوا إليه جميع من كان بهم سوء، مصابين بأمراض وأوجاع مختلفة، وممسوسين ومصروعين ومُقعدين، فشفاهم. وتبعته جموعٌ كثيرة من الجليل والمدن العشر، وأورشليم واليهودية وعبر الاردن» (متى ٤: ٢٣-٢٥).

يلبي هذا الموجز مباشرة العظة على الجبل (متى ٥-٧)، التي يتبعها فصلان يطغى عليهما الاسلوب الروائي، فتميّز فيهما مجموعة عشر معجزات (أصابع يدي الانسان العشرة) (متى ٨-٩)، لنعود فنجد، بعد ذلك، الجملة الواردة في الموجز المذكور أعلاه وقد تكررت حرفياً تقريباً:

«وكان يسوع يطوف المدن كلّها والقرى يعلم في مجامعهم، ويُنادي ببشرى الملوكوت، ويشفي الشعب من كل مرض وكلّ علة» (متى ٩: ٣٥).

فمن الواضح أننا أمام قسم طويل، متين التركيب، يفتتحه ويختمه مقطعان متشابهان يشكّلان حدوداً له:

• موجز عن التعليم والمعجزات (متى ٤: ٢٣-٢٥)

• التعليم: العظة على الجبل (متى ٥-٧)

• المعجزات (متى ٨: ١-٩: ٣٤)

• موجز عن التعليم والمعجزات (متى ٩: ٣٥).

إن هذه اللوحة بشقيها تقدّم لنا جوهر العمل الذي قام به يسوع، في بدء حياته العلنية، كمعلّم وصانع معجزات. فيسوع يتكلّم ويعمل، فيأتي عمله تبييناً لكلامه. والمعجزات الواردة في الفصلين الثامن والتاسع تتبعها معجزات أخرى طبعاً، لأنها عنصر لا يُمكن إهماله أو تجاهله في الكرستولوجيا، إلا أنّ كلّ إنجيلي يعرضها بحسب رؤيته الخاصة. غير أنّ البنية الأدبية المركّبة عن سباق تصوّر تجعلنا نستدلّ إلى أنّ متى يُعبّر عن جوهر رؤيته في هذين الفصلين.

## ١- بعض المميزات الخاصة بمتى

### أ- الشكل الأدبي

إنّ متى أمين بالإجمال للشكل الأدبي الذي يستعمله الإزائيون عادة في روايات المعجزات، ولكنه يميل إلى إيجازها. فالعنصر الروائي مُختصر. ويمكننا أن نلاحظ في رواية شفاء المُقعّد، مثلاً (متى ٩: ١-٨) غياب المنزل والجمع المضايق وتفنّن من يحملون

السريّر، لكي يتمكنوا من إيصال المقعد إلى أمام يسوع. أما الخطاب، على العكس، فهو أساسي. فمتى لا يختصر أبداً الجدل القائم بين يسوع والكتبة، لا بل إن يسوع يلفظ كلمة إضافية يوجّهها إلى المقعد لا ترد في النصوص الموازية وهي «ثق» (متى ٩: ٢). فذلك كله يمنح المعجزات المتأوية هيئة متينة البنية، ولكن مختصرة بعض الشيء نظراً لغياب التفاصيل التزيينية في رواية تقتصر أغلب الأحيان على ما هو أساسي.

## ب - الموضوع الكرستولوجي

إن غياب الزخرفات والأشخاص الثانويين يُسلط أضواء الرواية على طالب الشفاء وعلى يسوع، وهو المحور، لا بل المحور عينه. فهو يتم عمله بكلمة: ففي موجز الشفاءات (متى ٨: ١٦) يوضح النص أن يسوع كان «يطرد الأرواح بكلمة»، وهذا تفصيل خاص بمتى. فهو يفعل مثلما يتكلم، بسلطان وبأقل عدد من الأفعال المادية، إذ إن الشفاء مباشر. إنها قدرة الله التي تفعل بوضوح عن طريق تعابيره الجسدية وكلمته، دون أن تحدّها الوساطة البشرية أو تخفّف من مفاعيلها. وبهذه الطريقة تصبح الرواية لقاءً شخصياً بين يسوع، المُنَادَى دائماً بـ «يا رب»، وبين ذاك الذي «يدنو» منه و«يسجد» أمامه. وهذان فعلاّن عزيزان على قلب متى.

## ج - موضوع الإيمان

إن ما يجعل الشفاء ممكناً هو إيمان من يطلب الشفاء أو إيمان أولئك الذين يحيطون به. فمتى يذكر الموضوع حيثما يرد ذكره في النصوص الموازية له. فهو يُعلن للمرأة النازفة أن إيمانها شفاها (متى ٩: ٢٢)، ويسأل الأعميين عن إيمانها قبل أن يشفيهما (متى ٩: ٢٨-٢٩). وتشكّل معاودة التطرّق إلى الموضوع خطأ بارزاً يربط الفقرات بعضها ببعض طوال الفصلين المركزيين على المعجزات. غير أننا نرى يسوع مندهشاً بشكل خاص أمام إيمان الوثنيين، فيحلو لمتى أن يبرز هذا الإيمان كإيمان قائد المئة مثلاً (متى ٨: ١٠-١٣)، وإيمان المرأة الكنعانية (متى ١٥: ٢١-٢٨)، ممّا يجعلنا نستخلص أن هذا الموضوع عزيز جداً على قلب متى.

السريـر، لكي يتمكنوا من إيصال المقعد إلى أمام يسوع. أما الخطاب، على العكس، فهو أساسي. فمتى لا يختصر أبداً الجدل القائم بين يسوع والكتبة، لا بل إن يسوع يلفظ كلمة إضافية يوجّهها إلى المقعد لا ترد في النصوص الموازية وهي «ثق» (متى ٩: ٢). فذلك كله يمنح المعجزات المتأوية هيئة متينة البنية، ولكن مختصرة بعض الشيء نظراً لغياب التفاصيل التزيينية في رواية تقتصر أغلب الأحيان على ما هو أساسي.

## ب - الموضوع الكرستولوجي

إن غياب الزخرفات والأشخاص الثانويين يُسلط أضواء الرواية على طالب الشفاء وعلى يسوع، وهو المحور، لا بل المحور عينه. فهو يتم عمله بكلمة: ففي موجز الشفاءات (متى ٨: ١٦) يوضح النص أن يسوع كان «يطرد الأرواح بكلمة»، وهذا تفصيل خاص بمتى. فهو يفعل مثلما يتكلم، بسلطان وبأقل عدد من الأفعال المادية، إذ إن الشفاء مباشر. إنها قدرة الله التي تفعل بوضوح عن طريق تعابيره الجسدية وكلمته، دون أن تحدّها الوساطة البشرية أو تخفّف من مفاعيلها. وبهذه الطريقة تصبح الرواية لقاءً شخصياً بين يسوع، المتنادى دائماً بـ «يا رب»، وبين ذاك الذي «يدنو» منه و«يسجد» أمامه. وهذان فعلا عزيزان على قلب متى.

## ج - موضوع الإيمان

إن ما يجعل الشفاء ممكناً هو إيمان من يطلب الشفاء أو إيمان أولئك الذين يحيطون به. فمتى يذكر الموضوع حيثما يرد ذكره في النصوص الموازية له. فهو يعلن للمرأة النازفة أن إيمانها شفاها (متى ٩: ٢٢)، ويسأل الأعميين عن إيمانها قبل أن يشفيهما (متى ٩: ٢٨-٢٩). وتشكل معاودة التطرق إلى الموضوع خطأ بارزاً يربط الفقرات بعضها ببعض طوال الفصلين المركزيين على المعجزات. غير أننا نرى يسوع مندهشاً بشكل خاص أمام إيمان الوثنيين، فيحلو لمتى أن يبرز هذا الإيمان كإيمان قائد المئة مثلاً (متى ٨: ١٠-١٣)، وإيمان المرأة الكنعانية (متى ١٥: ٢١-٢٨)، ممّا يجعلنا نستخلص أن هذا الموضوع عزيز جداً على قلب متى.

## د - الموضوع الكنسي

إنّ موقف الجموع التي تمجّد الله الذي منح الناس سلطاناً كهذا عند شفاء المُقعّد (متّى ٩: ٨) لهو أمر معبّر وموثر. فالمقصود هو السلطان على مغفرة الخطايا. ولكن يبقى السؤال إلى من تشير كلمة «الناس». فهل الجموع تدرك قيمة السلطان الذي يتمتّع به يسوع ابن الإنسان؟ إنه سلطانٌ يقتصر امتلاكه عادةً على الله، في حين أنّ شفاء المُقعّد قد أظهر أنه مُنح لشخص بشريّ معيّن. ما من شك في ذلك، غير أنّ مثل هذا الجواب يبقى دون إيفاء معنى النصّ حقّه.

إذا قرأنا النصّ في إطار القسم الذي ينتمي إليه، يتبيّن لنا أنّ «الناس» الذي يتمتعون بالسلطان لمغفرة الخطايا هم تلك الشريحة من الناس التي تشكّل الكنيسة، والتي كانت جماعة تلاميذ يسوع، ما قبل الفصح، إستباقاً ونواة لها.

كما أنّ الإنجيلي يظهر لاحقاً في النصّ بوضوح كبير، وقد استعان بمفردات أخرى تتركز حول كلمتي «الحل» و«الربط»، أنّ القدرة على مغفرة الخطايا هي بين يديّ جماعة الكنيسة (متّى ١٦: ١٩ و ١٨: ١٥-١٨).

تتيح لنا هذه الفكرة أن نستخلص البعد الكنسي الثابت في روايات الشفاء عند متّى. فيسوع الشافي وطارد الشياطين يعمل كمؤسس للكنيسة التي تتمتّع على غراره بالصلاحيات نفسها. وفي عظة إرسال التلاميذ، التي تبدأ فوراً بعد قسم المعجزات العشر، يعهد إليه بمهمة تتناسب تماماً مع الأعاجيب التي أتى بها، منذ وقت قليل، على مرأى منهم: «إشفوا المرضى، أقيموا الموتى، طهّروا البرص، واطردوا الشياطين، مجاناً أخذتهم، مجاناً أعطوا» (متّى ١٠: ٨).

فالربّ الذي يستجدد به البؤساء وينادونه هو اليوم ربّ الكنيسة: فهل سيقوم بأقلّ ممّا قام به في السابق، وهو عمانوئيل، القائم من بين الأموات، والحَيّ أبداً في ما بيننا: «وها أنا معكم كلّ الأيام إلى نهاية العالم» (متّى ٢٨: ٢٠)؟! ...

## ٢ - قسم المعجزات (متّى ٨-٩)

يتضح لنا إذاً أنّ المعجزات في الإنجيل بحسب متّى لا تقتصر على كونها حوادث خارقة العادة تُستخدَم كسند لبراهين دفاعية هدفها تبرير ألوهة يسوع.

في الواقع، إنَّ الفصلين الثامن والتاسع من متىَّ بعيدان كلَّ البعد عن أن يكونا سلسلة من عشر معجزات بالإضافة إلى بعض المقاطع التي ترد فيها بعض العظات أو روايات من نوع آخر.

فبعد الأعاجيب الثلاث الأولى: الأبرص (متى ٨: ١-٤)، وقائد المئة (٨: ٥-١٣)، وحماة بطرس (٨: ١٤-١٥)، يُبين لنا الكاتب، عبر وقفة، أن يسوع الشافي هذا يُتمِّم نبوءة أشعيا: «ولما كان المساء قدّموا إليه ممسوسين كثيرين. فطرد الأرواح بكلمة، وشفى أيضاً جميع مَنْ بهم سوء. فتمَّ ما قيل بالنبي أشعيا: «أخذ عاهاتنا، وحمل أمراضنا» (متى ٨: ١٦-١٧). فهو يشفي أخذاً عاهاتنا وحاملاً أسقامنا، فيتضامن مع بؤسنا وشقائنا.

وكذلك أمر الانطلاق إلى شاطئ بحيرة طبرية الشرقي الذي يطلق رواية تسكين العاصفة، يتبعه كلامٌ عن متطلبات أتباع يسوع، وهو كلام قد لا يمتُّ إلّا بصلة بسيطة في الظاهر مع هذه الرواية التي يقطعها (متى ٨: ١٩-٢٢).

ثم نجد أنفسنا مرّة ثانية أمام وقفة جديدة تشهدها سلسلة المعجزات بعد شفاء المُقعّد لتردُّ دعوة متىَّ لإتباع يسوع بالإضافة إلى جدالين في الموضوع نفسه (متى ٩: ٩-١٧). أما الخاتمة، التي تردُّ مباشرة بعد الآية التي تفضل اللوحة المزوجة في التعليم والشفاءات، فتعالج بؤس الجموع الناتج عن تهاون رعاتها وليس عن شدة أمراضها الجسدية: «ولما رأى الجموع تحنّ عليهم، لأنهم كانوا منهوكين، مطروحين مثل خراف لا راعي لها» (متى ٩: ٣٦).

في سياق النصّ الذي يشمل الفصلين، يتقلّب يسوع كثيراً من مكان إلى آخر، كما أنّ القسم يتضمّن ذهاباً إلى الأرض الوثنية على الضفة الأخرى من البحيرة، وهذا يساهم في إضفاء معنى عليه (متى ٨: ١٨-٩: ١). تتكرّر غالباً في هذا القسم بعض الأفعال الغنيّة جداً بالمعاني: أولها فعل «تبع» (٩ مرّات: متى ٨: ١، ١٠، ١٩، ٢٢، ٢٣؛ ٩: ٩ مرتين، ١٩، ٢٧) المرتبط جداً بحالة التلمذة وبالموضوع الكنسيّ، وهما عنصران عزيزان على قلب متىَّ، وفعل «قام» أو «نهض» وهو أحد أبرز التعابير في تقليد العهد الجديد التي تشير إلى القيامة (٨ مرّات: متى ٨: ١٥، ٢٥، ٢٦؛ ٩: ٥، ٦، ٧، ١٩، ٢٥). كما أنّ كلمة «تلميذ» تردُّ كثيراً في هذين الفصلين (٨ مرّات: متى ٨: ٢١، ٢٣؛ ٩: ١٠، ١١، ١٤ مرتين، ١٩، ٣٧).

في الواقع، إنَّ الفصلين الثامن والتاسع من متىّ بعيدان كلّ البعد عن أن يكونا سلسلة من عشر معجزات بالإضافة إلى بعض المقاطع التي ترد فيها بعض العظات أو روايات من نوع آخر.

فبعد الأعاجيب الثلاث الأولى: الأبرص (متى ٨: ١-٤)، وقائد المئة (٨: ٥-١٣)، وحماة بطرس (٨: ١٤-١٥)، يُبيّن لنا الكاتب، عبر وقفة، أن يسوع الشافي هذا يُتمّ نبوءة أشعيا: «ولما كان المساء قدّموا إليه ممسوسين كثيرين. فطرد الأرواح بكلمة، وشفى أيضاً جميع من بهم سوء. فتمّ ما قيل بالنبّي أشعيا: «أخذ عاهاتنا، وحمل أمراضنا» (متى ٨: ١٦-١٧). فهو يشفي أخذاً عاهاتنا وحاملاً أسقامنا، فيتضامن مع بؤسنا وشقائنا.

وكذلك أمر الانطلاق إلى شاطئ بحيرة طبرية الشرقي الذي يطلق رواية تسكين العاصفة، يتبعه كلامٌ عن متطلبات أتباع يسوع، وهو كلام قد لا يمتُّ إلّا بصلة بسيطة في الظاهر مع هذه الرواية التي يقطعها (متى ٨: ١٩-٢٢).

ثم نجد أنفسنا مرّة ثانية أمام وقفة جديدة تشهدها سلسلة المعجزات بعد شفاء المُقعّد لتردّ دعوة متىّ لإتباع يسوع بالإضافة إلى جدالين في الموضوع نفسه (متى ٩: ٩-١٧). أما الخاتمة، التي ترد مباشرة بعد الآية التي تقفل اللوحة المزروجة في التعليم والشفاءات، فتعالج بؤس الجموع الناتج عن تهاون رعاتها وليس عن شدة أمراضها الجسدية: «ولما رأى الجموع تحنّ عليهم، لأنهم كانوا منهوكين، مطروحين مثل خراف لا راعي لها» (متى ٩: ٣٦).

في سياق النصّ الذي يشمل الفصلين، يتنقل يسوع كثيراً من مكان إلى آخر، كما أنّ القسم يتضمّن ذهاباً إلى الأرض الوثنيّة على الضفة الأخرى من البحيرة، وهذا يساهم في إضفاء معنى عليه (متى ٨: ١٨-٩: ١). تتكرّر غالباً في هذا القسم بعض الأفعال الغنيّة جداً بالمعاني: أوّلها فعل «تبع» (٩ مرّات: متى ٨: ١، ١٠، ١٩، ٢٢، ٢٣؛ ٩: ٩ مرتين، ١٩، ٢٧) المرتبط جداً بحالة التلمذة وبالموضوع الكنسيّ، وهما عنصران عزيزان على قلب متىّ، وفعل «قام» أو «نهض» وهو أحد أبرز التعابير في تقليد العهد الجديد التي تشير إلى القيامة (٨ مرّات: متى ٨: ١٥، ٢٥، ٢٦؛ ٩: ٥، ٦، ٧، ١٩، ٢٥). كما أنّ كلمة «تلميذ» تردّ كثيراً في هذين الفصلين (٨ مرّات: متى ٨: ٢١، ٢٣؛ ٩: ١٠، ١١، ١٤ مرتين، ١٩، ٣٧).

بالإضافة إلى أنّ الذين تحدّث معهم المعجزات ليسوا فقط أشخاصاً نالوا الشفاء؛ إنهم بحسب متى جمهور من الناس الواقفين بين رجال ونساء آخرين يتبعون يسوع. إنهم الكنيسة المولودة وهي يهودية في جذورها، ولها أن تمتدّ إلى الأرض الوثنية. والأشخاص الذي يميل الدين اليهودي إلى إبعادهم أو جعلهم في المرتبة الثانية هم أول من ينضمون إليها: كالأبرص (٨: ١-٤)، والوثني (٨: ٥-١٣)، والمرأة (٨: ١٤-١٥). وفيها يُحتفل بالغفران (٩: ١-٨) ويجد العشارون والخطاة مكاناً لهم (٩: ٩-١٣)، ويصبح عدد كبير من العادات القديمة بالية (٩: ١٤-١٧). إن نوعية التعليم المُعطى تتلازم مع سلامة الأعضاء، بالمعنى الأشمل للكلمة، لأنّ الأقدام التي استعادت قوتها تُمكن صاحبها من السير وراء يسوع، والعيون التي تفتّحت تُبصر النور (٩: ٢٧-٣٤). إن المعجزات الخاصة تصبّ كلّها في معجزة الكنيسة الدائمة المتجدّرة في الإيمان؛ ولذا نرى أنّ اللوم الشديد والأكبر الذي يوجّهه يسوع إلى تلاميذه، بحسب متى، هو «قلّة إيمانهم».

### ٣ - أفعال الآتي

ذات يوم، أرسل يوحنا المعمدان من سجنه من سأل يسوع: «أأنت هو الآتي، أم ننتظر آخر؟» (متى ١١: ٣)، لأنه دُهِش من عدم رؤية المسيح القوي الذي كان ينتظر أن يراه متجلياً في شخص يسوع.

و«الآتي» لقبٌ مسيحياني. فأجاب يسوع مختاراً من سفر أشعيا (٣٥: ٥-٦؛ ٤٢: ١٨؛ ٦١: ١) عدة آيات تُعبّر عن رجاء إسرائيل: «إذهبوا وأخبروا بما تسمعون، وتنتظرون: العميان يُبصرون، والعرج يمشون، والبرص يطهرون، والصمّ يسمعون، والموتى يقومون، والمساكين يُبشرون. وطوبى لمن لا يشكُّ فيّ» (متى ١١: ٤-٦).

يذكرنا هذا الاستشهاد بالأعاجيب التي أتى بها يسوع في الفصلين الثامن والتاسع من الإنجيل بحسب متى. ولكن، كما أشرنا سابقاً، لا يمكننا عزل المعجزات عن مجمل رسالة المسيح: فهي تؤلّف وحدة متماسكة مع إعلان بشرى ملكوت الله: «أما إن كنتُ بروح الله أُخرج الشياطين، فقد وافاكم ملكوت الله» (متى ١٢: ٢٨).

حتى إن المعجزات نفسها تكتسب معناها بسبب وفرتها أكثر منه بسبب المعنى الخاصّ بكل واحدة منها. فمتى مثلاً يذكر الشفاءات وطرد الشياطين معاً، وهما نوعان من الأعاجيب يميّز بينهما مرقس بعناية. في الواقع لا يستعمل مرقس كلمة «شفاء» عندما

يتحدّث عن الموسوسين . أما متى فيختلف عنه : «وذاع صيته في سوريا كلّها، فحملوا إليه جميع من كان بهم سوء، مصابين بأمراضٍ وأوجاعٍ مختلفة، وممسوسين ومصروعين ومقعدين، فشفاهم» (متى ٤ : ٢٤).

فالأعجوبة ليست أولاً فعلاً يدلّ على السلطان أو القوّة . فكلمة «سلطان» (Exousia) يستخدمها متى للدلالة على أفعال يسوع التي لا تُعدّ في العموم بين الأعاجيب : كتعليمه (٢٩:٧) ومغفرة الخطايا (٦: ٩، ٨) وتطهير الهيكل (٢٣: ٢١)، ٢٤، ٢٧) وسلطانه الشامل بعد القيامة (١٨: ٢٨). فالأعجوبة بشكل خاص هي علامة الزمن المسيحاني الذي تحقّق مع يسوع المسيح .

ففي الفصلين اللذين نعالجهما، يبدو المسيح يسوع كطبيب البشر والعريس المسيحاني (٩: ١٢-١٦)، وهما موضوعان هامان في التقليد السرياني . إنه المخلّص ولكنه المخلّص الذي يتجلّى لنا بلامح العبد المتألّم والممجدّ الوارد ذكره في أشعيا والذي يحمل كل عاهة بشرية ليعث فيها قدرة خلاص شاملة : «فتمّ ما قيل بالنبى أشعيا : أخذ عاهاتنا وحمل أمراضنا» (متى ٨ : ١٧ = أشعيا ٥٣ : ٤).

إنه العريس الذي يقترن بحالتنا ويستوعبها حتى النهاية ليشفيها من الداخل ويدخلنا بالتالي إلى وليمة العرس في ملكوت أبيه . إنه العريس ، والتلاميذ هم المدعوون إلى العرس ، ويجدر التذكير بأنه كثيراً ما يُصوّر العهد القديم الله على أنه عريس إسرائيل (راجع هو ٢ : ١٦-٢٢ وأش ٥٤ : ٥-٧)، وذلك عموماً في عود ترتبط بالمستقبل . لقد أحبّ المسيحيون الأولون أن يكملوا هذه الصورة بصورة الاتحاد بين المسيح وكنيسته (راجع ٢ قور ١١ : ٢ ورؤ ٩ : ٢١-١٠).

باختصار، يلتقي هذا القسم من الإنجيل بحسب متى (٨-٩) مع القسم الذي يسبقه (٥-٧) فيكشف لنا وجه يسوع، ومن خلاله وجه الآب . فالأفعال القديرة هذه (Dunamis) التي يأتي بها يسوع، بقوة الروح، تبين لنا هويته، إنه واقع ملكوت السموات الذي اقترب حقاً من البشر بشخص يسوع المسيح .

فالعجزة هي أساساً علامة . وما يهمّ قبل كل شيء ليس الحدث نفسه، بل ما يعنيه : ماذا يعني هذا؟ وباسم منّ يفعل؟ بأسم رئيس الشياطين كما يدّعي الخصوم (متى ١٢ : ٢٤)؟ فيجيب يسوع : «أمّا إن كنتُ أنا بروح الله أخرج الشياطين، فقد وافاكم ملكوت الله» (متى ١٢ : ٢٨).

نعود ونذكر مرة أخرى أن المسألة الهامة ليست البحث إذًا «عمّا حدث» بحرفيته، بل بالأحرى البحث عن معناه. وغالبًا ما توسّع الانجيليون في هذا المعنى من أجل المؤمنين، وبالتالي من أجلنا نحن اليوم: وهذا ما يجب أن نكتشفه قبل أيّ شيء آخر.

لقد نادى يوحنا المعمدان بملكوت السموات، ولكنّه لم يأت بأية واحدة. فمعه لم تكن الأزمنة الحاسمة قد افتُتحت تمامًا بعد. فالشفاءات والتعليم الموجهة إلى الجميع، ولاسيّما الفقراء، تؤلف مجموعة واحدة تُظهر أن النشاط المسيحاني يبلغ مع يسوع ذروته، دون أن ينتهي معه كما رأينا، إذ إنّ البُعد الكنسي للمعجزات الواردة في الفصلين الثامن والتاسع من الإنجيل بحسب متى يؤدّي إلى التعليمات التي أعطاها يسوع لتلاميذه بعد ذلك بقليل في عظة الإرسال (متّى ١٠: ٨). إنها دعوة واضحة لهم ليقفوا به. كما أنها في نظام تاريخ الخلاص إشارة واضحة إلى أن الزمن المسيحاني سيدوم إلى منتهى الدهور: «وها أنا معكم كلّ الأيام إلى نهاية العالم» (متّى ٢٨: ٢٠).

#### ٤ - الآيّة المثلى

إنّ الآيّة الوحيدة التي يرغب الربّ، الذي مات وقام، أن يتركها للكنيسة، جماعة الملكوت، هي في آخر الأمر، آية العبد المتألّم والممجّد الذي يبذل حياته ويخلّص شعبه بتضامنه معه حتى النهاية. فالابن ظهر إبنًا حقًا في كونه مُتخذًا صورة العبد، وبموته صار ممكّنًا للبشر أن يكونوا مسامحين، إذًا مخلصين. إنه المسيح العبد الذي حمل خطايا الكثيرين فاستطاع أن يسمّرّها على الخشبة ويمنح الكنيسة السلطان بأن تفعل مثله. فالكنيسة نفسها مدعوّة لتسلك الطريق نفسه الذي سلكه العبد المتألّم، ببذل ذاتها وتضامنها إلى أقصى حدود التضامن مع بؤساء هذا العالم، هذا إذا أرادت أن تكون أمانة للدعوة التي أوكلها إليها ربّها.

يجيب المسيح الفريسيين والكتبة والصدوقيين الذي جاؤوا يسألونه آية من السماء ليَجربّوه، قائلاً إنه لن تعطى لهم سوى آية يونان النبيّ، وقد ورد ذلك مرتّين في متّى (١٢: ٣٨-٤٥ و ١٦: ١-٤): «فأجاب وقال لهم: جيل شرير فاجر يطلب آية، ولن يُعطى آية إلاّ آية يونان النبيّ. فكما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، كذلك سيكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال» (١٢: ٣٩-٤٠). إنها الآيّة المثلى.

ففي يسوع المسيح حلّت الأزمنة المسيحانية، وما الموت والقيامة إلا إعلانًا بحلولها. ومن لا يتنبّه لذلك يكون من «الجيل الشرير الفاجر» (١٦: ٤؛ ١٢: ٣٩)، أي غير المؤمن، لأنه بذلك يكون قد رفض الملكوت الذي اقترب بيسوع. والكنيسة، على مثال الرب، مدعوة أن تكون هذا المكان حيث لا تنفك آية يونان تتجلّى كأية وحيدة تُمنَح للبشر من أجل فدائهم، والمكان الذي فيه لا ينقطع الاحتفال بفصح المسيح من أجل خلاص العالم إلى أن يأتي اليوم الذي يشرب فيه المسيح القائم من الموت والممجد، من عصير الكرمة الجديد مع تلاميذه في ملكوت أبيه (راجع ٢٦: ٢٩).

## ٥ - الدينونة

إنّ العبد يبذل نفسه بتضامنه مع الفقراء ومع إخوته الصغار. سيكون هذا التضامن وحده «الآية» التي يطلبها ابن الإنسان، يوم الدينونة، من تلاميذه حين يأتي في مجده ليتمكّنوا من المشاركة معه في الملكوت الذي أعدّه الأب منذ إنشاء العالم (متى ٢٥: ٣١-٤٦).

فالكنيسة هي، في الواقع، جماعة المدعوّين لا جماعة المختارين: «فالمدعوّون كثيرون، أما المختارون فقليلون» (متى ٢٢: ١٤)، وهي مدعوة إلى أن تعيش الزمن المُعطى لها في الطاعة للتعليم الذي تلقّته من معلّمها وسيدّها، ومصيرها النهائي مرتبط بذلك. إنّ التعليم الأخير الذي أعطاه المسيح قبل الدخول في آلامه، كما رأينا في متى ٢٥، يذكّر التلاميذ باستحالة إقامة علاقة حقيقية معه خارج الحياة اليومية حيث يُمتحن كلُّ إيمان صادق ويُنّى.

إنّ «الإخوة الصغار» يرمزون إلى كلّ إنسان في الشدّة سواء أكان مؤمنًا أم لم يكن. وفي يوم الجزاء الأخير سيكافئ «المسيح-العبد» كلّ إنسان بحسب السلوك الذي اختاره تجاه القريب في البؤس، هو الذي صار ديانًا إسكاتولوجيًا، مُعلنًا تضامنه مع «إخوته هؤلاء الصغار».

والقاعدة المتّبعة لتميز البشر بعضهم عن بعض تقوم على ستة أفعال رحمة أساسية: إطعام الجائع، إرواء العطشان، إستقبال الغريب، إلباس العريان، زيارة المريض والسجين. والنقطة الحاسمة في هذا كلّه تكمن في الربط القائم بين أفعال الرحمة الستة وشخص المسيح.

## المعجزة في إنجيل مرقس

### مقدمة

لقد تعرّف شعبُ الله القديم على الربِّ كمخلّصٍ أولاً وكسيّدٍ للتاريخ، قبل أن يتعرّف عليه كخالقٍ وصانعِ المبروءات. تعرّف عليه من خلال تدخّلاته المتواترة في التاريخ والأحداث الخلاصيّة.

لذلك يرى الكاتبُ الملهم يدَ الربِّ العاملة في كلِّ حدث، تاريخَ الخلاص.

تلك الأحداثُ - المعجزات، لم تكن مسرحاً «لعرض عضلات الله»، بل أعمالاً حسيّة مرثية تُظهر مجدَّ الربِّ وتديبهُ الخلاصي، وتقود الإنسانَ إلى الإيمان الحق. هذا ما يوضّحه الكاتبُ الملهم في سفر الخروج بعد معجزة عبور بحر الأحمر: « وشاهد إسرائيل المعجزة العظيمة (حرفياً: يد الربِّ العظيمة) التي صنعها الربُّ بالمصريين، فخاف الشعبُ الربَّ وآمنوا به وبموسى عبده» (خر ١٤: ٣١) (نلاحظ كيف ربط الكاتبُ الملهم بين المعجزة ومخافة الربِّ والإيمان به).

فرجلُ الكتاب المقدس، لا يتساءل عن كيفية حصول المعجزة بل عن معناها وغايتها. بهذا المفهوم العميق للمعجزة، قرأت الجماعة الأولى أعمالَ يسوع الخلاصية، قرأت فيها تجلّيات القدرة الالهية العاملة في شخصه الالهي وتحقيقاً لسرِّ خلاص البشرية وبالتالي الدعوة إلى الإيمان به رباً وفادياً. هذا ما أوضحه بطرس في عظته يوم العنصرة قائلاً: « إن يسوع الناصري، ذاك الرجل الذي أيّده الله لديكم بما أجرى عن يده بينكم من المعجزات،

والأعاجيب والآيات . . . قد أقامه الله وأنقذه من أهوال الموت» (أع ٢: ٢٢ و ٢٤).  
 فالمعجزة هي علامة لكل إنسان. لذا نرى في العهد الجديد، العبارتين Teras (المعجزة) و  
 Semeion (علامة) يسيران معاً دائماً. فمعجزات يسوع هي آيات وعلامات تُعلن حلول  
 الزمن الاسكاتولوجي. فهذا الزمن، هو ضمن إطار الانتظار المسيحاني، الوقت الذي  
 يتجلى فيه الله نهائياً وبشكل كامل في يسوع المسيح فيكون آية لكل إنسان ويدخل في  
 حوار خلاصي معه.

## ١ - البنية الأدبية واللاهوتية لإنجيل مرقس

قبل الدخول في عمق الموضوع، لا بدّ من إلقاء نظرة شاملة على البنية الأدبية  
 واللاهوتية لإنجيل مرقس، لأنها وحدها تستطيع أن تكشف لنا هدف مرقس الحقيقي،  
 أسلوبه وتعليمه، وبالتالي تساعدنا على فهم موضوعنا، المعجزة في إنجيل مرقس، فهماً  
 كافياً.

أغلبية الشّراح البيبليين يتفقون على أن إنجيل مرقس يُقسم إلى قسمين:

الأول (١: ١٤-٨: ٢٦)، والثاني (٨: ٢٧-١٦: ٨)، يربط بينهما اعتراف بطرس  
 بمسيحانية يسوع في قيصرية فيلبس (٨: ٢٧-٣٠). هذا الاعتراف البطرسي يشبه حجر  
 العلق الذي يتوجّه إليه البناء كلّهُ. فهو النقطة الأساسية التي عندها يجد السرّ المسيحاني  
 تفسيره.

فعلى القسم الأوّل من إنجيل مرقس (١: ١٤-٨: ٢٦) يُشرف سؤال واحد: من هو  
 هذا الرجل؟ منذ أول ظهور في مجمع كفرناحوم دهّشت الجموع والسلطات وتساءلت:  
 من هو هذا الرجل؟ من أين له هذا السلطان (١: ٢١-٢٨)؟ الشياطين يعرفون، ولكنّ  
 يسوع كان يُسكتها ويلزمها الصمت (نقطة مهمّة جداً) (١: ٢٤-٢٥؛ ٣٤؛ ٣: ١٢).  
 تصرف يسوع بسلطان وقدرة أدهشت السلطات والأهل والمواطنين وشككتهم: «ما بال  
 هذا الرجل يتكلم بذلك؟ إنه يجدف. فمن يقدر أن يغفر الخطايا إلاّ الله وحده؟» (٢: ٧؛  
 ٣: ٢١-٢٢؛ ٦: ٢-٣). كما اجترح يسوع معجزات عديدة في هذا القسم الأوّل  
 (١: ١٤-٨: ٢٦)، ولكنه فرض على الذين نعموا بها، الصمت (نقطة أساسية في  
 معجزات يسوع بحسب مرقس). أراد أن لا ينكشف سرُّ شخصه.

بعد اعتراف بطرس (٢٧:٨-٣٠) يبدو أن الستار سقط، وتوجّه الإنجيل كلّهُ إلى الصليب فالقيامة. فاعترافُ بطرس حركَ السفرَ من الجليل (القسم الأول، ١: ١٤-٢٦:٨) إلى أورشليم (القسم الثاني، ٨: ٢٧-١٦: ٨)، إلى تميم سرّ الفداء.

هذا يدلّ على أن القسمَ الأولَ من إنجيل مرقس (١: ١٤-٢٦: ٨)، هو الظهور المسيحاني السري في الجليل الذي هيء للاكتشاف الكبير: إقرارُ بطرس (٨: ٢٧-٣٠)، وهذا الاكتشاف أوصل الإنجيلَ إلى نهاية الدراما في أورشليم (٨: ٢٧-١٩). نستخلص من هذه البنية الأدبية واللاهوتية لإنجيل مرقس، أن المعجزات، وعددها ١٩ معجزة، تحتلّ الحيزَ الأكبرَ من القسم الأول من إنجيل مرقس (١: ١٤-٢٦: ٨)، ولا نجد في القسم الثاني (٨: ٢٧-١٦: ٢٠) سوى معجزتين: الصبيّ المصاب بالصرع (٩: ١٤-٢٩) وأعمى أريحا (١٠: ٤٦-٥٢).

فالمعجزات هي عنصر أساسيّ في إنجيل مرقس، إنها إيفانيا، أي ظهور إلهي، تتجلّى فيها القدرة الإلهية الخلاقة والعاملة دوماً في شخص يسوع المسيح.

لكي نكتشف سرّ هذه المعجزات ومعناها، لا بدّ من البحث أولاً عن ميزاتها ومفرداتها بحسب مرقس.

## ٢- ميزات المعجزات عند مرقس

هناك مفردات خاصة بالإنجيلي الثاني، يستعملها في سرد خبر المعجزات.

أولاً: «الآيات أو الأعاجيب أو الخوارق» (Semeion). فالفريسيّون يطلبون من يسوع آية: «فأقبل الفريسيون وأخذوا يجادلونه، طالبين منه آية من السماء ليجربوه» (مر ٨: ١١)، أي طالبين منه عملاً كونياً خارقاً يُثبت صحّة مسيحانيته. أجابهم صراحة: «لن يُعطى هذا الجيل آية». لهذا رفض يسوع أن يُعطي «آية» لهذا الجيل، لأنه (أي يسوع) يرفض الإيمان المولود من الأعجوبة الكونيّة. (مثلاً: «عند الصليب، قال اليهود: «إن كان هو المسيح فلينزل عن الصليب ونرى فتؤمن»، مر ١٥: ٣٢). لهذا حدّر يسوع تلاميذه من هذه الآيات- الخوارق إذ قال لهم: وعندئذ إذا قال لكم أحد من الناس: «ها هوذا المسيح هنا، ها هوذا هناك! فلا تصدّقوه. فسيظهر مسحاً دجالون وأنبياء كذابون يأتون بآيات (Semeia) وأعاجيب (Terata) ليضلّوا المختارين لو أمكن الأمر» مر ١٣: ٢١-

هذه الآيات- الخوارق، لا تدلّ على ظهور المسيح الحقيقيّ إطلاقاً، فلقد تركها يسوع للمسحاء الكذبة (راجع ١٣: ٥-٦).

إن يسوع المرقسيّ حمل بقساوة على هذه «الخوارق المدهشة» وعلى كل أشكال المعجزات التي تُظهره «ككائن فوق الطبيعة»، لأنها أعمال تسحر وتضلّل، فهي محفوظة للسرير وللمسحاء الكذبة. إذاً يبدو مرقس متحفظاً، شأنه شأن يسوع، فلم يتحدث عن «آيات» كما يفعل الخصوم الجائعون إلى المعجزات والظواهر الخارقة.

ولكن هذا التحفّظ سيختفي في نهاية الإنجيل المرقسي، أي بعد حدث القيامة، فتُذكر كلمة آية مرتين (مر ١٦: ١٧ و ٢٠). ففي الآية ١٧، يعدّ يسوع بأن هذه الآيات ترافق المؤمنين. «فباسمي يطردون الشياطين ويتكلمون بلغات لا يعرفونها، ويمسكون الحيات بأيديهم وإن شربوا سمّاً فلا يؤذيهم ويضعون أيديهم على المرضى فيشفون».

إذن نحن لسنا أمام معجزات الرسل، بل أمام معجزات يجترحها سامعوهم الذين آمنوا: «... والذين يؤمنون تصحبهم هذه الآيات...» (أ ١٧). لهذا لم يقل يسوع «تطردون الشياطين» بل «يطردون الشياطين باسمي». وفي الآية ٢٠، تظهر الآيات مع الفعل «رافق». إن دور الآيات هو تثبيت كلمة الأحد عشر: «والربّ يعمل معهم ويؤيد كلمته بما يصحبها من الآيات» (آية ٢٠).

ثانياً: «أعمال القوّة dunamis». إن الشفاءات التي أجراها يسوع والتعزيّجات، تسمّى في إنجيل مرقس: «عمل قوّة» أو بالجمع «أعمال القوّة». فأهل الناصرة تساءلوا قائلين: «من أين له هذا؟ ما هذه الحكمة التي أعطيها حتى إنّ أعمال القوّة تجري عن يديه؟... ولم يستطع أن يُجري هناك شيئاً من المعجزات... وكان يتعجّب من عدم إيمانهم» (٦: ١-٦). لم يستطع يسوع إجراء المعجزات لعدم إيمان الحاضرين (آية ٦). (لكنه أجرى بعض الشفاءات). فعدم الإيمان يقوم بأن نضع علامة استفهام حول أصل يسوع الإلهي. فلا يكفي بأن نقرّ أنّ في يسوع حكمة أعطاه إياها الله: «ما هذه الحكمة التي أعطيها؟» (آية ٢)، أو ندهش لكلماته: «فدهش كثيرٌ من الذين سمعوه» (٦: ٢)، أو نتحدّث عن السلطان الذي يملكه في صنع العجايب: «من أين له هذا؟» (آية ٢). بل يجب أن نعلن ما أعلنه قائد المئة عند الصليب: «في الحقيقة كان هذا الرجل ابنَ الله» (١٥: ٣٩).

إن «أعمال القوّة» هذه أدهشت هيرودس أنتيباس وكلّ السامعين بأعمال يسوع

فقالوا: «إن يوحنا المعمدان قام من بين الأموات، ولذلك تعمل فيه القدرة على إجراء المعجزات» (١٤: ٦). ولقد استعمل يسوع هذه المفردات، فحين روى يوحنا على يسوع محاولة التلاميذ أن يمنعوا يهودياً من طرد الشياطين باسم يسوع، أجاب يسوع قائلاً: «لا تمنعوه، فما من أحد يجري معجزة باسمي يستطيع بعدها أن يسيء القول فيّ» (٣٩: ٩).

باختصار، إن كلمة «عمل قوة»، تشير إلى نشاط يسوع العجائبي في إنجيل مرقس. فما القصد من ذلك وما الهدف؟

ذكرنا آنفاً، أن المعجزات (عددها ١٩) تحتل الحيز الأكبر من القسم الأول (١: ١٤-٢٦: ٩) من إنجيل مرقس، أي القسم الذي يهيء تدريجياً إلى الإعلان البطرسى في قيصرية فيلبس (٢٧: ٨-٣٠). فيظهر لنا من ذلك، أن المعجزات تتجه نحو الاكتشاف الكبير، ألا وهو: اعتراف بطرس: «أنت المسيح» (٨: ٢٩). هذا هو محط أنظار المعجزات في إنجيل مرقس.

ولكن يجب أن ننتبه، إلى أن هذه الروايات ليست «براهين» حسيّة عن قوّة يسوع الفائقة الطبيعة. إن يسوع المرقسي يرفض مثل هذا المفهوم (لا يستعمل عبارة «آية»)، كما أنه فرض الصمت والسكوت على الشياطين وعلى كل الذين نالوا نعمة الشفاء.

ويطرح السؤال الآن: لماذا فرض يسوع الصمت على الشياطين وعلى الذين نالوا نعمة الشفاء؟

### ٣ - المعجزات وفرض الصمت

#### أ - الصمت المفروض على الشياطين

ليس مرقس معلماً كمتى، ولا مؤرخاً كلوقا، ولا لاهوتياً كيوحنا، ولا مفكراً كبولس، بل هو إنجيلي، حامل البشرى: «يسوع الناصري هو المسيح ابن الله» (مر ١: ١).

هذه البشرى هي إيمان الكنيسة الرسولية بالمسيح الحاضر فيها والعامل في قلوب المؤمنين. فالإنجيل المرقسي إذاً، يعكس همّ الكنيسة الأولى وهو: كيف التوفيق بين يسوع المسيح ابن الله المجد والمسيح ابن الإنسان المتألم، بين يسوع الإله ويسوع الإنسان.

وما يسمّيه الشّراح «السّرّ المسيحاني»، في إنجيل مرقس، هو الحرص، في القسم الأول من الإنجيل (١: ١٤-٨: ٢٦)، على كتمان «مسيحانية» يسوع، والاكتفاء بسّرّ ما يثبت تلك «المسيحانية» وذلك في أمور أربعة: المعجزات، طرد الأرواح الشريرة، الجدالات مع اليهود، والامثال.

لقد حرص يسوع، على ما يرد في القسم الأول من إنجيل مرقس، على كتمان مسيحيته، وأعلنها في القسم الثاني (٨: ٢٧-١٦: ٢٠) منه، بعد إعلان بطرس إيمانه به مسيحاً.

ففي القسم الأول من الإنجيل، يقوم يسوع أربع مرّات، بطرد روح شرير. فانتصاره على الشرير مقدّمة لاتنتصاره النهيوي عليه. والروح الشرير يشهد ليسوع أنّه ابن الله كما شهد له الأب نفسه (مر ١: ١١؛ ٩: ٧). ولكن يسوع يأمر الروح الشرير بالصمت وحفظ السّرّ. لقد أتى يسوع ليقتضي على ملكوت الشرير ويُقيم ملكوت الله: «ما لنا ولك يا يسوع الناصري؟ أفجئت لتهلكنا؟ أنا أعلم من أنت: أنت قدّوس الله!» (١: ٢٤؛ راجع ١: ١٥). فلقد نهى يسوع الأرواح النجسة عن إعلان سرّه (١: ٢٥، ٣٤؛ ٣: ١٢)؛ ونهى المرضى عن إعلان شفائهم (١: ٤٤؛ ٥: ٤٣؛ ٧: ٣٦؛ ٨: ٢٦)؛ ونهى الرسل عن إعلانه مسيحاً (٨: ٣٠؛ ٩: ٩)، لأن اليهود كانوا ينتظرون مسيحاً زمنياً يملك بالقوة، وخشي يسوع أن يروا فيه ذلك المسيح (يو ٦: ١٥؛ مت ١٣: ١٣). يُعرف هذا التستّر في إنجيل مرقس، «بالسّرّ المسيحاني»، وهو ليس أسلوباً لمرقس، بل موقف تاريخي وقفه يسوع.

لذا كان يسوع يفرض الصمت والسّرّ على الشياطين بعد كل عمل فيه يطرد الروح النجس. فكان يجرها بقساوة: «إخرس أو أسدّد فاك!» (١: ٢٥). والعبارات التي كانت تطلقها الشياطين: «أنت قدوس الله» (١: ٢٤)، «أنت ابن الله» (٣: ١١)، «يسوع، ابن الله العليّ» (٥: ٧). . . كلّها عبارات تكشف حقيقة هوية يسوع، وتؤلّف العمود الفقري للكرستولوجيا المرقسيّة.

لكن يسوع لم يُرد أن تُطلّق هذه العبارات علانية إلا في الوقت المحدّد لها، أي ساعة الألام («الساعة» حسب الإنجيلي يوحنا) هي الوقت المقرّر لكشف «السّرّ المسيحاني» علانية. لذا وقت محاكمة يسوع سأله رئيس الكهنة عن هويته (سؤال يذكّرنا بصرخات الشياطين): «أأنت المسيح، ابن المبارك؟» أجابه يسوع: «أنا هو» (١٤: ٦١-٦٢). بهذا الجواب تمّ الحكم على يسوع.

فيسوع فرض الصمت والسّرّ على الشياطين، لا لأنه غير مقتنع بالعبارات الكرستولوجية التي يطلقها هؤلاء، بل لأنه، بحسب مرقس، هناك وقت محدّد لإعلان هوية يسوع رسمياً.

ففرض الصمت هذا هو تديبر وقائي اتخذه يسوع منعاً لأي تأويل سلبيّ أو خاطئ لمسيحانيته، وبالتالي فإن إفشاء هوية يسوع قبل الوقت المحدد لذلك، سيؤدي حتماً إلى ضياع مهمّة يسوع الخلاصيّة. ولكن حين أنت «الساعة» لم يتراجع يسوع أبداً عن إطلاق العبارات الكرستولوجية، بل قال علانية لرئيس الكهنة: «أنا هو». هذا السّرّ المسيحاني حفظه يسوع لساعة موته. فأمام رئيس الكهنة قال: «أنا هو». وأمام الصليب قال قائد المئة: «في الحقيقة، كان هذا الرجلُ ابنَ الله» (١٥: ٣٩).

### ب - الصمت المفروض على الذين أنعم عليهم بالشفاء

ذكرنا أيضاً، أن مرقس يقتصد في ذكر خطب يسوع ويستفيض في الأخبار عن معجزاته، وتستغرق روايتها نحو ثلث الإنجيل! هذه المعجزات هي دليل قاطع على تأييد الله المطلق ليسوع، وعلى حضور ملكوت الله في أعمال يسوع، وعلى قدرته الالهية، ولكنه يحذّر من نشر أخبارها، ويوصي بحفظ السّرّ فيها.

ففي الواقع، إن ذلك التشديد كان تحاشياً لمسيحانية سياسية راسخة في أذهان معاصريه وتلاميذه، وتصحيحاً تدريجياً لتلك المسيحانية وبالتالي هو دليل على وعي يسوع التام لحقيقة مسيحيته.

إذا نظرنا إلى جدول المعجزات في مرقس، نلاحظ أن يسوع فرض الصمت في أربع حالات شفاء وإحياء: بعد شفاء الأبرص (١: ٤٠-٤٥)، بعد شفاء المنزوفة وإحياء ابنة يائيرس (٥: ٢١-٤٣)، بعد شفاء الأصم الأكم (٧: ٣٢-٣٧)، وأخيراً بعد شفاء أعمى بيت صيدا (٨: ٢٢-٢٦).

لماذا فرض يسوع الصمت في هذه المعجزات الأربع فقط؟

إذا عدنا إلى إنجيلي متى ولوقا، نرى أن هذه المعجزات تُظهر علانيّة مسيحيّة يسوع. ففي جوابه على سؤال يوحنا المعمدان المسجون: «أأنت الآتي أم نتظر آخر؟» (مت ١١: ٣) يجيب يسوع معدداً أعماله العجيبة (مت ١١: ٥ = لو ٧: ٢٢) مستوحياً

أقوال أشعيا العديدة، مشيراً إلى العميان والعرج والصرم (أش ٣٥: ٥-٦) وإلى المساكين (أش ٢٩: ١٨-١٩)، وإلى إحياء الموتى (أش ٢٦: ١٩) وإلى تبشير المساكين (أش ٦١: ١-٢)، ومُفهِماً المعمدان أن الزمن المسيحاني قد بدأ، لا بالعنف، بل بالرفق، قولاً وعملاً (لو ٤: ١٧-٢١).

إن هذه المعجزات التي عدّها يسوع في جوابه على المعمدان في إنجيلي متى ولوقا، لهي دليل قاطع على حلول ملكوت الله بيننا. ولكن بالنسبة لمرقس، فإنه يرفض أن تكون هذه المعجزات «براهين» لمسيحانية يسوع وألوهيته (رغم أنه لا يُنكر هذه المعجزات). لذا نجد عند مرقس فكرتين متجاذبتين:

يُريد الإنجيلي أن يؤكد أن ملكوت الله اقترب بشخص يسوع المسيح، وفي ذات الوقت يرفض أن تستنتج الجموع أنّ يسوع هو المسيح، لأن هذا العنوان لم يزل غامضاً عندهم، وعلى هذه اللفظة «مسيح» أن تتنقى من كل شائبه ومفهوم خاطئ، يجب أن تتنقى بالموت على الصليب: المسيح هو المصلوب.

لهذا الأمر، فرض يسوع الصمت على المستفيدين من الأشفية. فالملكوت يتوحد بالبشارة والإيمان، وهذا بالطبع يدخل في إطار مخطط إنجيل مرقس كما نرى في المقدمة: «الزمان اكتمل وملكوت الله اقترب، توبوا وآمنوا بالإنجيل» (١: ١٥).

أخيراً نلاحظ عند مرقس، أنه عندما لا يُحفظ السرّ والصمت، نرى أن الجموع التي عرّفت بالمعجزة لا تستطيع أن تستخلص أن يسوع هو المسيح، بل تندesh لأعماله فقط ولا تطلق عليه أي عبارة كرستولوجية. لذا نستنتج من إنجيل مرقس أن سرّ مسيحانية يسوع لن ينضج ولن يظهر على حقيقته للجموع إلا على الصليب.

## ٤ - معنى المعجزات عند مرقس

### أ - إعلان ملكوت الله بالمعجزات

قلنا إن المعجزات تحتل الحيز الأكبر من القسم الأول لإنجيل مرقس (١: ١٤-٨: ٣٠). وفي هذا القسم الخاص بسرّ المسيح، يحذّر يسوع تلاميذه من أن يُعلنوا لأحد ما

أعلنه لهم، أي أنه المسيح الآتي، مُلزماً بإيهم بحفظ سرّ المسيحاني. ولا ترد لفظه «مسيح» في كل هذا القسم، سوى في المقدمة وفي إعلان بطرس إيمانه بيسوع مسيحاً. يعكس القسم الثاني الخاص بسرّ ابن الإنسان (٨: ٣١-١٦: ٢٠) حيث يكثر استعمال لفظه «المسيح» (ست مرات) ولفظة «ابن الإنسان» (١٢ مرة). ولكن هذه البشري التي أتى من أجلها يسوع يجب أن تتجسد في أعمال وأحداث. خاصة وأن البيئة التي ظهرت فيها هذه البشارة، كانت تعيش في خوف دائم من الأرواح النجسة وتُنسب إليها كل الشرور والآفات (أمراض، أوبئة، مرض عقلي...). ففي هذه البيئة الرازحة تحت سلطة الشياطين، أعلن يسوع أن الوقت حان ليُظهر الرب قدرته ويحرر الإنسان من انحرافاتة الجسديّة والعقليّة. وهذا ما حققه يسوع في صنعه للمعجزات إذ أعلن أن ملكوت الله قد حلّ بيننا. وهذا الإعلان يقوم على الكرازة والتعظيم والأشفية. وإن «يوم كفرناحوم» (١: ٢١-٣٤) هو يوم مثالي لخدمة يسوع الرسولية. ففي هذا اليوم الكفرناحومي المبني على وحدة الزمان (يوم السبت) ووحدة المكان (كفرناحوم)، جمع مرقس عدّة أحداث: تعليم، طرد شيطان، شفاء حماة سمعان (نرى تجسيد الأبعاد الثلاثة لرسالة يسوع). فلقد أدهش عمله سكان كفرناحوم: «حتى أخذوا يتساءلون: ما هذا؟ إنه لتعليم جديد يُلقى بسلطان! حتى الأرواح النجسة يأمرها فتطيعه!» (١: ٢٧).

يهتمّ مرقس بالحرب ضد الشياطين، وطرده الأرواح النجسة يحتلّ حيزاً هاماً في إنجيله. ما هو قصد الإنجيلي من ذلك؟ هو كشف عن شخص يسوع واكتشاف تدريجي لهذا المعلّم. وبالتالي يريد أن يقود القارئ إلى إعلان الإيمان المسيحي، إلى التعرف إلى يسوع المسيح وابن الله.

إن مرقس يتوخّى من المعجزات وطرده الشياطين أن يبرهن أن مملكة الشرّ المتسلّطة على الإنسان لا يمكنها بعد اليوم أن تقف أمام ملكوت الله الآتي في شخص يسوع المسيح. لذا بدأ يسوع عمله التبشيري بطرده الأرواح النجسة والشفاءات، كعلامة حسيّة لمجيء ملكوت الله.

### ب - المعجزات صورة نبوية لرسالة الكنيسة

يُركّز هذا المقطع (مر ٣: ٧-٦: ١٣) على دعوة الرسل الاثني عشر وعلى رسالتهم. وفي صميم هذا المقطع يوجد «يوم جديد» بعد يوم كفرناحوم (٤: ١-١٠).

٥: ٤٣)، يسمّى «يوم الأمثال (أمثال السفينة) والرحلة المليئة بالمفاجآت»، أو «خطبة البحيرة» التي تركز على «أسرار الملكوت». في هذه الخطبة يتكلم يسوع بالأمثال (مثل الزارع، ٤: ١١-٢٠؛ مثل السراج والمكيال، ٤: ٢١-٢٥؛ مثل الزرع الذي ينمي من تلقاء ذاته، ٤: ٢٦-٢٩؛ ومثل حبة الخردل، ٤: ٣٠-٣٢؛ يتكلّم بالأمثال ليوضح خفياً، بل ليُخفي عن الجموع ما كان يقوله للتلاميذ بوضوح (٤: ١١-١٤)، ليُخفي عنها مسيحيانيته. إذًا، في خطبة الأمثال (خطبة البحيرة)، كان يسوع يشرح أسرار ملكوت الله ويهيئ التلاميذ للرسالة.

فما هو هذا الملكوت الذي سيُعلنونه؟ كيف ستكون نشاطاتهم وما هي التزاماتهم؟ هناك أربع معجزات تُولف وحدة متماسكة (٤: ٣٥-٥: ٤٣، تسكين العاصفة، شفاء ممسوس، شفاء المنزوفة وإحياء إبنة يائيرس) ترسم أمام الرسل الطريق إلى الوثنيين. فيسوع الجالس في السفينة، هو في حركة دائمة في بحيرة الجليل، ونراه على دفعتين في «الضفة الأخرى» (٤: ٣٥؛ ٥: ١) (الضفة الأخرى هي أرض الوثنيين)، ولكي نصل إليها لا بدّ من اجتياز البحيرة والمروور بالعاصفة الهوجاء التي تمنع السفينة من الوصول إلى ديار الجراسيين. إن مرقس يشدّد على هول العاصفة وعلى خوف التلاميذ وعلى دعوة يسوع لهم إلى الإيمان.

إن حدث تسكين العاصفة يُظهر أنّ على يسوع والاثني عشر أن يتحدّوا مخاطرَ البحر، مسكن الأرواح الشريرة، ليصلوا إلى «الضفة الأخرى». ففي خضمّ تجارب الرسالة، يجب على الاثني عشر أن يحفظوا الإيمان قوياً بذاك الذي يتظاهر أنه نائم في مؤخر السفينة.

إن الوصول إلى «الضفة الأخرى»، حرّرت المنطقة من الأرواح الشريرة الممثلة في شخص الممسوس. فبعد أن تحرر الرجل من هذه الأرواح النجسة طلب أن يتبع يسوع (٥: ١٨)، ولكن يسوع أبى استصحاب الرجل معه، ليبقى رسولاً شاهداً له في بني قومه، فلا يحول إعادتهم يسوع عن ديارهم دون متابعة الملكوت مسيرته فيهم.

فعلى الاثني عشر، أن ينطلقوا بالرسالة إلى الأمم، مع سلطة يسوع، كما انطلق وإياهم إلى أرض الجراسيين، فيطردون الشياطين، ويشفون المرضى، لأن القوة المكنونة في شخص يسوع لم تزل تعمل فيهم أبداً.

## ج - المعجزات علامات المسيح

في نهاية خبر تسكين العاصفة (٤: ٣٥-٤١)، يخاف التلاميذ ويتساءلون: «من هو هذا؟ حتى الريح والبحر يطيعانه!» (٤: ٤١). لقد ساور الشكُّ التلاميذ لضعف إيمانهم وأخذوا يتساءلون «من هو هذا؟ من هو يسوع؟» (آية ٤١). فشخصية يسوع كانت موضوعَ تساؤل لدى الرسل والجموع (من هو هذا؟). لذا شدّد مرقس في خبر تسكين العاصفة على خوف التلاميذ القليلي الإيمان وشدّد على دعوة يسوع إلى الإيمان، فالإيمان وحده يبذلّ الخوف.

وإذا أراد التلاميذ أن يقووا إيمانهم، فإنهم يحتاجون إلى قوّة أخرى، إلى طعام «جوهري»، إلى خبز يُشبع ولا يَنقُذ، يجب أن يأكلوا على مائدة الله نفسها. في هذا الإطار، وضع مرقس، بعد «عظة البحيرة» (٤: ١-٥: ٤٣)، كتلة أدبية رئيسية (٦: ٣٠-٨: ٢٦) سُميت «مقال الخبز»، وهي تروي على دفتين تكثير الخبز. (نجد كلمة خبز Artos ١٨ مرة في هذه القسمة من الإنجيل). فعلى تساؤل التلاميذ الخائفين: «من هو هذا؟» (٤: ٤١)، يجيب مرقس بتنسيق تلك المجموعة من الأقوال والأعمال، ومراده أن يظهر يسوع متممًا ما كان الناس يتوقعون من المسيح العتيد. فيحدّد الإنجيلي موقع أول تكثير للخبز في أرض يهودية، على شاطئ بحر الجليل (٦: ٣٠-٤٤). أمّا تكثير الخبز الثاني فيجري في أرض الوثنيين (٨: ١-١٠) (راجع ٧: ٣١ ي)، وفي نهاية كل تكثير الخبز، يضع مرقس شفاءات.

ففي نهاية مقطع تكثير الخبز الأول، يضع شفاءً أصمّ ألكن (٧: ٣٢-٣٧). وفي نهاية مقطع تكثير الخبز الثاني يضع شفاءً أعمى بيت صيدا (٨: ٢٢-٢٦). يفهمنا مرقس من ذلك أن يسوع هو موسى الجديد (١٨: ١٨-١٩) الذي يقود شعبه من البرية (٦: ٣٥) إلى المراعي الخصبة (٦: ٣٩) ويجدد من أجلهم عطية المنّ.

ويشدّد مرقس، على أننا هنا أمام الافخارستيا: طعام مسيحاني يجمع اليهود (أي الأبناء) والوثنيين («... ومنهم من جاء من مكان بعيد» (٨: ٣)) إلى مائدة الملكوت. فيؤكّد في «مقالة الخبز» على دعوة الوثنيين إلى وليمة الافخارستيا المسيحية، وعلى حقهم في الانضمام إلى شعب الله الجديد. كان التكثير الأول لصالح الشعب اليهودي، أما التكثير الثاني فصالح الشعب الوثني «الآتي من بعيد» (٨: ٣) (راجع يش ٩: ٦-٩؛ أش

٦٠:١٤؛ أف ٢:١٣، ١٧). حينئذ ندرك لماذا وضع مرقس الجدال حول الطاهر والنجس في موازاة مع معجزتي تكثير الخبز (٧:١-٢٣). ما من أحد يُستبعد عن مائدة الملكوت، لا اليهود ولا الوثنيون، لأن لكل مكاناً على مائدة الراعي المسيحاني (٦:٣٤؛ ٧:٣٦-٣٧:٢).

إن «مقالة الخبز» تعرّفنا على حقيقة يسوع: إنه المسيح الذي يُعطي الجميع عطاءً وافراً من الخبز والكلمة والشفاء. أشع الشعب اليهودي الذي كان «كخراف لا راعي لها» (٣٤:٦). كما أشع الوثنيين الذين جاؤوا من البعيد (٨:٣)، كما وهب السمع والنطق في أرض الوثنيين، للأصم الألكن وأعاد النظر إلى أعمى بيت صيدا، أي إنه أعاد إلى العالم الوثني القدرة على الإيمان بالله الحيّ (أش ٣٥:٥-٦). والسؤال الذي طرحه يسوع على التلاميذ: «ألكم عيون ولا تبصرون؟ وأذان ولا تسمعون؟» (٨:١٨) هو توبيخ ضمني على عدم إيمان التلاميذ وقساوة قلوبهم، وهو إشارة إلى ما لقي يسوع من صعوبة في هدي اليهود والتلاميذ إلى الإيمان به، على الرغم مما يرون من آيات.

تنتهي «مقالة الخبز» بإعلان بطرس عن مسيحية يسوع: «أنت المسيح» (٨:٢٩). إن توصل بطرس إلى إعلان مسيحية يسوع، فذلك دليل على أنه شفي من عماء وصممه فانطلق لسانه واعترف بيسوع مسيحاً.

## د - المعجزات في إطار الإعلان عن الآلام

ذكرنا سابقاً، أن معظم المعجزات في مرقس ترد في القسم الأول من الإنجيل (١:١٤-٨:٣٠) (القسم المسمّى: السرّ المسيحاني)، أمّا في القسم الثاني (٨:٣١-١٦:٢٠) الخاص بسرّ ابن الإنسان، فلا يذكر الإنجيلي إلاّ معجزتين: الصبيّ المصاب بالصرع (٩:١٤-٢٩) وشفاء أعمى أريحا (١٠:٤٦-٥٢). فما المقصود من ذلك؟

بعد اعتراف بطرس بمسيحية يسوع في قيصرية فيلبس، بدأ يسوع مرحلة جديدة يُعلن فيها ما ينتظره من مصير، من رذل، وألم، وقتل، وقيامة. وما كان التلاميذ يتوقعون هذا المصير: آمن بطرس بيسوع مسيحاً، ولكنه لم يستطع أن يؤمن بسرّ آلامه، وموته وقيامته. فاعترض على تعليم يسوع اعتراض من يفكر تفكيراً بشرياً يابحاً، فيفوته سرّ الآلام الكبير. وتحوّلت «الصخرة» التي يبني عليها يسوع كنيسته إلى «حجر عثرة»

يحول دون إتمامه ما أراد الأب من رسالة، فتتشبّه بذلك الشيطان: «سرّ ورائي، يا شيطان، لأنّ أفكّارك ليست أفكار الله، بل أفكار البشر» (٨: ٣٣). إنّ بطرس بمعارضته آلام يسوع، يقوم مقام الشيطان الذي يحاول أن يردّ يسوع عن طاعة الله: فهو يهجر مكانه، لأن على التلميذ أن يسير «وراء» يسوع، فيتبعه في الزهد في النفس المعبر عنه بقبول الصليب، أي تعريض حياته للخطر في سبيل يسوع والبطارة (٨: ٣٤-٣٨).

إن شفاء الصبي المصاب بالصرع (٩: ١٤-٢٩) يبرز أهمية الإيمان.

فالتلاميذ الذين شككهم عثار الصليب والقيامة قد توقفوا بإيمانهم عند المسيح ابن داود، ولم يستطيعوا أن يذهبوا إلى أبعد من ذلك أي إلى الجلجلة فالقبر الفارغ. لذا بقي إيمانهم ضعيفًا ناقصًا لا يؤهلهم لشفاء مريض كما قال والد الصبي: «... لقد سألت تلاميذك أن يطردوه، فلم يقدرُوا» (٩: ١٨). فالتلاميذ بحاجة إلى خطوة جريئة تدفعهم إلى رأس الجلجلة، إنهم بحاجة إلى صرخة الصبي: «أمنت، فشدّد إيماني الضعيف» (٩: ٢٤).

أمّا شفاء أعمى أريحا (١٠: ٤٦-٥٢) فيكشف لنا موقف التلاميذ من يسوع قبل دخول أورشليم. لقد بقي التلاميذ على موقفهم: يسوع المسيح ابن داود دون قبول عثار الصليب والقيامة. فهُم يشبهون أعمى بيت صيدا الذي هو رمز لعمى التلاميذ، لهم عيون ولا يبصرون، وآذان ولا يسمعون (٨: ١٨).

لا يريدون أن يروا في يسوع إلا ابن داود الذي سيعيد مجد المملكة الداودية. فأعمى أريحا، يدعوهم إلى أن يُشفوا من عماهم ويسيروا مع يسوع في الطريق ويدخلوا أورشليم.

### هـ - المعجزات علامة انتصار يسوع على الموت

في حدث إحياء ابنة يائيرس (٥: ٢١-٢٤، ٣٥-٤٢)، نرى أنّ الوالد ينعم بإيمان قوي، لأنه يطلب من يسوع أن يحيي ابنته «المشرفة على الموت» (٥: ٢٣)، إذ لا توجد أي وسيلة بشرية تستطيع أن تردّ الحياة للصبيّة. لقد وُضع إيمان يائيرس على المحك إذ قال له قوم: «ابنتك ماتت فلم تزعج المعلم؟» (٥: ٣٥). ولكن يسوع شجّع الوالد قائلاً: «لا تخف! آمن فقط!» (٥: ٣٦). ثم رافقه إلى البيت، فرأى يسوع الجموع في حالة

اضطراب وبكاء وعويل: «ولمّا وصلوا إلى دار رئيس المجمع شهد ضجيجاً وأناساً يكون، يعولون» (٥: ٣٨). فالجموع بعيدة كل البعد عن يسوع وعن إيمان يائيرس. فقال يسوع: «لم تمت الصبيّة، وإنما هي نائمة، فضحكوا منه» (٥: ٣٩-٤٠). أجل بالنسبة لغير المؤمن لقد انتهى كل شيء: ماتت الصبيّة. أما بالنسبة ليسوع، فهي نائمة، لأن الموت بحضوره أصبح نوماً ورقاداً. هكذا فهم المسيحيّون الاولون الموت مع يسوع، إنه قيامة: «فقال يسوع للصبيّة: طليتا قومي! فقامت الصبيّة لوقتها وأخذت تمشي» (٥: ٤١-٤٢). فيسوع الذي انتصر على الارواح النجسة وعلى الامراض والعاهات، انتصر أيضاً على الموت. فخبّر إحياء إبنة يائيرس كُتب لتثبيت المسيحيّين الاولين في الإيمان بقيامة الاموات وبيسوع المنتصر على الموت.

### و - المعجزات علامة تثير عمل وبصيرة التلاميذ

رأينا أن معجزتي الأوصم - الألكن وأعمى بيت صيدا (٧: ٣١-٣٧؛ ٨: ٢٢-٢٦) تدلان على حلول الزمن المسيحاني الذي اكتمل بيسوع المسيح. ولكن مرقس يذهب إلى أبعد من ذلك. ففي الإطار الادبي للمعجزتين، يتّهم يسوع تلاميذه بالغباوة قائلاً: «ألستم عيون ولا تبصرون؟ وأذان ولا تسمعون؟» (٨: ١٨). هذا يعني أنهم لم يفهموا شيئاً من كل ما قام به يسوع فيعاتبهم قائلاً: «ألم تفهموا حتى الآن؟» (٨: ٢١). ولقد سبق لمرقس أن ذكر غباوة التلاميذ في معجزة الخبز الأولى، فقال «لأنهم لم يفهموا ما جرى على الأرغفة، بل كانت قلوبهم قاسية» (٦: ٥٢). فعبارة «قلوبهم قاسية»، هي تعبير ببلي تعني أنهم في وضع لا يمكنهم من فهم الإرادة الإلهية (راجع ١٠: ٥).

فالتلاميذ إذاً، مُتهمون بالجهل والغباوة وعدم الإيمان. إنهم يشبهون «سائر الناس» الذين «ينظرون نظراً ولا يبصرون ويسمعون سمعاً ولا يفهمون» (٤: ١١-١٢). فيسوع يوجّه الملامة إلى التلاميذ الأغبياء، وما شفاؤه للأوصم الألكن ولأعمى بيت صيدا إلا علامة موجّهة إلى التلاميذ ليرفعوا البرقع عن أعينهم ليروا مجد الرب ويعترفوا بيسوع المائت والقائم من الموت مخلصاً وفادياً.

### ز - المعجزات علامة تحرر لكل الكيان البشري

إن العهد القديم هو عهد انتصار تحقيق ملكوت الله على الأرض. ملكوتُ يكون

فيه الإنسان محرراً من كل القيود: فالعميان سيبصرون، والعرج سيمشون، والصم سيسمعون، والأسرى سيطلقون والموتى سيقومون (أشعيا ٤٢: ٧).

هذا الانتظار، قد حققه يسوع في شخصه الإلهي، في أقواله وأعماله المحررة. ففي أول حياته العلنية بدأ يسوع «بحرب» لا هوادة فيها ضد كل القيود التي تأسر الإنسان. وأولى تلك القيود هي الأرواح الشريرة. جاء «يوثق الرجل القوي» (مر ٣: ٢٧) لينهب بيته وأمتعته ويحرر المرضى من سلطته: «فشفى كثيراً من المرضى المصابين بمختلف العلل، وطرد كثيراً من الشياطين، ولم يدعها تتكلم لأنها عرفت» (١: ٣٤). ففي اليوم الكفرناحومي العظيم والأول في حياة يسوع العلنية، نقرأ بوضوح جوهر رسالته في صرخة الروح النجسة. «ما لنا ولك يا يسوع الناصري؟ أجتت لتهلكنا؟ أنا أعرف من أنت: أنت قدوس الله» (١: ٢٤).

في الحقيقة «يوم يسوع في كفرناحوم» (١: ٢١-٣٩) هو يوم مثالي لحياته التبشيرية. ففي كفرناحوم كان يعلم ويشفي ويطرد الأرواح الشريرة، وهذا ما سيفعله في أي مكان. يهتم بكل الكيان البشري: في عقله جسده وروحه. كما يهتم بكل أبعاد حياته: الحياة الروحية: «دخل المجمع وأخذ يعلم...» (١: ٢١)؛ الحياة العائلية: «ولما خرجوا من المجمع جاؤوا إلى بيت سمعان...» (١: ٢٩)؛ وفي الحياة الاجتماعية: «... واحتشدت المدينة بأجمعها على الباب فشفى كثيراً من المرضى...» (١: ٣٣-٣٤). فيسوع يهتم بكا الكيان البشري ليحرره ويأتي به إلى الإيمان.

## خلاصة

قد طالبت السلطات اليهودية يسوع أكثر من مرة ببرهان يثبت أصالة رسالته. ويذكر مرقس (٨: ١١) أن الفريسيين طلبوا منه «آية Semeion من السماء»، أي برهاناً قاطعاً عن حقيقة مسيحانيته. مثل هذا الطلب، يؤدي إلى تجربة الرب، كما جرّبه الشعب في البرية. وفي آخر لحظة من حياة يسوع، كان هزه الرؤساء صدى لكلام المجرب: «فلينزل الآن... لنرى ونؤمن» (مر ١٥: ٣٢). لقد رفض يسوع المرقسي مثل هذه الآيات - الخوارق، كما رفض الإيمان الناتج عنها، فيسوع المرقسي لا يرضى إلا بالإيمان الناتج عن معجزة المعجزات: الصليب والقيامة. هناك يتجلى المسيح - الاله على حقيقته. إلى هناك

وجه يسوع المرقسي بطرس والرسول، وإلى هناك توجه الكنيسة كل البشرية على كرّ الأجيال. فالصليب يكشف لنا حقيقة يسوع المرقسي، وهناك نتعرف عليه ونصرخ إلى الأبد مع قائد المئة: «في الحقيقة، كان هذا الرجلُ ابنُ الله!» (٣٩: ١٥).

الخوري يوسف فخري

## المعجزات في الإنجيل بحسب القديس لوقا

هيكلية الإنجيل بحسب القديس لوقا تعطينا أن نرى توزيع «رواية الأحداث التي جرت» . . . والتي «تتبع (لوقا) كل شيء من أصوله» بخصوصها، كما تهدف إلى توضيح أمور عدّة تحمل البشارة التي يدونها «حسب ترتيبها الصحيح». طبعاً هو لا يقصد الترتيب الزمني ولا الترتيب الجغرافي ولا الترتيب الذي تناقلته الذاكرة الإيمانية في خبرة الكنيسة الناشئة من أقوال المعلّم وأعماله، لأنه يستعمل المعطيات بطريقة مختلفة ولنا في ذلك أمثلة عديدة. فما هو هذا الترتيب الصحيح الذي يجعله القديس لوقا أساساً لبناء إنجيله؟ هذا السؤال اللافت جعلنا نقرأ من جديد نصّ الإنجيل وندون كلّ التفاصيل في موضوع المعجزات لنصل إلى اكتشاف بعض اهتماماته الكريستولوجية والكنسية، نتوقّف على ثلاثة منها:

الاهتمام الأول: المعجزات والآيات وطريقة استعماله لكل منهما ،

الاهتمام الثاني: وجه يسوع المعلّم والمخلص الذي يُشفق ويتحنّن ويشفي ،

الاهتمام الثالث: وجه الكنيسة وما ينتظره منها سيّدها في مسيرة تقديس العالم وشفائه .

### الاهتمام الأول

المعجزات والآيات وطريقة استعماله لها

لاحظنا، بعد قراءة هيكلية نصّ البشارة بحسب لوقا، أنه يستعمل التوزيع مادة

للتوضيح . بمعنى آخر، من خلال الأحداث التي ينتقيها من معجزات وآيات، ومن خلال طريقة متابعتها وتوزيعها، هو يكتب العلاقة العميقة التي تربطها وليس فقط ما تعنيه كحدّث، وهذه العلاقة هي بمثابة مفتاح المعنى .

ولاحظنا أيضاً أنه يتكلّم عن المعجزة وعن الآية . والآية عنده هي العلامة التي تشير إلى سرّ الإيمان من خلال موقف أو كلمة يقولان من هو يسوع المسيح الآتي ليقدم لنا الخلاص . وهو يعطي الآية ما يعطي للمعجزة من تعبير شفائي على صعيد الشفاء الروحي والاعتراف به معلماً وسيّداً ومخلّصاً . هو يقول للمرأة الخاطئة، مثلاً، «إيمانك خلّصك، إذهبى بسلام»، وهو نفس التعبير الذي يقوله لكلّ الذين شفاهم، ويورد في آية طرد الباعة من الهيكل أن «الشعب كان يستمع إليه متعلّقاً به، بينما رؤساء الشيخ الكهنة ومعلّمو الشريعة وشيوخ الشعب كانوا يسألونه: بأي سلطان هو يعمل مثل هذه الاعمال؟ هذه هي الآية التي رآها سمعان وتنبأ أنها ستكون هدفاً للمقاومة فتتكشف أفكار الكثيرين .

يبدأ بشارته بإعلان الفرح العظيم مقرونًا بآية: إني أبشركم بفرح عظيم: وكّد اليوم لكم مخلّص . . . إليكم هذه العلامة، تجدون طفلاً. وينهيها بآية الآيات: الربّ معلّق على الصليب، شكّاً لليهود وعثاراً لليونانيين . ملخّص البشارة عنده هو إذًا وجه المخلّص الآتي ينحني على الإنسان ويشفيه ويعيد إليه الكرامة . والمفارقة العميقة التي يركّز عليها منذ البداية هي أن هذا المخلّص سيكون في تعبير الطفل «إليكم العلامة: تجدون طفلاً» . بمعنى آخر الخلاص يأتي في تعبير التواضع والبساطة والحنان .

إنطلاقاً من هذه الرؤية، نحن نرى أن القديس لوقا بنى كلامه عن المعجزات بين هاتين الآيتين: آية الطفل المخلّص، وآية الصليب في أربع لوحات، جعل في بداية كلّ منها آية هي بمثابة المدخل والمفتاح للفهم .

اللوحه الأولى تبدأ بآية وجوده في مجمع الناصرة يقرأ نصّاً من نبوءة أشعيا: «روح الربّ عليّ لأنه مسحني لأبشّر المساكين، أرسلني لأشفي المنكسري القلوب، لأنادي للأسرى بالحرية وللعميان بعودة البصر إليهم، لأحرّر المظلومين، وأعلن الوقت الذين فيه يقبل الربّ شعبه»، ويقول: «اليوم تمّت هذه الكلمات التي تلوتها على مسامعكم» (٤: ٢١) . هذه الآية التي يتجلّى من خلالها وجه الربّ وبرنامج الرسوليّ سوف تتحقّق في إحدى عشرة معجزة ينقلها إلينا القديس لوقا في ثلاثة فصول تنتهي بإعادة نبوءة أشعيا، وهذه المرّة بالأفعال، أمام الوفد الآتي من قبل يوحنا المعمدان (١١) .

وتبدأ اللوحة الثانية بأية المرأة الخاطئة (٧: ٣٦-٥٠) التي تدخل بيت أحد الفريسيين ومعها قارورة طيب تسكبه على قدميه مع دموعها، لأنها فهمت آية حبه. هذا المعيش الذي جعله الرب مثلاً يعلم من خلاله، يضعنا في جوّ المعجزات التي كان دائماً يسبها تعليم، وتأتي عبارة «إيمانك خلصك، إذ هي بسلام» لتؤكد أن هذا الخبر هو آية.

ويكمل لوقا الكلام عن المعجزات في هذه اللوحة بذكر النساء المرافقات ليسوع واللواتي شفاهن من الأرواح النجسة والأمراض، وبعدها معجزة تهدئة العاصفة (١٣) وطرده الشياطين من مجنون الجراسيين (١٤) وإحياء ابنة يائيرس وشفاء المنزوفة (١٥) - (١٦) وتنتهي بإطعام الآلاف من الأرغفة الخمسة والسمكتين (١٧).

واللوحة الثالثة تفتحها آية التجلي (٩: ٢٨-٣٦)، وانكشاف شخص يسوع المسيح بصوت الأب الذي يقول إنه ابنه الحبيب. وهذه الآية سوف تطع كل معجزات هذه اللوحة، إذ ترى تكديساً لمعجزات طرد الشياطين من جهة (١٨: ١٩)، وبداية المواجهة العلنية بينه وبين الفريسيين (٢٠: ٢١) مروراً بذكر معجزتين في الطريق (٢٢-٢٣) إحداهما معجزة أعمى أريحا الذي يختصر الكلام عن الموقف: لهم عيون ولا يبصرون كما تنبأ أشعيا (٦: ٩-١٠).

واللوحة الرابعة تبدأ بأية دخوله أورشليم سيّداً وطرده للباعة من الهيكل (١٩: ٢٨-٤٨)، وتنتهي بأية الصليب والقيامة، لا يذكر فيها القديس لوقا سوى معجزة شفاء أذن خادم رئيس الكهنة (٢٤) التي يرمّ ذكرها مخفياً ولكنه محمّل بكل حنان يسوع وإصراره على عيش المنطق الجديد الذي يبشّر به حتى النهاية.

## أ - ما هي المعجزات الواردة في الإنجيل بحسب لوقا؟

ما هو عددها، أنواعها، توزيعها، زمانها ومكانها؟ وما هي رؤية لوقا من خلال كل ذلك؟

نجد في نصّ القديس لوقا ذكراً لأربع وعشرين معجزة، منها أربعة شفاءات شاملة، ويتفرّد بذكر ثمانية منها. وتجمع هذه المعجزات كل أنواع الأمراض والحالات والأمكنة وطرق الطلب والشفاء.

أربع عشر معجزة فيها يشفي يسوع من أمراض مختلفة:

حمّى، برص، شلل، نرف، استسقاء، عمى، أذن مقطوعة . . . وفيها كل أنواع  
الطلب: المريض نفسه يطلب (٥-١٣-١٦-٢٢)، الحاضرون يطلبون من أجله (٦-٨-  
٩)، لا أحد يطلب (١-١٢-١٧-١٩)، الربّ نفسه يأخذ المبادرة (٤-٧-١٤-٢٠-٢١-  
٢٤). فالأولوية في المعجزات هي للشفاء والخلاص والفرج والإعتاق. ويتعبّر آخر هذه  
هي البشرية التي يبشّرنا بها: خلاص الربّ مجّانيّ ويُعطى للجميع وفي كلّ مكان  
وزمان.

وخمس معجزات يطرد فيها يسوع الشياطين.

يبدأ القديس لوقا بشفاء رجل فيه روح نجس يوم السبت في المجمع (١). ولكنه  
يسكت عن موضوع طرد الشياطين حتى الفصل الثامن حيث يعود إلى ذكره أربع مرّات:  
مع مريم المجدلّية التي أخرج منها سبعة شياطين (١٢) ومجنون الجراسيين (١٤) والصبيّ  
الذي فيه روح نجس في سفح جبل التجليّ (١٨) والشيطان الأخرس (١٩) الذي يروي  
عنه القديس لوقا بطريقة محتجبة تكاد تفوت القارئ أحياناً.

وثلاث معجزات يسيطر فيها الربّ على عناصر الطبيعة: الصيد العجائبيّ (٤)  
وتهدئة العاصفة (١٣) وإطعام ٥ آلاف رجل في بيت صيدا (١٧)، وكلّها تصير بعلاقة  
مباشرة مع تلاميذه فنّفهم أنّ المقصود منها هو التلمذة وتنمية إيمان التلاميذ ليصيروا في  
مقام صيّادي البشر ويعطوا الخبز للحياة.

ومعجزتان تتعلّقان بالإحياء من الموت، واحدة عند باب المدينة إذ أشفق الربّ لما  
رأى الأرملة وأخذ المبادرة في ردّ ابنها الأوحّد إلى الحياة وقال لها: لا تبكي (١٠)،  
والثانية مع ابنة يائيروس رئيس المجمع التي كانت سبباً في تثبيت إيمان أبيها: لا تخف.  
يكفي أن تؤمن (١٥).

ويتبع هذا التوزيع توزيع آخر يعرضه القديس لوقا من خلال تغيير الأمكنة:

الأول يبدأ في المجمع يوم السبت (١) لينتهي خارج المجمع في بيت أحد كبار  
الفريسيين (٢١). والثاني ينطلق من بيت سمعان في كفرناحوم (٢) ليصل إلى البحيرة  
(٤) والساحات (٨ و ١١) والمدن الوثنيّة (١٧) وأبواب المدن (١٠) والطرقات (١٥ و ١٦ و  
٢٣). من المجمع إلى البيت، ومن البيت إلى الساحات والطرقات، هذه الرؤية نقرأها من  
خلال توزيعه لرواية الأحداث في «ترتيبها الصحيح» كما ذكر في مقدمة الإنجيل.

ب - ما هي المعجزات التي تفرّد بذكرها؟ ولماذا تفرّد بذكرها؟ وهل نفهم أن له قصداً معيّنًا من خلال ذلك؟

يلفتنا أن المعجزات التي تفرّد بذكرها تشمل كلّ الفئات والحالات: فيها التلاميذ والأرملة والنساء المرافقات والمرأة المنحنية والرجل المستسقي والسامريّ الغريب والخادم. وفيها كلّ اهتمامات الربّ الرسوليّة: تلمذة الرسل وتحقيق النبوءات والرحمة للغرباء وتقدير إيمانهم ومواجهته للفريسيّين وشفاء أذن خادم رئيس الكهنة. ويستوقفنا أن لوقا لا يذكر، في ستّ منها من أصل ثمان، طلباً للشفاء، يعبرّ عنه المريض، بل إن المبادرة تأتي من الربّ نفسه.

كلّ هذه الأضواء تجعلنا نفهم القصد العميق المستتر خلف اختيار ذكر هذه المعجزات بالذات وخلف طريقة طرحها. فهو يلحّ على إظهار وجه الربّ يسوع الحنون والمبأدر إلى إنهاض الإنسان وشفائه، أيّا كان وضعه ومقامه وتفكيره، ووجه المعلّم الذي يجترح المعجزات لا لإظهار قوّته الإلهيّة بل لتلمذة حقيقة توصل التلميذ إلى اتّباعه والاعتراف أنه حقّاً الربّ المخلّص.

## الاهتمام الثاني

### وجه يسوع من خلال المعجزات

يسوع هو أولاً المعلّم الذي يُلقى الكلمة في قلوب سامعيه، وتأتي المعجزة في هذا الإطار تكملة للتعليم أو إذا شئنا تعليمًا من نوع آخر. ونرى هذا الجوّ التعليميّ في غالبيّة المعجزات (١٧ من أصل ٢٤). وهذا الوجه يعزّ على لوقا الذي يشرّ لا قوّة يسوع القادرة على صنع المعجزات بل بيسوع المعلّم والقادر الذي سيموت ليقول آخر كلمة من تعليمه، وهو معلق على الصليب. هو معلّم لا كالمعلّمين، هو معلّم قدوة يعيش كلّ كلمة قالها وكلّ وصيّة طلبها من الذين سيحجرون على ترك كلّ شيء ليتبعوه. وهو معلّم يلغي التراتبيّة والهوامش، ويحنو على أرملة ومنحنيّة الظهر ومنزوفة، وتصبح معه نساء زوان ومتشيطنات أولى الرسولات والمساعدات. نراه يعلمّ قبل المعجزة وفيها وبعدها، ويستعملها لغة تفتح القلوب على وجه الأب، وتفتح الأذهان المتحجرة على روح

الشرعية. هذه اللغة هي الرحمة. والجموع كانت تأتي إليه ليس فقط لئسفى من أمراضها بل لنسمع كلمة الله. «جاؤوا ليسمعوه وليشفهم من أمراضهم» (١٨:٧). ارتباط سماع الكلمة بالشفاء محور أساسي عند لوقا وسوف يكمل كلامه عنه في سفر الأعمال ويعطينا أن نقرأ عن الكلمة التي كانت تنمو وتصنع المعجزات.

ويسوع هو المخلص الذي بشرت به الملائكة أنه ولد وصار بين البشر سبباً للفرح والخلاص. هو مخلص للجميع دون استثناءات ولا موانع، وهو حنون لدرجة المبادرة بالشفاء حتى ولو لم يطلب ذلك أحد من المساكين والمرضى. وهو لا ينسى الرحمة حتى في عتمة الخيانة وهول التوقيف كمجرم ويلمس أذن خادم رئيس الكهنة ويشفيها (٢٤).

وهو يعتزل في البراري ليصلي (٥) ويفرح بإيمان السامريّ الغريب (٢٢) ويتعجب من إيمان الضابط الوثنيّ ويشيد به (٩). والطريقة التي يستعملها للشفاء تقول سرّ شخصه: فهو يرى الحاجة، ويدنو ويمدّ يده، ويلمس، ويأخذ بيد المريض، ويضع يديه عليه، ويترك الناس يقربونه ويلمسونه.

## الاهتمام الثالث

وجه الكنيسة وما ينتظره منها سيدها في مسيرة تقديس العالم وشفائه

وجه الكنيسة الذي نقرأه في الإنجيل بحسب لوقا من خلال كلامه عن المعجزات يجمع التناقضات، وأمامه طريق طويل في التلمذة والتدرّج برفقة المعلّم. وجهها يختصر كلّ الوجوه التي كتب عنها سيّما التي تفرّد بذكرها، فنفهم تالياً أنّ الكنيسة في رؤيته، لها فريدة الفقراء والبسطاء والغرباء والمحنيّ الظهر. وإن كُنّا نقرأ في وجهها كلّ هذه الوجوه، فهذا يعني أنّها أمهمّ جميعاً وأنّها بيّتهم وطريقُ الرجاء أمام أقدامهم. وهذا يعني أيضاً أنّها تحمل في أحشائها وجع الجميع وعاهات الجميع وتعترف في قلبها ولسانها أنّها مريضة ومتألّمة وتحتاج إلى الشفاء. هذه هي أولى جمالاتها وأولى الخطوات التي يطلبها منها المعلّم: أن تعي، باستنارة من روحه، أنّها مشهد للعالم في الاعتراف المتواضع بضعفها ومرضاها وحاجاتها إليه، هو المخلص وحده يشفيها ويرفع ظهرها.

هي تحتاج أيضاً أن تثبت في مسيرة اكتشافه، وتلقّي عنها ثوب الخوف، وتقويّ إيمانها به وتكفّ عن مجادلته وإحراجه وتفتح الكتاب كلّ يوم فتلقّي بالكلمة وتفهم روح

الشرية وقلبها الرحوم، لتتعلم أن تقبل شفاء الربّ يوم السبت وشفاء للغرباء، ولا تعود تتوقّف عند المعجزة، لأنها تصير هي نفسها معجزة تُدهش العالم بالكلمة والمحبة.

وبدل أن يكون في فمها سؤال: من أين نطعم كلّ هذا الجمع ونحن في مكان مقفر، تتعلم كيف تصير هي آية الخصب والخبز الطيب لأنه مرّ بالنار ولأنّه يُعطى لها من سيّد الحياة. وتصير تُتقن وتتفنّن في تنظيم الخير من خلال الرحمة.

مرتجها هو المثال الذي تركه لها معلّمها في تلمذة دائمة. ومرتجها هو القدوة التي عاشها لأجلها حتى الصليب. ويقدر ما هي تتذكّر هذا المثال وتقبل أن تُجسّد هذه القدوة وتصلّب بفرح، بقدر ذلك تصير آية شفاء للعالم وسبب تمجيد للربّ يسوع المسيح.

جهاد الأشقر وسوسن حبيب

بيت الرسالة

المعجزات في الإنجيل بحسب القديس لوقا

A - آية مجمع الناصرة : ٤ : ١٦ - ٣٠

صلى	ردة الفعل	طرفة يسوع	من طلب المعجزة	المكان	المعجزة
	استغفروا كلهم وقالوا: ما هذا الكلام بسطان وقوة يأمر الأرواح النجسة فتخرج، وذاع صيته	انتهر الشيطان	_____	في المجمع يوم السبت	١ يسوع يشفي رجلاً فيه روح نجس ٢٧-٣١ : ٤
	قامت في الحال وأخذت ثيابهم - عند غروب الشمس جاء الناس بخرصهم إلى يسوع	فما منها - انتهز الخلق فتركها	استعانوا به (الأتلابيد)	في بيت سمعان	٢ يسوع يشفي عمه بطرس ٣٨-٣٩ : ٤
	خروجت الشياطين وهي تصرخ أت المسيح ابن الله	وضع يديه على كل واحد منهم، كان يتهم الشياطين ويتعجب من الكلام لأنها عرفت أنه المسيح	الناس (بنون كلام)	في بيت سمعان	٣ شفاء شامل ٤٠-٤١ : ٤
الأتلابيد بنون يسوع	وقع بطرس على ركبتى يسوع وقال: ابعده عني... - وكان في حمةة هو زفاه... تركوا كل شيء وتبعوا يسوع.	سيروا إلى العمق وألقوا شياكم للصيد (كلية).	يسوع	على طابليها المهبيرة	٤ السيد العجايب ١١-١٥
	زاده صيت يسوع انتشاراً فأقبلت إليه جموع كثيرة لتسمعه وتشفى من أمراضها.	مد يده ولمسه وقال له: قد شفت... أوصاه الأخير أحد بل ينهب إلى الكاهن.	الأرض	في إحدى المدن	٥ يسوع يشفي أرمسا ١٦-١٧ : ٥

٦	يسوع يفتي كسيحاً ١٧:٥-٢١	في البيت	بعض الناس (بنون كلام)	غفران الخطايا - قم اجعل فراشك وانصب إلى بيتك (كلمة)	استاء معلوم الشريعة والفريسيون. الكسيح قام وجعل فراشه وهو يحد الله. الحاضرون استولت عليهم اخيرة فمخدوا الله وبلاهم الحرف وقالوا: اليوم رأينا عجائب.	يسوع ياتو لاري
٧	يسوع يفتي رجلاً بده بايسة ١١-٦:١٦	في المصحح يوم السبت	يسوع	قم وقف في الوسط... أمدك يدك (كلمة). وسؤال للفريسيين	الفريسيون: ملاهم القصب وتشاوروا كيف يفعلون يسوع	يسوع يخار الرسل الـ ١٢
٨	شفاء شامل ١٧:٦-١٩	مكان سهل	الناس (بنون كلام) حازوا وحازوا أن يلمسوه.	كانت قوة تخرج منه وتشفهم كلهم.	حازوا جميع الناس أن يلمسوه.	عقبة الجبل
٩	يسوع يفتي خادم أحد الضباط ١:٧-١١	في بيت الضباط	أحد الضباط من خلال بعض شيوخ اليهود	نصب معهم... تجارب مع الضباط وقال كلمة.	يسوع تصحب وانفتحت إلى الذين يتبعونه وقال: ما وجدت مثل هذا الإيمان حتى في إسرائيل.	
١٠	يسوع يهيم ابن الأرملة ١٧-١١:٧	بابه المدينية	الربى: كما رأها أمدق عليها.	قال لها: لا تبكي، دنا من التعش ولمسه، قال للشباب: أقول لك قم.	سيطر الحرف على الجميع وقالوا وهم يحسبون: ظهر فينا نبي عظيم وثقده الله شعبه.	
١١	هقاء هامل أمام وفد يوحنا المعمدان ٣١،٧-٣٣	على الخارج	يوحنا المعمدان (بطريقة غير مباشرة)	حقيق نوة أصمياً وذكرها.	ثبت إيمان يوحنا المعمدان (بطريقة غير مباشرة)	

B - يسوع يغفر لإمرأة خاطئة ٧: ٣٦-٥٠

١٢	يسوع يغفر للمرأة المرافقة له ٢،٨	_____	_____	صرون ترفقات يسوع ومساعدات له بأموالهن	_____	_____
----	-------------------------------------	-------	-------	--	-------	-------

١٣ يسوع يعيدون العاصفة ٢٥-٢٢:٨	في بحيرة طبريا	التلاميذ	قام وانتهز الرياح والأمواج... وقال لهم أين لناكمم (كلمة)	خافوا وتصدعوا وقالوا: من هذا؟ الراحة: هربوا لتفروا الخبر الناس: خرجوا ليراه حازوا الى يسوع، استول عليهم الخوف أهل الناحية: طلبوا أن يتخذ عنهم لأنهم كانوا في خوف شديد. المداني: طلب أن يأخذ معه، راح ينادي بما عمل يسوع له.	١٣
١٤ يسوع يطرد الشياطين من مجنون الجراسين ٣٩-٢٦:٨	ناحية الجراسين	يسوع	الرجل (كلمة) أمر الروح النجس أن يخرج من الرجل (كلمة)	١٤	
١٥ ١٦ يسوع يحيى ابنة يائيرس	في بيت يائيرس،	يائيرس	فذهب مع يائيرس، أمرهم جميعاً، أخذ بيد الصبية وصاح: يا صبية قومي. أمر أن تعطى طعاماً أو صاعها الآخر أحياناً. قوة خرجت منه (تركها تلمسها) أعطى وقته للمبروة	١٥ ١٦	
ويحيى المبروة ٥٦-٤٠:٨	في الطريق	المبروة (بدون كلام)	أعطى وقته للمبروة	١٧	
١٧ يسوع يظلم الآلاف رجل ١٧-١٠:٩	بيت صيدا	_____	أمر بإلقاء الجموع، أخذ الأربعة الجنسية والسككين، رفع صوته نحو السماء وبارك وكسر رأعطي تلاميذه ليرزعوها.	١٧	
يطرس يذهب بحقيقة يسوع يسوع يبيّن عبوته وقبائمه (١)	_____	_____	سكوت عن ردة الفعل يسوع طلب الإعلان عن الحدث	_____	

## ج. آية التجلي: ٢٨-٣٦

يسوع ينفخ نيبه، يموته وقيامته (٢) يسوع يرسل السبعين، يعلم الصلاة	تعجب الحاضرون كلهم من قدرة الله العظيمة	يعاتب: يا لكم من جليل كافر فاسد، وقال للرجل: فتم ابناك.	التنهر الروح القدس	والد الصبي	في سبوع جبل الصلي	يسوع ينفخ نيبه صبيًا فيه روح القدس ٢٧-٢٨: ٤٢-٤٣	١٨
الجموع يطالبون آية	انقسام الرأي حول يسوع وأتباعه أنه يظرد الشياطين بعلم زبول. وطلبوا آية من السماء ليصحبوه. يسوع: يواحه ويعلم ويعتف	يظرد يجعل الرجل يتكلم	_____	_____	أمم الجميع	يسوع يظرد شيطاناً أعمس ١٥-١٤: ١١	١٩
يسوع يوتخ القريستن ويعلمي الشريعة (١٤: ١٢)	المراة: تجتد الله. رئيس الجميع: غضب وطلب آلا يجتروا يستشفوا يوم السبت. يسوع: يعتف ويعلم. جعل جميع معارضيه. فرح الجمع كله بالأعمال.	لما راها دعها وقال لها: يا امرأة أنت معافاة من مرضك. ووضعي يديه عليها.	_____	يسوع	في المجمع يوم السبت	يسوع يظفي امرأة عندهية ١٧-١٥: ١٣	٢٠
ما يطلب من أتباع يسوع، أمثال الرحمة	سكت معلمو الشريعة والقريستن وما قذروا أن يجازوه.	أحد الرجل بيده وشفاه وصرفه	_____	يسوع	في بيوت أحد حمار القريستين يوم السبت	يسوع يظفي مريضاً فيه ١٤: ٦-٦	٢١
يسوع يتيه، يموته وقيامته (٣)	السامري: رجع وهو يمتد الله وارثي على وجهه عند قدمي يسوع يشكره. غياب التسعة.	تظلم وقال لهم: انظروا الى الكعبة وأروم أنفسكم. (كلمة)	_____	البرص العشرة	احدى القري يوم السبت	يسوع يظفي عشرة برص ١٧: ١١-١٩	٢٢

يسوع يشكره. غياب التسعة. يسوع يخرج يهوذا (هذا الغريب) ويطالب التسعة.	يسوع يشكره. غياب التسعة. يسوع يخرج يهوذا (هذا الغريب) ويطالب التسعة.	(كلمة)	الرجل الأعمى.	على جانب الطريق	يسوع يمشي أمامي أيضا ٢٢ : ١٨-٢٥ : ٤٣
يسوع وزكا يسوع يدخل أورشليم	الأعمى يتبع يسوع ويحمد الله. لما رأى الشعب ما جرى، جذوا الله كلهم: قال له: أبصر (كلمة)	وقف وأمر يهوذا بقدمته إليه، سأله: ماذا تريد أن أصنع لك، قال له: أبصر (كلمة)			

D - يسوع يدخل أورشليم ويطرد الباعة من الهيكل : ٢٨-٤٨

حنانة يهوذا، إنكار بطرس، الآلام	_____	لمس أذن الرجل وتغطاها.	يسوع	في جبل الزيتون	يسوع يطرد أذن خادم رئيس القضاة ٢٢ : ٥٠-٥١
---------------------------------	-------	------------------------	------	-------------------	--

٤ معجزة شفاء حناني، بَرَص، شلل، نزف، استسقاء، عمى، أذن خادم رئيس الكهنة.  
٤ شفاءات شاملة.

- ٥ طرد روح نجس
- ٢ عناصر طبيعية صيدا، عاصفة، خبز وسك.
- ٧ إحياء من الموت

٨ معجزة نهر الأردن يعمد يهوذا ويخطبها

## الآيات في الإنجيل الرابع

### مقدمة

المفردات التي يستعملها العهد الجديد للكلام عن المعجزة هي التالية:

عمل قوة = Dynamis (١١٩ مرة في العهد الجديد، متى ١٢ - مرقس ١٠ - لوقا وأعمال ١٥+١٠ - غير موجودة في إنجيل يوحنا)، آية، علامة = Semeion (٧٧ مرة في العهد الجديد، متى ١٣ - مرقس ٧ - لوقا وأعمال ١١+١٣ يوحنا ١٧)؛ أعجوبة = Téras (١٦ مرة في العهد الجديد - مرة واحدة عند كل من متى ومرقس ويوحنا)؛ عمل = érgon (١٦٩ في العهد الجديد، متى ٦ - مرقس ٢ - لوقا ٢ - يوحنا ٢٧)؛ عمل مدهش = Thaumasia (مرة واحدة في العهد الجديد عند متى ٢١/١٥)؛ أمور عجيبة = Paradoxa (مرة واحدة في العهد الجديد عند لوقا ٥/٢٦).

أول ما يلفت النظر في الإنجيل الرابع هو وجود عدد قليل جداً من « المعجزات » بالمقارنة مع الأناجيل الإزائية. فإن ثلث إنجيل مرقس مكرّس لروايات المعجزات، بينما يكفي يوحنا بإدراج سبع «آيات» فقط صنعها يسوع خلال حياته العلنية. من المؤكد أن اختيار هذا العدد المحدد ليس عشوائياً، بل له هدف معين، كما يقول يوحنا نفسه في نهاية إنجيله: «وأتى يسوع أمام التلاميذ بآيات أخرى كثيرة لم تكتب في هذا الكتاب، وإنما كتبت هذه لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله، ولتكون لكم إذا أمتمتم الحياة باسمه» (٢٠/٣٠-٣١؛ راجع أيضاً ٢١/٢٥).

من جهة أخرى، فإن يوحنا لم يستعمل قط كلمة dynamis (عمل قوة - معجزة).

بالنسبة إلى الإزائيين، كانت المعجزات تدل على حضور ملكوت الله بين الناس. ونحن نعلم أن يوحنا لم يتحدث أبداً عن الملكوت ولم يرو أية حادثة من حوادث طرد الشياطين المذكورة في الأناجيل الإزائية كعلامة لاقترب ملكوت الله. تجدر الإشارة هنا إلى أنه بالرغم من غياب روايات طرد الشياطين عند يوحنا، فإن هذا الانجيل يشدد على أن بواسطة حضوره في العالم، حقق المسيح انتصاراً على الشيطان (راجع ٤٤/٨؛ ٣١/١٢؛ ٣٣/١٦ « اليوم يطرد سيد هذا العالم »).

يفضّل يوحنا استعمال كلمة «آية» Semeion للإشارة إلى معجزات يسوع كما استعمل أيضاً كلمة érgon «عمل». أما كلمة téрата «أعاجيب» فتُرد مرة واحدة في ٤٨/٤ مع كلمة «آيات»: «إذا لم تروا الآيات والأعاجيب لا تؤمنون».

### جدول بالآيات السبع الواردة في الإنجيل الرابع

- ١ - تحويل الماء إلى خمر في عرس قانا الجليل (١/٢-١١)
- ٢ - شفاء ابن موظف الملك (٤/٤٦-٥٤)
- ٣ - شفاء مقعد عند بركة باب الغنم (١/٥-٩)
- ٤ - تكثير الأرغفة والسمكتين (١/٦-١٥)
- ٥ - المشي على البحر (٦/١٦-٢١)
- ٦ - شفاء الأعمى منذ ولادته (٩/١-٧)
- ٧ - إعادة لعازر إلى الحياة (١/١١-٤٤).

## الآية أو العلامة Semeion

لقد جرت العادة أن تترجم كلمة Semeion بكلمة «آية» أو بكلمة «علامة». فالمعنى الأصلي لـ Semeion هو أقرب إلى العلامة، ويمكن تحديد معناه «بشيء أو حدث ما يساعدنا على التعرف إلى شيء آخر أبعد وأعمق من المعنى الذي يحمله بحد ذاته».

والكتاب المقدس مليءٌ بالعلامات المستخدمة في علاقات الناس بعضهم مع بعض (علامات حربية، علامات رمزية، علامات طقسية... الخ). ولكن أهمها هي تلك التي يدلّ فيها الله على قدرته اللامتناهية وحبّه العظيم لشعبه، من خلال ما يفعله من أجل خلاصهم. العلامات التي تعبّر عن عمل الله الخلاصي كانت تتجلّى بالآيات والمعجزات (بالعبرية أوتوت وموفتيم، باليونانية Semeia Kai terata).

## الآيات في الأناجيل الإزائية وأعمال الرسل

لا يقتصر استعمال كلمة «آية» على الإنجيل الرابع، بل نجدها أيضاً في الأناجيل الإزائية وأعمال الرسل. ولكي نبرز ميزة الإستعمال اليوحنوي، من المفيد دراسة المعاني التي تحملها هذه الكلمة عند الإزائين.

استُعملت كلمة Semeion (آية) في ثلاثة معانٍ مختلفة:

١ - بالمعنى النهيوي أو الاسكتولوجي، للدلالة على علامات نهاية الأزمنة وتلك التي ترافق المجيء الثاني (راجع مثلاً متى ٢٤/٣، ٢٤، ٣٠).

٢ - كبرهان دفاعي (Apologétique) يطلبه أخصام يسوع لتبرير ما يعلنه عن هويته (مثلاً متى ٣٨/١٢ - ٣٩؛ ١٦/١ - ٤؛ لو ٢٣/٨). بهذا المعنى، كانت الآية تحدياً ليسوع من قبل أخصامه، ولذلك كان يرفض مجاراتهم.

٣ - وأخيراً تشكّل كلمة (Semeion) مع كلمة «أعجوبة» (Teras) تعبيراً اصطلاحياً كثيراً في أعمال الرسل للدلالة على معجزات يسوع والرسل (أعمال ٢/٢٢، ٤٣؛ ٤/٣٠؛ ٥/١٢؛ ٦/٨؛ ٧/٣٦؛ ١٤/١٣؛ ١٥/١٢). يبدو أن هذا التعبير «الأعاجيب والآيات» يجد جذوره في الترجمة السبعينية للعهد القديم (راجع خروج ٣/٧؛ تث ٤/٣٤؛ ٦/٢٢؛ ٧/١٩؛ ٢٦/٨؛ ٢٩/٣؛ إرميا ٣٢/٢١؛ أشعيا ٨/١٨).

هناك نصّان فقط في الإنجيل الرابع تحمل فيهما كلمة Semeion معنى البرهان الدفاعي الذي يطلبه أخصام يسوع (راجع ١٨/٢ و ٣٠/٦) تمامًا كما في الأناجيل الإزائية. أما بالنسبة إلى المعنى النهوي أو الاستكولوجي، فمن الصعب جداً إيجاد معنى مطابقاً عند يوحنا، نظراً للرؤية المميزة والجديدة التي ينفرد بها يوحنا للاستكولوجيا والتي تختلف بالطبع عن تلك التي نجدتها عند الإزائيين.

## مميزات الآيات اليوحنوية

العنصر الخاص بإنجيل يوحنا هو العلاقة بين الآيات والإيمان. تكفي نظرة سريعة إلى روايات الآيات لكي نلاحظ كيف أن الآيات مرتبطة جداً بالإيمان:

١١/٢ «هذه أولى آيات يسوع أتى بها في قانا الجليل، فأظهر مجده فأمن به تلاميذه».

٢٣/٢ «ولما كان في أورشليم مدة عيد الفصح، آمن باسمه كثير من الناس، لما رأوا الآيات التي أتى بها».

٢/٣ نيقوديموس يأتي لرؤية يسوع ليلاً ويعبّر عن إيمانه قائلاً: «رابي، نحن نعلم أنك جئت من لدن الله معلماً، فما من أحد يستطيع أن يأتي بتلك الآيات التي تأتي بها أنت إلا إذا كان الله معه».

٥٤/٤ - ٥٥ آمن موظف الملك وعائلته جميعاً عند رؤية آية شفاء ابنه.

٣١/٧ «فأمن به من الجمع خلق كثير وقالوا: «أيجري المسيح من الآيات حين يأتي أكثر مما أجرى هذا الرجل؟».

١٦/٩ جدال حول يسوع عندما شفى الأعمى «كيف يستطيع خاطئ أن يأتي بمثل هذه الآيات؟».

٤١/١٠ - ٤٢ «فأقبل إليه خلق كثير وقالوا: إن يوحنا لم يأت بآية، ولكن كل ما قاله في هذا الرجل كان حقاً». فأمن به هنالك خلق كثير.

٤٧/١١ - ٤٨ عبّر عظماء الكهنة والفريسيون عن قلقهم: «فإن هذا الرجل يأتي بآيات كثيرة. فإذا تركناه وشأنه آمنوا به جميعاً...».

٣٧/١٢ عمى اليهود ورفضهم بالرغم من الآيات: «أتى يسوع بجميع هذه الآيات  
بمراى منهم، ولم يؤمنوا به».

قبل أن نحدّد طبيعة العلاقة الموجودة بين الآية والإيمان، يجب التنبّه إلى الأمور  
التالية:

- يرفض يسوع الآية التي يطلبها أخصامه كبرهان تبريري لما يعمله (راجع ١٨/٢ و  
٣٠/٦).

- لا يطمئن يسوع كلياً للذين يؤمنون به عند رؤية الآيات التي كان يقوم بها (راجع  
٢٣/٢ - ٢٤؛ ٢٦/٦)، خاصة وأنه لا يريد أن تكون الآيات والعجائب الطريق الوحيد  
الذي يؤدّي إلى الإيمان: «إذا لم تروا الآيات والأعاجيب لا تؤمنون؟» (٤٨/٤). لذلك  
يعلن قائلاً: «طوبى للذين يؤمنون ولم يروا» (٩٢/٢٠).

إذاً، فالرؤية ليست شرطاً لازماً للإيمان، إنما بالعكس، فالإيمان الحقيقي يجعل  
الإنسان قادراً على رؤية أعمق: «ألم أقل لك إنك إن آمنتم ترين مجد الله؟» (٤٠/١١).

فآليات هي إظهار مجد الله لأولئك القادرين على إدراك سر يسوع. أي إنّها وسيلة  
للوصول إلى الإيمان الحق: التأمّل في مجد يسوع، مجد الابن الوحيد (١٤/١)؛  
٣٠/٢٠ - ٣١).

## معنى الآيات اليوحنوية

هذه الفكرة تجذورها في العهد القديم إذ كانت الآيات تدلّ على ناحيتين مهمتين  
من الوحي: إظهار عظمة الله بشكل مرثي من خلال أعمال قديرة من جهة، وتجلّي الله  
غير المنظور للبشر من خلال هذه الأعمال القديرة والعجيبة<sup>(١)</sup>.

وتحمل الأعمال العجيبة التي يقوم بها يسوع حسب إنجيل يوحنا معنيين:

---

(١) «هنا يكمن مجد الله: ... في المساء تعلمون أن الربّ هو الذي أخرجكم من أرض مصر، وفي  
الصباح ترون مجد الربّ لأنه سمع تدمركم عليه ... وبينما كان هارون يكلم جماعة بني إسرائيل  
كلها، التفتوا نحو البرية، فإذا مجد الربّ قد ظهر في الغمام». (خر ١٦/٦-١٠). «وكان منظر  
مجد الربّ كنار أكلة في رأس الجبل أمام عيون بني إسرائيل» (خر ١٧/٢٤).

- هذه الأعمال الخارقة تشكّل دعوة لقبول السرّ العظيم الذي حلّ بين البشر من خلال يسوع. بهذا المعنى يقترب يوحنا من فكر الإزائين كما يتطابق أيضاً مع المعنى السائد في العهد القديم: تُظهر الأعمال الخارقة يد الله القديرة الحاضرة والعاملة بين الناس.

- أما المعنى الثاني، والذي يميّز به إنجيل يوحنا، فهو يدلّ على أنّ الخلاص وصل إلى ملئه مع يسوع. أي إن يسوع هو ملء وحي الله الخلاصي. والتأمّل بما يقوم به يسوع يحمل الإنسان على إدراك يُعلن أن الله القدير والبعيد وغير المنظور، حاضر فعلياً من خلاله. هكذا يصبح يسوع بين الناس حضور مجد الله بين الناس بشكل منظور.

وحدها قدرة الله يمكنها أن تشرح وتبرر عظمة الأعمال التي يقوم بها يسوع. فالآيات هي إشعاع المجد المنظور في الابن المتجسد (sarx). الإنجيل الرابع مقتنع أنّ الخلاص الموعود والحقيقي قد تحقّق في شخص يسوع، ولذلك يرى في أعماله وفي تصرفاته حلول الله الفعلي بشكل كامل ونهائي. لا يمكن للخلاص أن يأتي بأي شكل آخر. أصبح من الممكن ملاقاته والتأمّل في مجده من خلال يسوع.

نفهم هكذا لماذا فضّل يوحنا كلمة آية أو علامة للدلالة على الأعمال الخارقة التي كان يقوم بها يسوع. هذه الآيات تقود القارئ (أو المستمع) إلى أبعد بكثير من الحدث بحد ذاته، لتحمله على إدراك مصدر الأعمال التي يقوم بها يسوع، والتأمّل بمجد المتجلي فيه.

بهذا المعنى، تكون الآية شهادة حيّة تخبر عن يسوع، عن هويته، عن مصدر رسالته: من هو ومن أين أتى.

يمكننا القول أيضاً إنّ العنصر الذي يميّز الآيات اليوحنوية هو أن يسوع هو الذي يأتي بها! لذلك يؤكّد الانجيلي أن يوحنا المعمدان لم يأت بأية آية (١٠/٤١)، خاصة أنه لا يمكنه القيام بهكذا أعمال. لأن في لاهوت الإنجيل الرابع آيات تخصّ الابن وحده، الذي يقول إنه يفعل بحسب ما رأى وسمع من الأب (راجع ١٩/٥ و ٣٠).

يركّز يوحنا إنتباهه إذأ على أساس الآيات ومصدرها وليس على نتائجها وحسب. أهميّة الآيات تكمن في الوحي الذي تحمله عن يسوع، إذ تظهر للناس مصدر أعمال يسوع ومعنى رسالته، والسبب الأساسي والعميق لحضوره في العالم.

وهنا أيضاً يكمن الفرق الأهم بين الآيات اليوحنوية والمعجزات التي نجدها في الأناجيل الإزائية وأعمال الرسل: كان التركيز في هذه الكتب على أهمية المعجزات في مسيرة إنشاء الملكوت وترسيخه من خلال الصراع ضد الشر والشرير (متى ٢٨/١٢) «أما إذا كنت أنا بروح الله أطرده الشياطين، فقد وافاكم ملكوت الله»؛ راجع أيضاً أعمال ١٠/٣٨). لذلك نجد علاقة قوية بين المعجزة وطرده الشياطين. أما يوحنا فقد سلك طريقاً مختلفاً وشدّد على هوية يسوع (على كونه الابن والمسيح) وعلى كونه مرسلًا من الآب ليخلص العالم.

هنا نجد الإشارة إلى أن الحوار أو الجدل والخطب التي غالباً ما تتبع الآيات التي نجدها في إنجيل يوحنا تتعمق في المعنى الذي تشير إليه تلك الآيات وتكمل معناه.

## شهادة الآيات

تساهم الآيات بإظهار هوية يسوع وبتريسيخ إيمان التلاميذ وكل الذين تبعوه وآمنوا به مسيحاً وابن الله. ومع ذلك يعي الإنجيلي أن الآيات تبقى شهادتها أحياناً صامتة للذين يرفضون الانفتاح على الوحي. أما للمؤمنين، فإنها تتخطى الحدث الخارق أو العجيب بحد ذاته لتشير إلى هوية يسوع الحقيقية.

ما هي الشهادة التي تحملها الآيات اليوحنوية السبع عن يسوع؟

- في حادثة تحويل الماء إلى خمر (١/٢-١١)، وهي الآية الأولى التي يدرجها يوحنا في إنجيله، يتضح لنا أنها تظهر مجد يسوع (١/٢): فأظهر مجده وآمن به التلاميذ). وهذا المجد مرتبط بكونه الابن الوحيد المتجسد: « والكلمة صار بشراً فسكن بيننا فرأينا مجده، مجداً من لدن الآب لابن وحيد ملؤه النعمة والحق » (١/١٤). تفتح هذه الآية عيون التلاميذ على أن الله حاضر في يسوع وعلى أن هذا الحضور القائم على المحبة محل العهد القديم القائم على الشريعة. آية تحويل الماء إلى خمر ترمز إذًا إلى أن عهد الله الحقيقي والدائم مع شعبه يتحقق الآن في يسوع.

- آية شفاء ابن موظف الملك (٤/٤٦-٥٤) وآية شفاء المقعد عند بركة باب الغنم (١/٥-٩) تحملاننا على التأمل في كلمة يسوع القادرة على إعطاء الحياة الجديدة. فالولد

كان قد أشرف على الموت (٤٧/٤). وبعد أن استمع يسوع لموظف الملك أعلن وقال: «اذهب، إن ابنك حي» (٥٠/٤). بالنسبة للإنجيلي، حققت كلمة يسوع انتصاراً على الموت. وهذه الآية ترمز إلى أن يسوع جاء يعطي الحياة الجديدة للإنسان. ولا ننسى أن موظف الملك آمن هو وأهل بيته (٥٣/٤). والقارئ المنتبه يتذكر ما قاله يسوع: «من آمن بالابن فله الحياة الأبدية» (٣٦/٣). وكذلك فالمقعد الذي شفاه يسوع قد استعاد حياته بعد ثمان وثلاثين سنة قضاها في المرض. والجدال الذي يلي هذه الآية يؤكد هذه الفكرة، لكي يبرر يسوع عمله يوم السبت، شبه عمله بعمل الله المتواصل الذي يرافق الخليقة بعنايته ويبقيها في الحياة (راجع ١٧/٥) والتفسير الذي يعطيه العلماء لعمل الله المتواصل، وهذا يضع يسوع على مستوى الله ذاته، الأمر الذي أغضب اليهود وجعلهم يتآمرون لقتله (١٨/٥).

- آية تكثير الأرزفة والسمكتين (١٥-١/٦) أشعلت حماس الجموع الحاضرة وجعلتهم يفكرون أن يسوع هو النبي الآتي إلى العالم (راجع ١٤/٦)، ولكنهم لم يفهموا المعنى الحقيقي للآية التي تدل إلى أن يسوع هو الخبز الآتي من السماء ليعطي العالم الحياة (راجع ٣٣/٦، ٣٥/٥١) كما يشرح يسوع نفسه في الخطبة التي تتبع الآية (٢٢/٦-٦٥). وبما أن الخبز الآتي من السماء هو بعلاقة مع المن (راجع خروج ١٦/١-٣٦)، فهذا يعني أن يسوع هو المسيح المنتظر، علماً بأن المن كان معتبراً طعام الشعب المسيحاني (راجع مز ٧٨/٢٣-٢٤؛ ١٠٥/٤٠؛ الحكمة ١٦/٢٠-٢٣). وتأتي آية المشي على البحر (١٦/٢١) لتوضح معنى آية تكثير الخبز. فإننا نجد في وسط النص عبارة: «أنا هو» (٢٠/٦) التي تشكل محور الآية وتحملنا على الإدراك أن الله نفسه حاضر في يسوع وبالتالي تشهد للمصدر الإلهي ليسوع «الخبز من السماء». كما أن المشي على الماء هو إظهار لألوهية يسوع لأن العلماء اليهود كانوا يؤمنون ويعلمون أن الله وحده قادر على السيطرة على عناصر الطبيعة والمشي على البحر.

- آية شفاء الأعمى منذ ولادته (٧-١/٩) والحوار-الجدال الذي يتبعها، تشير إلى يسوع نور العالم. كما نرى من خلال هذا النص أن الآية بحد ذاتها لا تقود الإنسان إلى الإيمان إلا إذا كان منفتحاً على البشرية التي يحملها المسيح: فمن جهة نجد الأعمى الذي شُفي وأصبح شاهداً ليسوع الذي شفاه، ومجاهراً بإيمانه بالرغم من التهديدات، ومن

جهة أخرى نجد أن اليهود (أو الفريسيين) الذين انطوا وانكمشوا في معرفتهم وكبرياتهم ورفضوا فتح عيونهم لرؤية النور، بقوا هكذا في ظلام الخطيئة خارجاً عن الحياة الجديدة التي يحملها يسوع المسيح (علماً بأن إنجيل يوحنا يربط بين النور والحياة).

- الآية الأخيرة التي يرويها يوحنا في إنجيله هي إعادة لعازر إلى الحياة (١١/١) - (٤٤). هذه الآية تحمل شهادة للتلاميذ من جهة، وتشكل إخراجاً كبيراً لأخصام يسوع من جهة أخرى. إنها الآية الأخيرة قبل حلول «ساعة يسوع» التي ينتصر فيها على الموت بموته على الصليب. وإذا كانت الآيات تشير إلى صفة معينة من صفات يسوع وتساهم بإظهار هويته ورسالته بين الناس من ناحية أو من أخرى، فإن آية إحياء لعازر تحتوي على مجمل هذه النواحي وتطال عمق الإيمان، لأنها تدلّ على يسوع الذي هو «القيامة والحياة» (١١/٢٥). تشهد هذه الآية على مسيحانية يسوع وعلى سلطته على الموت والحياة مثله مثل الله. وهذه الآية تساهم بتبيان مجد الله ومجد الابن أمام الناس (راجع ١١/٤ و ٤٠) كمدخل للمجد الكامل الذي سيتمجده الابن على الصليب وفي القيامة. أمام هذه الآية العظيمة، آمن الكثير من اليهود (١١/٤٥) ولكن المسؤولين رفضوا الانفتاح على المعنى الذي تحمله الآية بالرغم من معابنتهم لها ولغيرها من الآيات (١١/٤٧). وهكذا قرّر عظماء الكهنة والفريسيون قتل يسوع. والملفت أن الإنجيلي، وبطريقته التهكمية المعتادة، يضع على لسان قيافا عظيم الكهنة، ومن خلال حكم الموت الذي يصدره، السبب الذي يموت لأجله يسوع، فيكون أخصام يسوع ذاتهم قد ساهموا بالشهادة للخلاص الذي يحققه يسوع: «... فتنبأ أن يسوع سيموت عن الأمة، وليس عن الأمة فحسب، بل ليجمع أيضاً شمل أبناء الله» (١١/٥١-٥٢).

## خاتمة

جاءت الآيات في إنجيل يوحنا كاملة حاملة المعاني العميقة وشهادات ساهمت بالكشف عن هوية يسوع الحقيقية ومصدره الإلهي وطبيعة رسالته بين الناس. ولكنها كما قلنا كانت ترمز لهذه الحقائق وتشير إليها انطلاقاً من أحداث معينة. وكانت تمهيداً لإدراك السرّ الرهيب، سر الصليب الخلاصي حيث تندفق الحياة الجديدة، ويتمجد الابن. لذلك فإن الآيات جميعها تقود المؤمن نحو ساعة المجد هذه. هناك من يتساءل إذا كان الصليب

آية أو حتى القيامة، ولكن تسميتها هكذا يقلل مما تحمله من معنى بحد ذاتها، دون حاجة رموز أو إشارات تعززها. لا عجب إذا بأن تنتهي الآيات بانتهاء القسم الأول من الإنجيل الرابع والذي يسميه معظم العلماء «كتاب الآيات». أما القسم الثاني الذي يبدأ مع نهاية الفصل ١١ فيعرض للمؤمن ما رمزت إليه الآيات وذلك بإظهار حب الابن غير المتناهي للإنسان الذي يتجلى ببذل ذاته على الصليب والحياة الجديدة التي تتدفق من هذا الموت الفدائي ومن القيامة التي يظهر فيها بوضوح المجد الكامل ليسوع المسيح.

الأب وليد الخوري الأنطوني

## المعجزات في كتاب أعمال الرسل

كتاب أعمال الرسل يخصص بالمعجزات. فهي كثيرة ومتنوعة، تبدأ مع حلول الروح القدس يوم العنصرة وترافق الرسل طوال مسيرتهم. فالكراسة والتعليم لا يمكنهما أن يسرعاً حركة الإيمان والتوبة والاعتماد باسم يسوع لترسيخ الجماعات المسيحية الأولى وغوها. لذلك كانت المعجزات، وبكثرة، في عهد الكنيسة الأولى لكيما تعم البشرية المسيحية أكثر أنحاء الأرض وتكون مدعومة بالقوى والعجائب لاطهار فعالية كلمة الله التي يذيعها الرسل والتلاميذ الأوّلون.

فالمعجزات في تبشير الكنيسة دلالة على فيض الروح عليها كما فاض على يسوع في المعمودية وبرهان على أن التعليم المعطى، مثله مثل تعليم يسوع، يختلف عن تعليم الفريسيين والكتبة وحكماء اليونان لأنه يعطى بسلطان (راجع مرقس ١/٢٧).

ومع كون كتاب أعمال الرسل مرجعاً هاماً بالنسبة للكنيسة، فهو مع ذلك لم يحظ باهتمام كبير لدى الشراح والمفسرين. فهو من ناحية يستعرض قسمًا مهمًا من ذاكرة الكنيسة الأولى، ومن ناحية ثانية، يكمل عمل الانجيلي لوقا ويشكل القسم الثاني من كتابه المقدم إلى تيوفيلس، ليطلعه على وقائع الامور المتعلقة بالشهادة للكلمة. ويتميز عمل لوقا، كما يشير إلى ذلك في مقدمة الانجيل، بالاطلاع الدقيق على الامور وكتابة الاحداث بطريقة مرتبة نقلًا عن شهود عيان (راجع لو ١/١-٤). وما يصح في الانجيل يصح أيضًا في كتاب أعمال الرسل. مع الاشارة إلى أن لوقا، الذي نقل أخبار الانجيل عن شهود عيان، كان هو أيضًا شاهدًا، على الأقل، بالنسبة لقسم من الأخبار والاحداث

التي يرويها في كتاب الاعمال . من هنا يتوجب علينا أن نقدم عمل قراءة كتاب الاعمال ونحن متنبهون إلى هذه الميزات الخاصة في عمل لوقا، وأعني بها الدقة والترتيب وشهادة الرسل والكنيسة الاولى . وهذه الملاحظة تنطبق أيضاً، وربما بنوع خاص، على دراسة المعجزات . في دراستنا هذه سنحاول أولاً أن نضع فهرساً كاملاً بالمعجزات على حسب أنواعها، وننظر بعد ذلك في الترتيب الوارد فيها، وننتهي بتفسير البعض منها، مركزين على النظرة اللاهوتية الخاصة عند القديس لوقا، كما تظهر من خلال أعمال الرسل .

## ١ - فهرس بالمعجزات

نلفت النظر أولاً إلى أننا تحت اسم معجزة، ندرج ومن دون تمييز، كل الظواهر الخارقة العادة، من أشفية وظهورات وحلول الروح وعقابات . . . أي كل ما يظهر قوة الكلمة الفاعلة وفعالية الروح القدس في الكنيسة الناشئة . ونحن ندرك تمام الادراك أنه ليس من السهل أن نحصر أخبار المعجزات الاحدى والخمسين الواردة في كتاب أعمال الرسل وتصنيفها تحت عدة أنواع: فكل أعجوبة أو معجزة هي عملٌ فردٌ مميّز . وهناك فروقات واضحة ضمن النوع الواحد كالأشفية مثلاً أو الظهورات . ولكن، ومع أخذ هذه الفروقات والعقوبات بعين الاعتبار، سنحاول حصر هذه المعجزات في الانواع التالية:

### أ - الظهور أو الرؤيا

تحت هذا العنوان نورد جميع الظهورات والرؤى المختلفة، حتى الليلية منها . لأنها هي أيضاً تشير إلى تدخل خارق العادة من قبل الرب يسوع أو الروح القدس أو ملاك الرب . هناك ١٤ نصاً تحدثنا عن ظهورات أو رؤى مماثلة، هي:

١ (" ١/٦-١١ صعود الرب إلى السماء وظهور ملاكين للرسول .

٢ (" ٧/٥٤-٥٦ اسطفانوس يرى مجد الله ويسوع قائماً عن يمينه .

٣ (" ٨/٢٦ ملاك الرب يكلم فيلبس ويأمره بأن يذهب نحو الجنوب باتجاه غزة .

٤ (" ٨/٣٩ روح الرب يخطف فيلبس فغاب عن نظر الخصي ووجد في أزوت .

٥ (" ٩/١-٩ ظهور الرب لشاول على طريق الشام .

- ٦٠٩/١٠-١٦ رؤيا حنانيا ليذهب ويضع يديه على شاول .
- ٧٠١/١٠ رؤيا قرنيليوس وطلب الملاك منه بأن يستدعي سمعان بطرس .
- ٨٠١/١٠-١٦ رؤيا بطرس مع سماع الصوت الذي يدعوه ليذبح ويأكل من الحيوانات المعتبرة نجسة .
- ٩٠١/١٩-٢٠ الروح يعلم بطرس بقدوم الموفدين من لدن قرنيليوس .
- ١٠٠٧/١٥-٧ الروح القدس وروح يسوع يمنعان بولس وسيلا من التبشير في آسيا وميسية .
- ١١٠٩/١٦-٩ رؤيا في الليل لبولس يستدعيه فيها رجل مقدوني ليعبر الى مقدونية .
- ١٢٠٩/١٨-٩ رؤيا لبولس في الليل يشجعه فيها الله لكي يتكلم ولا يسكت . فلن يصيبه سوء في قورنتس .
- ١٣٠٢٣/١١ الرب يشدد بولس في رؤيا ليلية ويخبره أنه سيشهد لله أيضاً في روما .
- ١٤٠٢٧/٢٢-٢٥ بولس يشجع رفاقه في السفينة ويطمئنهم بأن ملاك الرب ظهر له في الليل وأعلمه بأن جميع من في السفينة سيسلمون .

## ب - حلول الروح القدس

الروح القدس حاضر بقوة في جميع صفحات الكتاب . إنه روح الرب أو روح يسوع وهو البطل الأول في الرواية . ظهوره الأول يوم العنصرة حرك الرسل والتلاميذ الاول ودفعهم إلى الشوارع ليشهدوا للرب يسوع . ولكن ، ومع كون هذا الحلول الأول هو الأهم ، كَلَمْنَا أيضاً الكتاب عن حلوله مرات أخرى على أشخاص أو كنائس محلية نذكر أهمها :

- ١٠٤/٣١ بعد ابتهاج الجماعة وصلاتها شاكرة الله على إطلاق سراح بطرس ويوحنا ، تنزل المكان وامتلاوا جميعاً من الروح القدس فأخذوا يعلنون كلام الله بجرأة .

٢ ("١٠ / ٤٤-٤٧ ، حول الروح القدس على قرنيلىوس وأهل بيته قبل أن يتقبّل  
العماد من بطرس .

٣ ("١٩ / ١-٧ حلول الروح القدس بوضع يدي بولس على مؤمني أفسس الذين  
كانوا اعتمدوا بعمودية يوحنا فراحوا يتكلمون بلغات غير لغتهم ويتنبأون .

### ج - تحرير من السجن

إن تقييد الرسل والتلاميذ الاولين وزجّهم في السجن يعتبران انتصاراً على الكلمة  
وقمعاً للبشرى الجديدة ووقف انتشارها بين الناس ، لذلك يتدخل الله ليحرّرهم ويسجل  
بالتالي انتصاراً للكلمة والبشرى على جميع الاعداء . هناك ثلاثة نصوص تتكلم عن  
التحرير من السجن والقيود :

١ ("٥ / ١٧-٢١ ملاك الرب يحرر الرسل من السجن الذي زجهم فيه عظيم  
الكهنة .

٢ ("١٢ / ٦-١١ ملاك الرب يحرر بطرس من السجن بعد أن زجه فيه هيروودس  
إرضاء لليهود .

٣ ("١٦ / ٢٥-٣٠ تحرّر بولس وسيلا من السجن في فيلبي على أثر زلزلة شديدة  
متتصف الليل ، وارتداد السجان .

### د - النبوءة

المقصود بالنبوءة هنا العلم بما سيحدث في المستقبل بالنسبة للكنيسة أو للعالم أو  
لبعض الافراد . وهذا العلم ، الذي يدركه من نال الموهبة من الروح القدس . موجه  
لتدارك ما سيحدث والاستعداد له كما ينبغي . هكذا لا تفاجأ الجماعة أو الاشخاص  
بأحداث تعرضهم إلى الضياع بل يستعدون كما ينبغي لمواجهةها . هناك نصان نبويان  
واضحان :

١ ("١١ / ٢٧-٢٨ : أغابس ينبئ في أنطاكيا عن المجاعة الكبرى التي ستحدث .

٢ ("٢١ / ١٠-١١ : أغابس ينبئ في قيصرية عن سجن بولس من قبل اليهود  
وتسليمه للرومان في أورشليم .

## هـ - عقابات ومحاربة السحر

السحرة والعرافون كانوا منتشرين بكثافة في العالم القديم . وكان لهم مراكز مرموقة لدى الحكام والناظرين . اصطدم بهم الرسل والتلاميذ الاولون لانهم بشعوذاتهم كانوا يعيقون البشارة ويحاولون أن يبتزوا الناس أو يخلطوا ما بين أعمالهم وما يقوم به الرسل من معجزات . لذلك استنزل الرسل عليهم العقابات القاسية وكذلك على غيرهم الذين استهانوا بالبشارة . لدينا عدة نصوص مختلفة تشير إلى هذه العقابات وهي :

١ (" ١-١١ بطرس يحكم بالموت على حنانيا وسفيرة لانهما كذبا على الروح القدس .

٢ (" ٨/١٨-٢٤ بطرس يعاقب سمعان الساحر في السامرة .

٣ (" ١٢/٢١-٢٣ ملاك الرب يضرب هيرودس فيموت لأنه تمادى في كبريائه واعتبره الشعب إلهاً .

٤ (" ١٣/٦-١٢ بولس يعاقب الساحر بريشوع بالعمى في قبرص .

٥ (" ١٦/١٦-١٨ بولس يخرج روح عرافة من جارية في فيليبي .

٦ (" ١٩/١٣-١٧ الروح النجس يهزم أبناء ليسقواس السبعة لأنهم استعملوا اسم يسوع لاجراجه من دون الإيمان .

## و - أشفوية جماعية وطرد الارواح النجسة

شفاء المرضى وطرد الشياطين أو الارواح النجسة يشكلان الناحية المهمة من السلطان الذي أعطاه الرب لرسله ووعدهم بأن يرافق هذا السلطان المؤمنين باسمه لكيما يكملوا عمل الله في العالم . عدا الأشفوية الفردية يحدثنا أعمال الرسل خمس مرات عن أشفوية جماعية وطرد أرواح نجسة أو أعاجيب كثيرة وآيات . وهي تباعاً :

١ (" ١٢/٥-١٦ أعاجيب وآيات كثيرة تجري على أيدي الرسل في جماعة أورشليم حتى إن ظلَّ بطرس كان يشفي المرضى عند مروره على أحد منهم .

٢ (" ٨/٦-٨ على أيدي فيلبس في السامرة تم طرد أرواح نجسة وحصلت أشفوية كثيرة .

"٣" ٣/١٤ بولس وبرنابا يجربان آيات وأعاجيب في أيقونية .

"٤" ١٢-١١/١٩ الله يجري عجائب غير مألوفة عن يدي بولس (المناديل التي مست جسد بولس كانت كافية لتشفي المرضى وتطرد الارواح) .

"٥" ٩/٢٨ بولس يشفي سائر مرضى جزيرة مالطة .

### ز - أشفية فردية

لهذه الأشفية الفردية أهمية بالغة . فعلى أثرها عادة تتم أشفية وعجائب أخرى كثيرة . كما يستغلها الرسل ليعلموا البشارة وليكلموا الناس عن يسوع الذي باسمه تمت الأعجوبة . وهذه الأشفية تخفي أيضاً رمزية إيمانية أو تعبدية ذات مدلول غني مثلها مثل أحياء الموتى . يذكر كتاب الأعمال خمسة أشفية فردية فقط ، من ضمنها شفاء شاوول - بولس بوضع يدي حنانيا :

"١" ١٠-١/٣ شفاء مقعد الباب الحسن في هيكول أورشليم على يد بطرس .

"٢" ١٨-١٧/٩ شفاء شاوول وعودة النظر إليه بوضع يد حنانيا .

"٣" ٣٥-٣٢/٩ شفاء انياس المقعد في اللد على يد بطرس .

"٤" ١٨-٨/١٤ بولس يشفي كسيحا في لسترة .

"٥" ٨/٢٨ بولس يشفي والد بيليوس من الحمى والزحار .

### ح - إحياء الموتى

بين المعجزات تتخذ أعجوبة إحياء الموتى الأهمية الاولى فهي شهادة واضحة على قدرة الرب الذي تتم باسمه واعتراف علني بأنه سيّد الحياة ومعطيها . يذكر لنا كتاب الأعمال أعجوبتين فقط من هذا النوع :

"١" ٤٢-٣٦/٩ بطرس يحيي طابيثا في يافا .

"٢" ١٢-٧/٢٠ بولس يحيي افطيخس في طراوس .

## ط - السلطان على الحيات

من مواعيد الرب لرسله والمؤمنين به من بعدهم أنهم سيكون لهم السلطان على الحيات فيمسكونها بأيديهم ولا يحصل لهم أي أذية (مر ١٨/١٦ ولو ١٩/١٠). لم يعمد كتاب الأعمال إلى اظهار هذه القدرة إلا مرة واحدة مع القديس بولس في جزيرة مالطة وهو مبحر إلى روما.

وهذه المعجزة تظهر ببساطة أكثر من غيرها ردة فعل الناس. فمن موقف يحكم على بولس بأنه قاتل، لأنه بعد نجاته من البحر يقتص منه العدل الالهي بواسطة الأفعى، إلى موقف نقيض يعتبره إلهاً لأنَّ سم الأفعى لم يؤثر به: ٦-١/٢٨.

## ٢ - ترتيب المعجزات

لقد تعمّدنا في وضع الفهرس، أن لا نتمييز بين معجزة وأخرى، بل أوردنا تقريباً كل الظواهر الخارقة العادة من دون أن نعرضها لحكم العقل الناقد أو نقيسها بمقاييس علم شرح الكتاب المقدس الحديث الذي يركز على تحديد الأنواع الأدبية وتقييم النص على ضوء التحليل الأدبي والتاريخي الدقيق. وذلك احتراماً منا لقدسيّة النص بحد ذاته ومواجهة هذا النص ببساطة القارئ، الذي يحاول أن يرى، مثله مثل القديس لوقا، تدخل الله وحضوره، في الاحداث المألوفة ليضفي عليها جواً إلهياً يواكب عمل الإنسان ويكمّله ويقدهسه. على هذا الصعيد يمكننا أن نعتبر أن المعجزة الكبرى وربما الوحيدة التي تدور في فلكها كل المعجزات الأخرى، هي معجزة تأسيس الكنيسة ونموها وثباتها ووحدتها وسط اضطهادات كثيرة من اليهود ومن الشعوب معاً، ووسط تجاذبات فكرية واجتماعية عديدة من الداخل والخارج. فانتقال البشرى من العالم اليهودي إلى العالم الوثني مثلاً كان بإمكانها وحدها أن تززع وحدة الكنيسة وتقسّمها منذ البداية. ولكن وعي الرسل وانصياعهم لعمل الروح القدس وشركة الصلاة وإفخارستيا الرب يسوع، كل ذلك دفعهم للانطلاق موحدين، مع تمايز العقلليات والمفاهيم، إلى خدمة الكلمة ونشر البشارة بين الشعوب.

أما ما يعرضه علينا كتاب الأعمال من معجزات فلا يمكن القول بأنها كل ما قام به الرسل، خاصة وأنه يتوقف فقط على أعمال قطبين، هما بطرس وبولس، مع إشارة إلى

اسطفانوس وفيلبس . ولا يمكن القول أيضاً إنها كل ما قام به بطرس وبولس . فهو يطلعنا أولاً على بعض ما قام به بطرس . ثم ينطلق مع بولس ليطلعنا على أهم ما قام به هذا الأخير . يمكن القول باختصار إن أعمال الرسل ، مثلها مثل الإنجيل الذي لم يطلعنا على كل ما قام به يسوع بل على نماذج معينة من أعماله وتعاليمه ، تطلعنا فقط على نماذج من أعمالهم . فالأعمال إذاً هي نماذج مختارة من حياة الكنيسة الأولى قد وضعها لوقا في ترتيب معين . هذا الترتيب يتبع ما يأتي في مقدمة الكتاب :

«ولكن الروح القدس ينزل عليكم فتتألون قوة وتكونون لي شهوداً في أورشليم وكل اليهودية والسامرة حتى أقاصي الأرض» (أع ١/٨).

لذلك لا نعجب إذا رأينا لوقا ، مع انتقاله من كنيسة أورشليم واليهودية إلى السامرة والجليل مع فيلبس وبطرس ومن ثم إلى أنطاكية ومنها إلى العالم اليوناني والروماني ، يحافظ على موازنة واضحة في المهمة والعمل بين بولس وبطرس وبالتالي بين كنيسة الأمم وكنيسة أورشليم . هنا يظهر عامل الترتيب في أخبار لوقا . فكما أنقذ ملاك الرب بطرس من السجن كذلك أنقذ أيضاً بولس . وكما شفى بطرس مقعد الباب الحسن وإنياس في اللد كذلك شفى بولس أيضاً كسيحاً في لسترة ووالد ببليوس من الحمى والزحار في مالطا . وكما جرت على يد الرسل وخاصة بواسطة ظل بطرس معجزات كثيرة كذلك أيضاً أجرى الله عجائب غير مألوفة على يدي بولس بواسطة المناديل التي كانت تلامس بدنه . وكما أحى بطرس طابيثا في يافا كذلك أحى بولس أفطيخس في طراوس . وكما عاقب بطرس سمعان الساحر في السامرة كذلك عمل بولس أيضاً بيريثوس في قبرص . وكما حلّ الروح القدس على الرسل الاثني عشر واخذوا يتكلمون بلغات كذلك حلّ أيضاً على مؤمني أفسس فأخذوا يتكلمون بلغات غير لغتهم ويتنبأون . ويضيف لوقا ، وكأنه يريد أن يفهمنا بطريقة غير مباشرة وجه الشبه مع ما حدث للرسل : «وكان عدد الرجال كلهم نحو اثني عشر رجلاً» (٧/١٩) .

إن ترتيباً كهذا في سرد المعجزات وتوزيعها بين كنيسة أورشليم وكنيسة الشعوب مروراً بكنيسة السامرة التي كان لها أيضاً نصيب منها ، ليس من قبيل الصدفة بل هو اختيار مقصود وذو مدلول لاهوتي كنسي سنتكلم عنه في حديثنا بعد دراسة بعض المعجزات . نود فقط أن نلفت النظر هنا إلى أن لوقا في روايته للمعجزات ، يعكس عليها اللون المحلي سابقاً عصرنا بمفهوم الانتشاف الذي تنبّهت له الكنيسة بعد المجمع الفاتيكاني الثاني .

### ٣ - تفسير بعض المعجزات

لن ندخل هنا في غمار التفسير التحليلي المفصل، حيث كل معجزة تتطلّب وحدها محاضرة خاصة، بل سنركز على بعض الشروحات الأساسية التي تتناول تفسير المعجزة انطلاقاً من عناصر في النص أو من الخلفية الثقافية التي تساعدنا على استشفاف الرسالة والمعنى المقصودين منها.

#### أولاً : شفاء مقعد الباب الحسن

لا يمكن التغاضي عن الرمزية التي تخفيها هذه الاعجوبة، رمزية نابغة من البعد الاجتماعي-الديني. فالمقعد رهن لمن ينقله ولمن يعطيه الصدقة ليعيش. وهو موضوع على الباب الجميل الذي يفصل ما بين رواق الوثنيين وحوش النساء ولا يمكنه بالتالي الوصول إلى المكان المخصّص لليهود في الهيكل ليؤدي العبادة. بشفائه، أصبح إنساناً حراً قادراً على عبادة الله وتسيّحه، فدخل مع بطرس ويوحنا إلى الهيكل ولازمهما وهو يسبح الله. هكذا الإيمان يقود صاحبه وينقله من مكان إلى آخر، من رصيف التهميش الاجتماعي والديني إلى الكنيسة المفتوحة على الشعوب (رواق سليمان: حيث بدأ بطرس يفسّر ما حصل).

أما الأهم في تفسير هذه الاعجوبة فهو ما يرد على لسان بطرس، تجاه تعجب الناس وتساؤلهم. فهو يربط الاعجوبة بقيامة يسوع من الموت. فبفضل الإيمان باسم يسوع تمت الأعجوبة (أع ١١/٣-١٦). إن بطرس، بكلمته هذه، ينقذ الاعجوبة من سوء فهم الناس لهم. «لماذا تحدّثون إلينا، كأننا بذات قوتنا أو تقوانا جعلناه يمشي» (أع ١٢/٣). فالأعجوبة من دون الكلمة هي كسيف ذي حدّين. لذلك كانت الكلمة لتشرح معنى الأعجوبة مركزة على البعد اللاهوتي المسيحاني الكرستولوجي. بواسطة الإيمان باسم يسوع الذي مات وقام من الموت تحصل الاعجوبة. إنّها إذًا تعبير عن إيمان الكنيسة التي تستدعي اسم يسوع، لا كأن لها سلطان عليه، مثلما يفعل الساحر، بل انطلاقاً من الإيمان بحضوره فيها ومعها بعد قيامته<sup>(١)</sup>.

(١) راجع Daniel Marguerat في مجلة ETR عدد ١٩٩٧/٢، تحت عنوان: Magie, guérison et parole dans les Actes du Apôtres : ١٩٨-٢٠٠.

هذه المعجزة توازي في ترتيب لوقا معجزة مقعد الباب الجميل . ولكن المعطيات الوثنية تختلف عن اليهودية وكذلك ردة الفعل . فاليهود اكتفوا بالتعجب والتساؤل . أما الوثنيون فرأوا في بولس وبرنابا ظهوراً للآلهة فيما بينهم فدعوا برنابا زوشاً وبولس هرمس ، وتجمّعوا وراحوا ينادون بلغتهم ، التي لم يفهمها الرسولان ، «تمثل الآلهة بشراً ونزلوا إلينا» . وكانت المفاجأة الكبرى بالنسبة للرسولين عندما تقدّم منهما كاهن معبد زوش ليقدّم لهما الاكاليل والذبائح .

ردة فعل بولس وبرنابا أتت بسرعة وعفوية فمزقاً ثيابهما استنكاراً لكفر كهذا ، ودخلا بين الجمع ليُعلنّا أنّهما ليسا بالهة بل بشر ضعفاء ، وراحا يعظان الناس عن الله الحي خالق السماء والأرض ، إذ لم يكن ممكناً أن يحدثّاهم عن يسوع وهم ما زالوا عبدة أصنام . وبالرغم من تفسير الرسولين ، يختتم لوقا ، لم يتوصل بولس وبرنابا إلى أن يتخلّصا من الناس ويصرفاهم عن تقديم الذبائح لهما إلا بمشقة كبيرة<sup>(٢)</sup> .

إن الميتولوجيا اليونانية تنقل أخباراً عديدة عن الآلهة الذين يتمثلون بشراً ويسيرون بين الناس . أحد هذه الاخبار يرويها أوفيدوس اللاتيني في كتابه «الاستحالات» فيقول بأن زوشاً وهرمس تنكّرا بزى البشر وزارا منطقة فريجيا القريبة من لسترة فلم يستقبلهما أحدٌ سوى زوجين<sup>(٣)</sup> طاعنين بالسن وفقيرين فتقاسما معهما القليل الذي لديهما .

في هذا الوسط الثقافي لم تساعد المعجزة على بدء التبشير باسم يسوع ، بل لفتت النظر إلى الرسولين بولس وبرنابا كحضور لآلهة غريبة وليس كشاهدين ليسوع القائم من الموت . كما أن خطاب الرسولين لم ينفذ في شرح ما حدث للجموع وما يكمن وراء المعجزة . وأعتقد أن الرسل تعلموا منها كيف يمكنهم التعاطي مع المجتمع الهليني فتوقفوا عن عمل المعجزات . لأن المعجزة تتطلب استعداداً معيناً لتُفهم فهماً صحيحاً وإلا فالنتيجة تأتي عكس ما يُقصد بها . ويمكن الاستنتاج أنه حيث لا يمكن أن تتكامل الاعجوبة بالبشرى المسيحية أي باللاهوت المسيحاوي والكنسي فهي غير مبرّرة .

(٢) نفس المرجع ص ، ٢٠٠-٢٠١

(٣) Philémon et Baucis

## ثالثاً : طرد روح عراف من جارية في فيليبى (١٦/٦-١٠٨)

هنا أيضاً لم يُفهم عمل بولس، وقد تعرّض هو وسيلا إلى السجن بسبب المعجزة التي أجزاها. والسؤال الذي يراودنا يدور حول سبب اغتياظ بولس وردة فعله بإخراج روح العراف منها. فما تقوله الجارية يلفت انتباه الناس إلى بولس وسيلا والرسالة التي يبشران بها. فهما في نظرها «عبيد الله العلي» وبيشّران بطريق خلاص (من الخلاصات) (وليس بطريق الخلاص الوحيد). ولكن يظهر أن المشكلة تكمن في هذا التعريف ببولس وسيلا وبموضوع بشارتهما «طريق خلاص». فلقب «الله العلي»<sup>(٤)</sup> كان يُعطى لزوش. وهذا ما يعرض الرسولين إلى إمكانية اعتبارهما رسولين لزوش وليس ليسوع كما أن بشارتهما «طريق الخلاص» من الممكن أن تعتبر طريقاً من بين عدة طرق للخلاص.

لذلك يأتي كلام الرسول بولس ليؤكد هويتهما ويزيل الالتباس. إنهما رسولا يسوع المسيح وباسم يسوع المسيح يأمر الروح بأن يخرج منها<sup>(٥)</sup>. لا يجوز أذاً أن يخلط الناس بين يسوع المسيح وأي إله آخر. فيسوع وحده هو الذي مات وقام ليهدي البشر إلى طريق الخلاص الوحيد. لذلك ولو تعرّض بولس وسيلا للسجن بسبب هذه المعجزة، إلا أنهما أدّيا الشهادة الحقّة عن يسوع بالرغم من عدم فهم الناس لهم خاصة أولئك الذين يهتمون فقط بالربح ويسخّرون الناس والآلهة في سبيل إثماء ثروتهم.

## خلاصة

استناداً إلى ما ذكرنا سابقاً يمكننا أن نستنتج ما يلي :

١ - إن المعجزة ذات أبعاد كنسية. فهي تشير أولاً إلى حضور الرب في الكنيسة بواسطة الروح القدس وبقوة كلمته الفاعلة. كما أنها تعبر بتنوعها عن غنى هذه القوة. فالكنيسة تكمل عمل يسوع في التاريخ وهي تدعو العمي ليروا والمقعدين ليمشوا. . . . والموتى ليقوموا. إنها كنيسة يسوع، رب الحياة الذي انتصر على الموت بقيامته.

(٤) Theos upsistos

(٥) نفس المرجع ص، ٢٠٤-٢٠٥.

٢ - المعجزة هي علامة حيوية الكنيسة، كنيسة أورشليم وكنيسة أفسس، كنيسة الماضي كما كنيسة اليوم. هذه العلامة ينبغي أن تُفهم وتساعد المؤمن وغير المؤمن على تحديد موقفه من يسوع ومن كنيسته. فإما أن يقبل ويغتني وإما أن يرفض ويضطهد أو ينفصل عن جماعة المؤمنين.

٣ - المعجزة تعبّر عن تجاوب الله مع حاجة كنيسته. وهذه الحاجة تختلف بين زمان وزمان وبين مجتمع وآخر.

في كنيسة أورشليم كانت الحاجة بأن تتنقى الكنيسة من الأخوة الكذبة والمرائين فمات حنانيا وزوجته سفيرة. وفي كنيسة السامرة كانت الحاجة بأن تتنقى البشارة من أساليب السحر، لذلك عاقب بطرس سمعان الساحر الذي كان يلازم فيلبس ويلازمه. وفي كنيسة الشعوب كانت الحاجة بأن تتضح فرادة البشرى المسيحية فلا يكون التباس بين المسيح والآلهة المتعددة ولا تعتبر بشارته طريقًا كباقي الطرق، فأخرج بولس الروح من الجارية.

٤ - يمكن القول باختصار: إن أعجوبة لا يكون مصدرها المسيح وبيئتها الكنيسة ولا تؤدي إلى معرفة أكبر للمسيح وعيش أقوى في الكنيسة تكون أعجوبة باطلة، ولا فائدة منها بل قد تؤدي إلى نتيجة عكسية. فالأعجوبة إذاً تجد نقطة ارتكازها على المسيح وتكون بيئتها الطبيعية الكنيسة، أو هي توصل إلى الكنيسة.

الاباتي بولس التتوري

## الاعجوبة أم الكلمة المحيية

### مقدمة

الاعاجيب والخوارق قديمة قدم الإنسان! وكلّ ما لم يفهمه الإنسان القديم بدا له عجيّباً مدهشاً ودعاه إلى التأمل في أسرار الكون والطبيعة التي تفوق إدراكه وخبرته، ودفعه إلى البحث عن القوى الخفية التي تقف وراء هذه الخوارق والاحداث العجيبة.

وهكذا وُلدت الديانة أو ما نسميه التدينّ الطبيعي عند الإنسان .

هذا التدينّ الطبيعي هو وليد خوف واسترضاء للالهة . لأن الإنسان يقوم بأعمال عبادة غايتها الاساسية إسترضاء الآلهة لثلاث تغضب عليه فتصيبه الكوارث والامراض . . . . . ولذلك يعبدها ويصلي لها ويقدم لها القرابين . . . . .

ومن جهة ثانية هذه العلاقة الحسنة المزعومة بين الإنسان وآلهته، تدفعه إلى أمر آخر وهو طلب العجائب من تلك الآلهة، لكي يتغيّر كلّ ما لا يرضي الإنسان المتدينّ . هكذا تراه يقدم النذورات والبخور، ويعد بدفع مبلغ ما أو بتقديم شيء ما للآلهة إن هي استجابت دعاءه وحصلت أعجوبة شفائه أو شفاء أحد أحبائه أو كثرت محاصيله . . . . .

في كل ذلك ترى الإنسان المتدين لا يبحث عن الاصغاء إلى كلمة إلهه للعمل بها كونها خيره الأعظم، بل هو «صاحب الكلمة» يطلب من آلهته أن تنفذها له بواسطة قواها العجيبة .

بهذا المعنى نفهم وجود السحر والسحرة، وهو يقوم على كلمة سحرية ينطق بها الساحر فيُخضع قوى الآلهة لإرادته ويحول شرّاً إلى خيرٍ أو خيراً إلى شرّاً . . .

باختصار، الاعجوبة في الديانة الوثنية هي كلمة من الإنسان يريد تحقيقها فيلجأ إلى أساليب السحر أو الصلاة للآلهة لتحقيقها.

من جهة ثانية، هناك مفهوم شعبي وفلسفي حديث للاعجوبة نستطيع اختصاره بما يلي: المفهوم الشعبي الحديث لكلمة خارقة أو أعجوبة<sup>(١)</sup> يتّصف بالدرجة الأولى بما يلي: حدث أو شيء يدفع الإنسان إلى التعجّب والذهول، كونه خارق العادة ولا يفسّر بالمنطق الطبيعي وقد يؤول بالإنسان حتى إلى الشعور بالخوف.

وبالمعنى الديني، الاعاجيب والخوارق هي بحسب القديس توما الاكويني: «ما يحدث بعض المرات، بتدخل إلهي ويتخطى النظام الطبيعي والعادي للأمور» (Contra Gentes III, 101).

وبهذا المعنى نجد أيضاً تحديدات مختلفة في قواميس اللغة الفرنسية والعربية وغيرها، وهي غالباً تحدد الاعجوبة كونها حدثاً غير اعتيادي يُفسّر كونه نتيجة لتدخل إلهي ذات مدلول روحي . . .

وهناك أيضاً تحديد عقلاني للاعجوبة نجده عند الفيلسوف الانكليزي هيوم (سنة ١٧٣٨) ويقول: «الاعجوبة هي أساساً اختراق لقوانين الطبيعة!».

باختصار كلمة أعجوبة ترتبط، حسب هذه المفاهيم بالأمر التالية:

- شيء مدهش وخارق العادة
  - لا يمكن تفسيره لأنه يخترق قوانين الطبيعة
  - تفسيره الوحيد هو في مصدره السامي أو الالهي.
- فهل هذا هو معنى الاعجوبة في الكتاب المقدس؟

---

(١) CHARLIER J.-P., Signes et Prodiges (Lire la Bible, 79) Paris, 1987, pp 8-9.

# ١ - الاعاجيب في الكتاب المقدس

أولاً : في العهد القديم

## أ - بعض التعابير المستعملة

لا ترد كلمة أعجوبة في العهد القديم العبراني<sup>(٢)</sup>، وإن الكلمات الأكثر تعبيراً عن الاعجوبة في العهد القديم هي التالية :

(١) Mōfet - Teras - Prodiges - مدهش - غريب .

هذه الكلمة لا تستعمل غالباً تعبيراً عن تدخل إلهي أو ما شابه، بل تعبيراً عن حدث إعتيادي له مدلول رمزي مدهش أو غريب: فالنبي حزقيال يوضب حقايبه ويخرج في الليل هارباً من الاسوار، ليعبر عن مستقبل إسرائيل في الجلاء وهذا أمرٌ مدهش! بل إن النبي نفسه يُصبح مدهشاً! (حز ١٢ : ١١). كذلك عبد الله المتألم هو «مدهش» للذين يرونه لأنه الألم الخلاصي ويرمز إليه بطريقة غريبة وإن لم تكن خارجة عن العادة أو قوانين الطبيعة (إش ٥٣ ومزمور ٧١ : ٧) الـ Mōfet إذاً هو شيء غير مألوف له مدلول رمزي وغير سهل التفسير .

(٢) Signe - Semeion = ôf - علامة .

هذه الكلمة تستعمل غالباً للتعبير عن حدث له مدلول قوي على المستوى الديني وإن يكن الحدث بحد ذاته لا يبدو خارقاً: فقوس القزح مثلاً هي «علامة» (تك ٩ : ١٢-١٧)، والختان هو «علامة» (تك ١١ : ١٧) للعهد. إنهما علامة لتدخل الله في التاريخ وفي الخلق .

(٣) Ma'âsei Ghibbûra = Ergon - Euvres - أعمال وقدرات .

(٢) بالنسبة إلى تفاسير استعمال هذه الكلمات ومعانيها :

راجع : المرجع السابق، و- JENNI E. Theologisches Handwörterbuch zum Alten Testament I, München, 1984.  
II,

هذه الكلمات تعبر عن مفاعيل قدرة الله التي تصنع ما لا قدرة للإنسان عليه = الخلق - الخروج - عبور البحر - الصحراء وما حدث فيها - دخول أرض الميعاد - إخراج إسرائيل من سيبه في بابل . . . كلها أعمال وقدرات يصنعها الله وتبين عظمته (٣).

## ب - معنى الاعجوبة

يتضح لنا من خلال دراسة الكتاب المقدس، والتقليد التفسيري له، ومن خلال الدراسات الحديثة أن الاعجوبة هي قبل كل شيء كلمة من الله وعلامة تدل على حضوره. إنها عملٌ قدرة منه، ونحن لا نستطيع أن نقرأه خارج إطار الخلق وتاريخ الخلاص. كل التاريخ هو معجزة إلهية مستمرة والإنسان مدعو إلى اكتشافها ومباركة الله الدائمة لأجلها (٤).

طبعاً توجد قصص معجزات معينة في العهد القديم ولها طابع مميز من حيث طابعها الخارق والغير المألوف وبعضها قريب من القصص الاسطورية التي نجدتها في الادب الشرقي القديم.

فهناك القصص الملحمية التي تميل إلى تعظيم الاحداث وتفصيلها وإدخال عناصر خيالية عليها، والهدف من ذلك تجميل القصة وجعلها أكثر إثارة وحيوية، كما أن المراد الاساسي هو التغني بعظمة وقدرة وسلطان وطيبة الله . . . ومع ذلك، فإن مثل هذه القصص، في الكتاب المقدس، تركز على حدث تاريخي واقعي اختبره الذين أخبروا به يحافظ على حيويته الخلاصية دائماً، من جيل إلى جيل، وكلما أعيد إخبار تلك القصة إن في الإطار العائلي أو الليتورجي . . . من هذه القصص: قصة الخروج من مصر وما رافقها من معجزات وعبور للبحر ومسيرة في الصحراء . . .

ويجدد بنا أن نتوقف قليلاً عند إحداها، وهي عبور البحر، لنكتشف أن كل المعجزة تهدف إلى إظهار قدرة الله الخلاقة والخلاصية في آن.

(٣) راجع إرميا ١ : ١٠ ؛ مز ١٤٥ : ٤ ؛ ٩٢ : ٥-٦ إلخ . . .

LEON-DUFOUR X., «Approches diverses du Miracle», in Les Miracles de Jésus, (٤)  
(Collectif), Paris, 1977 pp. 28-31.

وبهذا المعنى فإن تقليد الكتاب المقدس حول المعجزة يختلف عن نظرتنا نحن إليها، وبينما نميل نحن إلى النظر إلى المعجزات وكأنها اختراق لنظام الطبيعة، فإن الكتاب المقدس يعتبر أن التدخل الإلهي لا يخالف أبداً نظام الطبيعة، بل هو استمرارية لعمل الخلق الذي هو معجزة المعجزات. والنظرة الكتابية إلى الخلق الذي صنعه الله هي أيضاً مميّزة بكونها نظرة أخلاقية. فالله خلق الكون والإنسان لهدف معيّن وهو أن يعيش الإنسان بالسعادة التامة وأن يكون محور سعادته ارتباطه بالله.

من هنا فإن الوصايا الإلهية هي نفسها مرتبطة بالخلق، أي إن الإنسان مدعوّ لاتباع الوصية الإلهية حتى يتحقّق فيه الهدف الذي لأجله خلق الله العالم. وحدها مخالفة الوصية الإلهية من قبل الإنسان، تحيد به عن الهدف الاساسي للخلق وتهدّد مراد الله الخلاصي والحبيّ فيه!

وهنا، تكون المعجزة التي يصنعها الله ذات غاية أساسية وهي إعادة الإنسان إلى إمكانية الاستفادة من حبّ الله والوصول إلى غايته في الخلق أي السعادة.

باختصار، إن الاعجوبة في الكتاب المقدس هي تدخل إلهي لتصحيح مسار خاطئ اتخذته الخليقة وابتعدت بسببه عن تدبير الله.

لذلك، فههدف المعجزة هو مؤقت وتدريبٌ على العودة إلى الحرية الاصلية حيث لا يحتاج الإنسان إلى معجزة طارئة بل يعيش في المعجزة الدائمة التي هي الخلق وتدبير الله الخلاصي الذي يقود الإنسان المؤمن في الطريق المؤدي إلى تحقيق إرادة الله في سعادة الإنسان التامة. هذا هو معنى المسيرة نحو أرض الميعاد. هذا هو معنى إعطاء الوصايا وتحقيق العهد. إنها المعجزات الحقيقية، لأنها تحقيق إرادة الله الخلاقة في شعبه.

وعليه يمكننا القول بأن المعجزة هي دائماً علامة - هي علامة العهد مع البشرية المائتة بالطوفان - هي علامة إرادة الله في إخراج شعبه من عبودية مصر وبالتالي إعادته إلى حالته الأولى: على صورة الله ومثاله. هي علامة رحمة الله للخاطئ، كما هي الحال في معجزة يونان النبي.

## ج - الاعجوبة

الاعجوبة هي إذاً كلمة من الله لشعبه أو للآخرين. وبينما يبدو لنا أن كلمة الله الطبيعية الدائمة هي، كما قلنا، فعل الخلق والخلاص المستمر، فإن الاعجوبة تبدو بالاكتر

في العهد القديم كلمة باتجاه غير المؤمنين أو المشككين بقدرة الله وإن كانوا شعبه أنفسهم . بهذا المعنى نفهم كلّ الاعاجيب والخوارق التي صنعها الله في مصر «ليظهر قوته لفرعون»، «فيعرف إنني أنا الله»، ومنها الضربات العشر وعبور البحر وموت الجيش الفرعوني . . . وكذلك معجزات الصحراء التي أتت كجواب على تدمر الشعب وتشكيكه بالربّ . . .

وهكذا الامر مع إيليا النبيّ الذي لم يجترح أية أعجوبة إلا ليؤكد تعليمه حول وحدانية الله ودعوة إسرائيل للابتعاد عن الاصنام . كان إيليا يعيش في زمن عبادة الآلهة المزيفة ، وكان شعب إسرائيل قد تخلى عن الله . فكثر الظلم واستغلال الفقراء وزاد الفحش والمجون ولم يعد الشعب ولا حكامه يسمعون تعاليم النبيّ فقسوا قلوبهم ورفضوا التوبة عن ضلالهم : ولذلك فقط تحدّى إيلياً كهنة البعل الذين كانوا يضلون شعب الله واجترح تلك الاعجوبة الشهيرة التي بينت أن تعاليمه صحيحة وتعاليم كهنة البعل باطلة : هدف تلك الاعجوبة كان تأييد كلمة النبيّ أمام الشعب غير المؤمن ( ١ مل ١٨ : ١٧ - ٤٠) (٥) .

وهكذا الامر أيضاً مع باقي الانبياء في العهد القديم . ما صنع الله عن يدهم آية إلا لتأكيد كلمته عند الناس غير المؤمنين أو لتشجيع المؤمنين منهم على الثبات والرجاء .

ثانياً : في العهد الجديد

## أ - الاطار العام وبعض التعابير

بُني العهد الجديد على حدث معجزة القيامة ، وقد أعلن هذا الحدث واحتفل به المسيحيون وتأمّلوا فيه مطولاً قبل أن يكتبوه في أسلوب أدبي معيّن خاص بالجماعات التي كُتبت لاجلها . ولا شكّ أن الانجيلي قد استعمل الاسلوب الادبي المناسب لسكب قصته حول تعاليم المسيح أو أعماله ومعجزاته .

ومن الملاحظ أن كلّ الاناجيل تتفق على أن «يسوع قد صنع الكثير من المعجزات» وغالباً ما تأتي هذه الملاحظة في بداية أو نهاية مقاطع من هذا الانجيل أو ذاك (٦) .

(٥) راجع عزام جان ، الاعجوبة والايان ، مجلة البشرية ، عدد ١٢ ، ص ٢٠ .

(٦) راجع متى ٤ : ٤ ؛ ٨ : ١٦ ؛ ٩ : ٣٥ . . . مر ١ : ٣٢-٣٤ ؛ ٣ : ١٠ ؛ ٥ : ٦ ؛ لو ٤ : ٣٠-٤١ ؛ ٥ : ١٧ ؛ ٦ : ١٧-١٩ ؛ يو ٦ : ٢ .

أما الذين يشفيهم يسوع فهم موصوفون بشكل عام بأنهم مرضى أو ممسوسون .  
والملاحظ أنهم في لمسهم ليسوع ينالون «الخلاص» sôzon وليس الشفاء فقط ، وهذا  
فيه تلميح واضح إلى الطابع الخلاصي للمعجزات التي يصنعها يسوع . (متى ١٤ : ٣٥ -  
٣٦ ؛ مر ٦ : ٥٦) .

أما يسوع فيصفه الانجيليون عامة بأنه «يعتني» بالمرضى والممسوسين Therapeuo ؛  
وحده لوقا يصف عمله بأنه Hiastai أي شفاء Guérison .  
فالتركيز إذًا هو على الحبّ ، على الرحمة التي تصدر من يسوع تجاه المرضى أكثر منه  
على النتيجة ، أي الشفاء !

من الملاحظ أيضًا ، أن أخبار المعجزات والأعاجيب تختفي تدريجيًا كلما تقدم الوقت  
بيسوع نحو «ساعته» ، ولهذا لا نجد أنه اجترح أية أعجوبة خلال عمله في أورشليم (سوى  
متى ٢١ : ١٤) .

بدت هذه الاعمال قد صارت ثانوية جدًا تجاه العمل الاساسي الذي سيقوم به في  
أورشليم ألا وهو آلامه وموته وقيامته .

أخيرًا ، تشكّل روايات المعجزات في الاناجيل ما مجموعه ٦٥ رواية منها ما يرد في  
أكثر من إنجيل واحد ، ولذلك فهناك ٣٢ رواية مختلفة لعجائب ومعجزات قام بها الرب .  
ونجد في متى ٢٠ رواية ، وفي مرقس ١٨ وفي لوقا ١٩ وفي يوحنا ٨ فقط .

وإذا احتسبنا عدد الآيات التي تحتلها هذه الروايات ، نجد أنها لا تشكّل سوى ١١٩  
آية في إنجيل متى من مجموع آياته ال ١٠٧١ أي بنسبة ١٠ ، ١١٪ من الانجيل (٧) .

أما الروايات نفسها فتتبع غالبًا مبنى تقليديًا ينقسم إلى خمسة أقسام :

- وصف المريض أو الممسوس

- إيمان الذي يطلب الشفاء :

هذا الايمان إما مُثنى عليه من قبل يسوع أو مطلوب من طالب العجيبة الجهار به .

- الشفاء يحدث بكلمة من يسوع (أو فعل ما)

- الشفاء يصير فوراً وبوضوح

- الرواية تنتهي عادة بالاعتراف بالعمل الإلهي وتمجيد الله (٨).

## ب - معنى الاعجوبة

أولاً، يجب أن نعرف أن التقليد اليهودي في زمن يسوع لم يكن ينظر بعين جيدة إلى الأطباء راجع أي ١٣ : ٤؛ مز ٨٧ : ١١؛ سيراخ ٣٨ : ١-١٥ حتى إن بعضهم كان يعتبره كاللحم الذي يمارس القطع والوصل . . . وفي التقليد الرباني (قدشيم ٤ : ١٤) يقول أنه يمارس مهنة اللصوص (راجع مر ٢٦ : ٥).

أما المعزّم أو الذي يطرد الارواح النجسة فقد كان يعتبر ذا وظيفة نبيلة وقرية من وظيفة الكهنوت (متى ١٢ : ٢٧).

من هنا فإن الأناجيل تبرز يسوع بالاحرى كونه صاحب سلطان على طرد الارواح النجسة وشاف من علل الجسد والنفس المستعصية على الاطباء . . . وبذلك فهم يبرزون العجيبة كونها علامة على أن ليسوع سلطاناً على الخطيئة التي هي في أصل المس الشيطاني، وعلى الشيطان نفسه الذي يأسر الناس بأمراض مستعصية، ولا سيما تلك التي لها معنى لاهوتي: كالعمى، أي عدم القدرة على رؤية النور، نور الله ونور الإيمان. والصمم أي عدم القدرة على الاصغاء إلى كلمة الله وكلمة الحياة . . . والخرس، أي عدم القدرة عن إعلان أعمال الله . . . والبرص أي النجاسة التي هي مضادة لقداسة شعب الله أي الوثنية، والشلل أي عدم القدرة على السير في طريق الله ونحو بيت الله . . . من جهة أخرى من الملاحظ بشكل واضح أن الاعاجيب تركز بشكل أساسي على يسوع المسيح

---

(٨) المرجع نفسه .

والإيمان به<sup>(٩)</sup>، وعلى ملكوت الله أكثر منها بكثير على الذين ينالون الشفاء أو يستفيدون من الاعجوبة والمعجزة.

ولنا في رواية متى ١١: ٢-٣ ولو ٧: ١٨-٢١ خير مثال على المعنى اللاهوتي الملكوتي المسيحاني ولعمل العجائب في العهد الجديد: فهناك يرسل يوحنا المعمدان من سجنه بعض تلاميذه إلى يسوع يسألونه: هل أنت الآتي أم ننتظر آخر؟

وهنا لا يجيب يسوع إلا بفعل معجزات عديدة: فقد شفى أمامهم الكثير من المرضى والمصابين بالعاهات والارواح الشريرة وأعاد البصر إلى كثيرين . . . ثم يقول لهم: اذهبوا وأخبروا يوحنا بما رأيتم وسمعتم: «... العمي يبصرون، والعرج يمشون، والبرص يبرأون، والصم يسمعون، والموتى يقومون... وطوبى لمن لا يشك فيّ!» (متى ١١: ٤-٦ ولو ٧: ١١-٢٣).

من الواضح إذًا أن الهدف الاساسي من صنع المعجزات هو إعلان ملكوت الله والتأكيد بأن يسوع هو المسيح! إنها علامات الملكوت كما تنبأ بذلك الانبياء في العهد القديم<sup>(١٠)</sup>.

---

(٩) هناك تعبير: «اذهب إيمانك خلّصك»، الذي يتردد كثيراً على فم يسوع عند قيامه بالاعجوبة. نلاحظ أن يسوع يقول نفس الجملة للمرأة الخاطئة في بيت سمعان، علامة على غفران خطاياها فقط! وليس هناك أي أعجوبة جسدية (لو ٧: ٣٦-٥٠). إذًا، يتأكد لنا أن الاساس هو كلمة المسيح وإيمان السامعين بها وشفاء نفوسهم من خطاياهم. وبالتالي فإن الاعاجيب هي آيات تظهر الخلاص الذي ناله المؤمن!

ويستخلص كثيرون أن الإيمان هو بالنسبة ليسوع شرط مسبق للقيام بالاعجوبة! ونحن نعتقد أن هنالك بعض النصوص عند الأرايين التي تشدد على ضرورة الإيمان قبل الاعجوبة ولكن لا نعتقد أبداً أنها شرط مسبق! أولاً لأن يسوع يجري عجائب عديدة دون الحاجة إلى إيمان صاحب العلاقة! (متى ١٥: ٣٢-٣٩؛ ٩: ٣٢-٣٤ الخ... بل غالباً يلاحظ إيمان الذين يحملونه إليه! ثانياً، نعتقد أن هذه الجملة التي يتفوّع بها يسوع غير مرتبطة بالضرورة بالعجائب، بل هي تعبير عن كلمات يسوع كان يردّها للتأكيد بأن الإيمان - شرط مسبق - للتوبة والخلاص. وليست الاعجوبة سوى علامة على هذا الخلاص.

(١٠) راجع أش ٢٩: ١٨-١٩؛ ٣٥: ٤-٦؛ ٦١: ١-٢.

## ج - الاعجوبة : الآية والكلمة

نجد في الأناجيل ملخصات كبرى لشفاءات وأعاجيب صنعها يسوع وأهمها ما نجد في متى ٤: ٢٤؛ ومتى ٨: ١٦-١٧؛ ومرقس ١: ٣٢-٣٤؛ ولو ٤: ٤٠-٤١ الخ... وتبرز هذه الملخصات أمرين مهمين:

كون يسوع المسيح قد افتتح عهد ملكوت الله الذي هو عهد شفاء من كل مرض وشيطان! والاثنتان هما رمز للخطيئة التي تبعد عن الله وتنتج المرض والاستعباد للشيطان.

وكون هذه الشفاءات هي آيات تدفع الناس إلى تمجيد الله (لو ١١: ١٢؛ ٢٠: ٢؛ ١٦: ٧؛ متى ١٦: ١٤). من جهة ثانية، لا شك أن هذه الشفاءات والاعاجيب هي أحد البراهين الحسية عن سلطان المسيح التعليمي وصحة الكلمة التي يعلنها. وهذا واضح من خلال أمثلة عديدة. يكفي أن نذكر شفاء المخلع في كفرناحوم (لو ٥: ١٧-٢٦) وتكثير الخبز والسمكتين عند بحيرة طبرية (يو ٦: ١-٧١). فقبل أن يشفي يسوع المخلع من مرضه الجسدي، غفر له خطايا مؤكداً بذلك أن خلاص الإنسان من مرض الخطيئة الميت أهم بكثير من شفاء جسده من المرض. وهو لم يقل له: «قم واحمل سريرك وامش» إلا ليؤكد كلمته السابقة أي قدرته على شفاء الخطايا<sup>(١١)</sup>.

أما معجزة تكثير الخبز والسمكتين فلم تكن إلا تهيئة لإعلان يسوع أنه هو نفسه خبز الحياة النازل من السماء ليعطي الحياة الحقيقية. ولعل هذه الحادثة هي أفضل برهان على أن الأعجوبة لا تكون فعالة إلا إذا قبلها الناس كأية أي كعلامة تدعوهم للإيمان<sup>(١٢)</sup>. فهذا الشعب الذي أكل وشرب وشبع وكاد من شدة حماسه يعلن يسوع ملكاً ومسيحاً (٦: ١٤-١٥)، احتشد في اليوم التالي طالباً الخبز الفاني وأعجوبة جديدة، لكن يسوع بادريهم بقوله: «الحق الحق أقول لكم: أنتم تطلبوني، لا لأنكم رأيتم الآيات، بل لأنكم أكلتم الخبز وشبعتم». وهذا ما حدث فعلاً، إذ إنهم جميعهم، ما عدا بطرس وباقي الرسل، تركوه رافضين الإيمان بكلمته<sup>(١٣)</sup>.

(١١) عزام جان، المرجع نفسه.

BLANCHARD Y.-M., Des signes pour croire, (Lire la Bible, 106), Paris, 1995, pp. (١٢)

61-79.

(١٣) عزام جان، المرجع نفسه.

فالأعجوبة ليست بالضرورة آية أو علامة كافية. وقد يتحقق ما قاله أشعيا النبي: ينظرون ولا يرون، ويسمعون ولا يفهمون، ويقسّون قلوبهم لئلا يتوبوا فأرحمهم. وهذا ما يقوله يسوع في متى ٧: ٢٢-٢٣: «كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم: يا رب، يا رب، أليس باسمك تبنّأنا، باسمك طردنا الأبالسة وباسمك أتينا آيات كثيرة؟ وعندما أقول لهم: ما عرفتكم قط!» (راجع أيضاً متى ٢٥: ٤١-٤٥). ونجد أن يسوع يعلن بمرارة شديدة فشل الآيات والمعجزات التي صنعها بنفسه في أن تعيد الناس إلى الايمان والتوبة عن أعمالهم. وها هو يبكّت مدن الجليل لأنها لم تتب بالرغم من الآيات والمعجزات التي صنعها فيها<sup>(١٤)</sup>.

وفي مكان آخر يرفض يسوع أن يعطي الكتبة والفرّيسين آية إلا آية يونان النبي! وماذا صنع يونان؟ هناك تقليد يفسّر كلام يسوع هذا بأنه تلميح إلى موته وقيامته. وهذا ما يؤكده نص متى ١٢: ٤٠. ولكن الآية الأهم التي تتفق عليها كل النصوص هي: دعوة النبي يونان أهل نينوى للتوبة (بواسطة الكلمة!)<sup>(١٥)</sup> وقبولهم الدعوة وتوبتهم. فالذي يرغب بالتوبة تكفيه كلمة! والذي يرفض التوبة، لا تفيدته الأعجوبة! «فإنهم إن كانوا لا يسمعون لموسى وللأنبياء فحتى ولو قام واحد من الأموات لن يتوبوا!» (لو ١٦: ٣٠-٣١).

هنا أيضاً نستحضر نص شفاء المسوس الوثني في ديار الجرجسيين<sup>(١٦)</sup>. فبالرغم من هذه الآية العظيمة التي صنعها يسوع، فإن أهل البلد رفضوا الايمان خائفين على خسارة قطعان أخرى! مفضلينها على حضور المسيح بينهم وشفاء ممسوسهم! وهذا تأكيد على البعد الوثني للأعجوبة! فهي ليست علامة للايمان، بل وسيلة لإرضاء مشيئة الإنسان وما يعتقده هو مصلحته! وإذا كانت الأعجوبة تخسر الناس قطعان خنازيرها فأبي أعجوبة هي هذه؟ بل فليُطرد مسبب الخسارة هذا!

أخيراً نؤكد هذا المعنى القوي للأعجوبة كونها آية لتثبيت الكلمة المعلنة من خلال سفر أعمال الرسل نفسه. فالرسل بعد القيامة لم يجتروا أعجوبة إلا لتأييد «الخبر السار»

(١٤) متى ١٠: ١٥؛ ١١: ٢٠-٢٤؛ لو ١٠: ١٢-١٥.

(١٥) راجع متى ٢٢: ٣٨-٤٢؛ لو ١١: ٢٩-٣٢؛ مر ٨: ١١-١٢.

(١٦) متى ٨: ٢٨-٣٤؛ مر ٥: ١-٢٠؛ لو ٨: ٢٦-٣٩.

بقيامه يسوع المسيح من الموت مخلصاً الذين يؤمنون باسمه. وهكذا فإن شفاء المقعد عند باب الهيكل دفع الكثيرين للاصغاء إلى تعليم الرسل وللإيمان باسم يسوع المسيح (أع ٣: ١-٢٦).

ومن جهة ثانية، إذا قرأنا سفر أعمال الرسل بتمعن، نلاحظ أن الأعاجيب والخوارق تختفي تقريباً بعد ولادة الجماعات المسيحية الأولى. فحيث توجد الكنيسة الحقيقية لا حاجة إلى الأعاجيب، لأن الكنيسة هي الاعجوبة الكبرى والاية العظمى التي يدعو الله من خلالها جميع الناس إلى الايمان وهي التي تعطي الايمان<sup>(١٧)</sup>.

فلاعجوبة اذا مفيدة بقدر ما تؤيد الكلمة وتؤكدّها أمام الذين هم بحاجة إلى علامة حسيّة ليؤمنوا. لكنها عاجزة أمام الذين يرفضون الكلمة ولا يريدون الايمان بها.

## خاتمة

إن كلمة الله، أعني أفعال خلقه العظيمة وأعماله الخلاصية المستمرة في التاريخ، هي الـ «دبر» الحقيقي والدائم، أي الكلمة الفعالة التي تدعو الناس إلى الحياة. وهي إذاً الاعجوبة المستمرة التي يستطيع من يراها ويسمع الاعلان عنها أن ينال الخلاص والحياة مهما يكن الواقع الذي يجد فيه نفسه.

من يرى ويسمع «كلمة» الله لا يحتاج إلى خوارق جديدة أو أعاجيب إضافية تخرق قوانين الطبيعة كما يسميها «هيوم» ومن بعده كثيرون!

وقد نكتشف بواسطة العلم أن ما اعتبرناه اليوم خرقاً لقوانين الطبيعة لم يكن سوى مظهر من مظاهر الطبيعة الغنيّة جداً التي خلقها الله ليساعدنا من خلالها على الايمان، ولكن ذلك لن يزيل عن هذه الخوارق كونها كلمة من الله!

لذلك فالتمسك بالتعليم وبياعلان الكلمة وبعيش هذه الكلمة في جماعات مسيحية حيّة، هو العجيبة الفضلى والعظمى التي لا خوف من أن يضعفها علم أو معرفة متطورة. فهي آية دائمة لكل الناس تعلن لهم قدرة الله على الخلق والخلاص في كنيسته.

الخوري جان عزّام

---

(١٧) جان عزّام، المرجع نفسه.

## طرد الشياطين

عنوان بحثنا «طرد الشياطين» لا يخوِّف، بل سيعطينا فهماً جديداً وعميقاً لسر المسيح وسيقوي إيماننا بشخص يسوع الذي أتى ليشرِّ بملكوت الله وبزوال مملكة الشيطان.

تنحصر دراستنا في الأناجيل الإزائية التي تعطينا فكرة واضحة وشاملة عن نشاط يسوع في طرد الشياطين.

ينقسم بحثنا إلى أربعة أقسام:

١ - بعد المقدمة الموجزة سنتكلم عن تاريخية نشاط يسوع في طرد الشياطين

٢ - بنية الرواية في طرد الشياطين (ما هي أهم العناصر التي تؤلف الرواية)

٣ - النصوص التي تتكلم عن حادثة طرد الشياطين

٤ - دراسة بعض النصوص التي تتكلم مباشرة عن طرد الشياطين.

### مقدمة

كل شرّاح الكتاب المقدّس يسلّمون أن يسوع مارس هذا النشاط: طرد الشياطين

(exorciste)، لا بل كان في صميم رسالته الخلاصية.

هناك مرجعان مهمّان من أقوال يسوع يؤكّدان هذا النشاط:

١ - المرجع الأول يتعلّق بالاصطدام مع بعل زبول (متى ١٢/٢٤-٢٩؛ مرقس ٣/٢٢-٢٧؛ لوقا ١١/١٥-٢٢). هذا المرجع يعطينا فكرة واضحة عن نشاط يسوع في طرد الشياطين، لكن الفريسيون وأعداء يسوع ترجموا هذا النشاط بمفهومهم الأعوج حينما قالوا: «إن هذا لا يطرد الشياطين إلا ببعل زبول، سيّد الشياطين». (متى ١٢/٢٤).

٢ - المرجع الثاني والمهم أيضاً في نظرنا يتعلّق بالرسالة التي أوكلها يسوع لتلاميذه: «اشفوا المرضى، وأقيموا الموتى، وأبرئوا البرص وأطردوا الشياطين» (متى ١٠/٨؛ مرقس ٧/٦؛ لوقا ٩/١-٢).

## ١- تاريخية نشاط يسوع في طرد الشياطين

يقول يسوع: «أما إذا كنت أنا بروح الله أطرد الشياطين، فقد وأفاكم ملكوت الله» (متى ١٢/٢٨؛ لوقا ١١/٢٠).

هذا الإعلان هو نقطة ارتكاز قوية، بالنسبة لنا، تؤكّد تاريخية عمل يسوع في طرد الشياطين. في النص، يتهم الفريسيون يسوع أنه يطرد الشياطين ببعل زبول فيجيبهم قائلاً: «إذا كان الشيطان يطرد الشيطان فقد انقسم على نفسه» وبالتالي فهو يعمل على دمار مملكته (متى ١١/٢٦).

هنا يربط يسوع طرد الشياطين مع مجيء ملكوت الله. وبالفعل فإن المسيح، حسب الانتظار اليهودي، سيبيد مملكة الشيطان منتصراً في الوقت نفسه على المرض والموت اللذين يجسدان سيطرة الشيطان وتملكه على الإنسان. فالمعجزات (أشعيا ٣٥/٥-٦) وطرد الشياطين (إرميا ٣١/٣٤؛ حزقيال ٣٦/٢٥) هما العلامة الأكيّدة لاقتراب ملكوت الله. وفي كتابات اليهود الرؤيوية كان هناك اعتقاد سائد أنه مع مجيء ملكوت المسيح ستُكَبَّل كل الشياطين وتلقى في الهاوية.

إن يسوع، في رسالته الخلاصية، أعلن أن مملكة الشيطان قد تلاشت، وطرد الشياطين إثبات لذلك. إن شخص يسوع هو الأقوى؛ إنه يمثّل حضور ملكوت الله. فحيثما يوجد يسوع هناك يعمل «روح الله»، «إصبع الله»، «قوة الله».

## ٢ - البنية التقليدية لرواية طرد الشياطين

خمس نقاط أساسية تؤلف الرواية:

- ١ - اللقاء: لقاء يسوع مع الممسوس.
  - ٢ - مقاومة الشيطان: يحاول أن يقاوم عمل يسوع أي طرده من الممسوس.
  - ٣ - الأمر بالخروج: يسوع يأمر الشيطان بالخروج من الرجل الممسوس «أخرج منه».
  - ٤ - خروج الشيطان يتم اجمالاً مع صرخة شديدة وهذه هي علامة خروجه.
  - ٥ - ردة فعل الجموع: تعجب، خوف، اندهاش...
- من خلال هذه العناصر، نستنتج أن الموضوع الأساسي للرواية هو كرستولوجي أي المحور هو يسوع المسيح. الشيطان وجد آخر أقوى منه.

## ٣ - النصوص التي تتكلم عن حادثة طرد الشياطين

هناك خمس روايات في الأناجيل الإزائية:

إثنتان في التقليد الثلاثي أي موجودة في متى ومرقس ولوقا:

- أ - شفاء ممسوس في ناحية الجراسيين (متى ٨/٢٨ - ٣٤؛ مرقس ٥/١ - ٢٠؛ لوقا ٣٩-٢٦/٨).
  - ب - طرد الشياطين من صبي مصاب بالصرع (متى ١٧/١٤ - ٢١؛ مرقس ٩/١٤ - ٢٩؛ لوقا ٩/٣٧ - ٤٣).
- هناك رواية واحدة مشتركة بين مرقس ومتى: شفاء ابنة الكنعانية (متى ١٥/٢١ - ٢٨؛ مرقس ٧/٢٤ - ٣٠).
- رواية واحدة أيضاً مشتركة بين مرقس ولوقا شفاء ممسوس في كفرناحوم (مرقس ١/٢٣ - ٢٨؛ لوقا ٤/٣٣ - ٣٧).
- وأخيراً رواية واحدة في إنجيل متى ولوقا: شفاء أخرس ممسوس (متى ٩/٣٢ - ٣٤؛ لوقا ١٢/١٤ - ١٥).

إضافة إلى هذه النصوص هناك بعض الآيات التي تتكلم بإيجاز عن نشاط يسوع في طرد الشياطين خاصة في إنجيل مرقس (مرقس ١/٣٢-٣٤؛ ١/٣٩؛ ٣/٧-١٢؛ ٦/١٢-١٣).

#### ٤- دراسة بعض النصوص التي تتكلم عن حادثة طرد الشياطين

أ - طرد الشياطين من رجل في ناحية الجراسيين (متى ٨/٢٨-٣٤؛ مرقس ١/٥-٢٠؛ لوقا ٨/٢٦-٣٩).

تصنّف هذه الرواية برواية طرد الشياطين لأنها تجمع كل خصائص عمل يسوع لهذه المهمة. فالرجل الممسوس ليس فقط مريضاً إنما يسيطر عليه حضور شخص آخر يسميه الإنجيل «روح نجس». الخصم الحقيقي ليسوع هو الشيطان وليس الرجل الممسوس. نجد في هذه الرواية العناصر الأساسية لطرد الشيطان:

١ - اللقاء: لقاء يسوع مع الممسوس (آية ٢).

٢ - وصف للحالة الخطيرة التي كان يتعرّض لها الرجل. فهو يقيم في القبور أي في مكان نجس. لقد قيّد بالسلاسل لكنه قطعها وكسر القيود (٣-٥).

٣ - مقاومة الشيطان: إنه يريد مهاجمة يسوع بعبارة دفاع «ما لي ولك» (آية ٧) و يبحث في السيطرة على يسوع بمعرفة اسمه وبالكرامة التي لديه. «ابن الله العلي». ويستحلف الشيطان يسوع بالأ يعذبه. نجد هنا ضمناً اعترافاً بسلطة يسوع ومقدرته التي لا تُقهر من حيث المبدأ.

٤ - الأمر بالخروج (٨): «أخرج منه». كلمة واحدة «أخرج» تُظهر قدرة يسوع على قهر الشيطان.

والملفت للنظر أيضاً هنا، سؤال يسوع للرجل الممسوس: ما اسمك؟

فيجيب الرجل: اسمي جيش لأننا كثيرون (٩).

إن إعلان اسم الممسوس جيش يدلّ هنا في رواية طرد الشياطين أن يسوع أتى ليمحو كافة معسكر الشيطان ويحرّر الإنسان من النجاسة المستحوذة عليه بفعل الشيطان.

## ٥ - ردة فعل الجموع : خوف وهلع

أ - حالة الرجل بعد الشفاء . يصفه الإنجيلي جالساً لابساً صحيح العقل (آية ١٥) . أكثر من ذلك . إنه يريد أن يتبعه (١٨) . ولكن يسوع يأمره بالذهاب إلى بيته وذويه وبأن يخبرهم بكل ما صنع الربّ إليه بالرحمة (آية ١٩) وهكذا يهتّى هذا الرجل الطريق للرسالة المسيحية في أرض الوثنيين .

ب - مرقس ١/ ٢١-٢٨ : شفاء ممسوس في مجمع كفرناحوم

تنقسم هذه الرواية إلى قسمين :

١- تعليم يسوع في المجمع (٢١-٢٢) «إنه يعلم كمن له سلطان لا مثل الكتبة»

٢ - طرد الشيطان من رجل .

ونركّز بحثنا على هذا القسم . يبدأ الإنجيلي بسرد هذه الرواية وتأتي في أولى المعجزات التي صنعها يسوع ، طرد الروح النجس . هنا أيضاً نجد العناصر الأساسية لرواية طرد الشياطين :

١ - لقاء يسوع مع الممسوس (آية ٢٣)

٢ - مقاومة الشيطان (٢٤)

٣ - الأمر بالسكوت وبالخروج (آية ٢٥)

٤ - الخروج (آية ٢٦)

٥ - ردة فعل الجموع : اندهاش (آية ٢٧) .

إن سكن الروح النجس في داخل الإنسان هو فكرة متواجدة عند الوثنية واليهودية والمسيحية . والإنسان الممسوس إجمالاً يكون مريضاً بجسده وبقله وبروحه ، وشفاءه يكون ممكناً فقط إذا خرج هذا الروح النجس من الإنسان .

في الآية ٢٤ يصرخ الشيطان بضم الممسوس : أجتت لتهلكنا ، وهذا اعتراف واضح أن سلطان يسوع يفوق قدرة الشيطان . وفي الآية ٢٧ نجد ضمناً اعترافاً بخضوع الشيطان ويطاعته لأوامر يسوع : «حتى الأرواح النجسة يأمرها فتطيعه» .

## خلاصة

إن الآيات والمعجزات التي حققها يسوع لها وجهتان:

١ - توجيه الانسان نحو الملكوت ؛ ٢ - ودعوته إلى التوبة . ونستنتج من خلال هذه الروايات ثلاثة مميزات:

١ - إن الرجل المسوس هو في حالة فقد فيها قدرته الشخصية على القرار .

٢ - إن الخصم الحقيقي ليسوع هو الشيطان وليس المسوس . والرجل المسوس ليس إلا أرضاً تنشب فيها المعركة .

٣ - عمل يسوع هو طرد الروح النجس وشفاء الإنسان جسدياً وروحياً .

أخيراً، إن سلطان يسوع في طرد الشياطين قد أعطي لتلاميذه . والملكوت الذي افتتحه يسوع في حياته يجب أن يكتمل مع التلاميذ بالسلطان الذي أولاهم إياه : التبشير بالملكوت ويطرد الشياطين (متى ١٠/٧) .

إن طرد الشياطين هو العلامة الحسية لحضور الله بشخص المسيح ولاقتراب ملكوته : «وإنما ظهر ابن الله ليحبط أعمال إبليس» (ا يو ٨/٣) .

الأب بطرس موسى

## إحياء الموتى

### تمهيد

تؤلف «القيامات» صنفًا خاصًا بين معجزات الشفاء<sup>(١)</sup>، لأنها تعبر عن قدرة يسوع على إزالة الشر المطلق أي الموت. كما أنها تعطينا فكرة مسبقة عن قيامة يسوع نفسه. غير أنه علينا أن نميّز بين قيامة يسوع وبين القيامات التي يصنعها.

يدفعنا ذلك إلى القول بأن قيامة ابنة يائيرس أو ابن أرملة نائين تكون فعل «إحياء». يُعيد يسوع إلى هذين الشخصين الحياة نفسها التي كانا يعيشانها قبل أن يموتا. إنها عودة إلى الحياة فقط، لأن الموت سيقضي عليهما لاحقًا. هذا ما جعل العهد الجديد يشدد على أنّ حياة يسوع القائم من بين الأموات تختلف اختلافًا كليًا عن حياة هؤلاء، إذ لا موت بعدها. كذلك عددت الأناجيل من جهة أخرى روايات قيامة يسوع وظهوراته لتبين سرّ انتصار يسوع على الموت. فلا غرو أن تكون روايات العهد القديم مع إيليا وأليشاع، والروايات في الأدب الرّباني اليهودي وفي الديانات الوثنيّة قد عرفت جميعها بعض حالات إحياء. كما أنّنا نعلم أن هذه الروايات هدفت إلى إعلاء شأن شخصية «بطلها»<sup>(٢)</sup>.

(١) J. P CHARLIER. Signes et Prodiges. Les Miracles dans l'Evangile, Paris 1987, pp. 76-110. راجع.

غير أن بعض الشراح لا يعطون لهذه المعجزات أهمية عظيمة، «أما بالنسبة للقيامات (ابنة يائيرس، وابن أرملة نائين، ولعازر)، فلنذكر بأنها لا تدل على شيء هام بحد ذاتها» (S. LEGASSE. Les miracles de Jésus, éd. sous X. LEON DUFOUR; Le Seuil Paris 1977, pp. 133, note 95).

(٢) L. SABOURIN, Il Vangelo di Matteo, Teologia e Esegese, II, Marino 1977, pp. 563-579. راجع.

نلاحظ على عكس ذلك أن الإنجلييين يسردون رواياتهم بطريقة جدّ مكتومة. يتفق الإزائيون الثلاثة، ولكن حسب أهداف مختلفة، على سرد حالة «قيامه» واحدة فقط في رواية معجزة ابنة يائيرس<sup>(٣)</sup>. ويزيد لوقا رواية ثانية، خاصة به، معجزة ابن أرملة نائين. توازي هاتان القيامتان لشاب وشابة، معجزتين قام بهما بطرس وبولس حسب ما جاء في سفر أعمال الرسل. يحيي بطرس طابثية في يافا (رسل ٩/٣٦-٤٢)، كما يعيد بولس إلى الحياة الشاب أفطيخس الذي سقط من العلية في طرواس (رسل ٧/١٢-٧). بينما لا يعرف الإنجيل الرابع شيئاً عن المعجزتين الواردتين في الأناجيل الإزائية، ولكنه يقدم لنا رواية طويلة عن إحياء لعازر (يو ١١/١-٥٤). كما يلمح يوحنا من جهة ثانية، بطريقة غير مباشرة، في رواية شفاء ابن عامل للملك، إلى معجزة «إحياء» (يو ٤/٤٣-٥٤، خصوصاً آ ٤٩: «اذهب، إنّ إينك حي»).

إحياء ابنة يائيرس (مر ٥/٢١-٤٣؛ لو ٨/٤-٥٦؛ متى ٩/١٨-٢٦)

## ١ - الإطار والنص

نجد أنفسنا عند مرقس (٥/٢١-٤٣) في الجليل على الضفة الغربية من بحيرة جنيسارت، بعد أن عاد يسوع من رسالته في بلدة جراسا، إحدى المدن العشرة الوثنية. يتألف النص من روايتين (شفاء منزوفة وإحياء ابنة يائيرس) أدرجهما مرقس على عادته الواحدة ضمن إطار الثانية، كما فعل في مواضع أخرى من إنجيله (٣/٢١-٣٠؛ ٦/٧-٣٣؛ ١١/١١-٢١؛ ١٤/١-١١)<sup>(٤)</sup>. يبرّر ليين هذه العادة بقوله: «يلعب شفاء المنزوفة في وسط الرواية دورين أساسيين: يقوم الدور الأول في إعطاء وقت كاف للإنجيلي ليشدّد على موت ابنة يائيرس فعلياً. ويقدم الثاني صورة عكسية عن تحرير حياة امرأة من الموت،

(٣) يرى بوتان بأن مرشدّد على «قوة ابن الانسان على الموت وأنّ المعجزة تشرّ بانتصار المسيح التام عليه»، ولو على «طبيعة المخلص»، ومتى على «قوة الإيمان» (راجع J. POTIN. Guérison d'une Hémorroïse et résurrection de la fille de Jaire, dans Assemblées du Seigneur, I, n. 78, p. 32).

(٤) V. K. ROBBINS, «The Woman who touched Jesus'garment: so-cio-rhetorical Analysis of the Synoptic accounts, in NTS 33(1987) pp. 502-515.

وذلك ليعطي صورة مسبقة عن إعادة فتاة من الموت إلى الحياة<sup>(٥)</sup>. يتألف النصّ المرقسي من ٢٣ آية، منها ١٣ للقيامة.

يضع لوقا (٨/٤٠-٥٦) هذه المعجزة في إطار مشابه لمرقس، غير أنه يقصّر الرواية لتصبح مؤلفة من ١٧ آية يكرّس منها ١١ للقيامة.

يبدأ عرض الأحداث عند متى (٩/١٨-٢٦) في بيت «رجل يقال له متى» الذي دعاه يسوع إلى أتباعه، وحيث تناول الطعام برفقة الخطأة. دعا هذا العمل إلى جدال أولاً مع الفريسيين وثانياً مع تلاميذ يوحنا. تجري الحادثة إذن، وبطريقة مبتكرة، بين بيت متى وبيت يائيرس. ولكنّ الإنجيلي، على مثال مرقس ولوقا، يمزج معجزتي الشفاء والقيامة ويختصرهما حتى تصبحان غير واضحتين. يتألف النصّ المتأوي من ٩ آيات منها ٦ للقيامة.

نلاحظ هنا أنّ أهمية الحادثتين تتقلص مع الزمن، وتقتصر النصوص حتى نتساءل إذا ما أراد التقليد الكتابي التخييم على هذه الرواية المزدوجة!

## ٢ - الرواية بحد ذاتها

### أ - عند مرقس

يعتبر النقد العلمي الكتابي أن رواية مرقس هي أقدم الشهادات الإزائية التي تعرض حادثة إحياء ابنة يائيرس<sup>(٦)</sup>. يعود ذلك إلى طريقة سرد الوقائع الشعبية، وإلى التعديلات التي أدخلها لوقا وبعده متى إلى هذا النصّ، وكذلك بما يتعلق في إدراج رواية المرأة المنزوفة في إطار الشفاء.

يأتي يائيرس بإيمان في مرحلة أولى ويسأل يسوع بإلحاح بأن يأتي ويشفي ابنته

(٥) W. L. LANE. Commentary on the Gospel of Mark, Grand Rapids 1974, pp. 189-190.

(٦) لا تنطرق في دراستنا هنا إلى موضوع معجزة «شفاء المنزوفة». يقول تايلور:

«يعتبر نص إحياء ابنة يائيرس رواية معجزة. لم تؤلف الجماعة الأولى ولم يكن مصقولاً على طريقة الاستظهار والتكرار، بل إنه نص مبني على شهادة شخصية»

(V. TAYLOR, The Gospel according to St. Mark. London 1972, p. 285)

«المشرفة على الموت» (آ ٢٣). ثم يأتي أناس من قبل رئيس المجمع بعد شفاء المرأة المنزوفة ويخبرونه بأن ابنته قد ماتت ولا لزوم «لإزعاج المعلم» (آ ٣٥). يستعمل الإنجيلي الفعل اليوناني Parakouô الذي يعني إما «وقع الكلام في مسمع شخص» و «سمع (الشخص) الكلام صدفة»، وإما «لم يبال (الشخص) للكلام». يعود هذا الفعل بهذا المعنى الثاني في الترجمة اليونانية السبعينية (٧ مرات) كما يرد في متى (١٧/١٨). يشدد مر على قلة إيمان هؤلاء الأشخاص وعلى متابعة يسوع طريقه إلى بيت يائيرس، ويؤكد صحة قول يسوع بأن الابنة «لم تمت، وإنما هي نائمة» (آ ٣٩). هكذا يترك الإنجيلي قارئه يشكك في أمر الموت أو السبات الذي يشبه الرقاد، ويقلل من أهمية المعجزة<sup>(٧)</sup>. يبعد مر عمداً المجتمعين من حضرة يسوع ويترك الأهل والتلاميذ الثلاثة المميزين ليشهدوا المعجزة. يلفظ يسوع بعد ذلك عبارة بالأرامية (طليتا قوم) مع ترجمتها اليونانية (To korasion egeire) أي «يا صبية قومي» (آ ٤١). يستخدم الإنجيلي الفعلين المصطلحين للتعبير عن القيامة، كأنه يستعمل عبارة ليتورجية مميزة محفوظة في لغتها الأصلية مع ترجمتها الحالية. ثم يروي لنا مرقس في (آ ٤١) أن يسوع أخذ يد الصبية. لا يدل هذا العمل «أخذ يدها» على اللمسة البسيطة كما كان يفعل يسوع حين يجري شفاء لأحد الأشخاص فحسب، بل يدل على تدخل يد الله القوية في عمل الله الخلاصي من أجل شعبه: «أنا الرب إلهك أخذ يمينك قائلاً لك: «لا تخف فأنا أنصرك» (أش ٤١/١٣)<sup>(٨)</sup>. ويزيد كاتب آخر: «تعظم جميع تدخلات «يد» يسوع القوة الإلهية التي تعمل من خلال أعماله الإنسانية. كما أن ملازمة يسوع المادية للذين يسعى في خلاصهم تجعل لقاءه أكثر ارتباطاً بهم وواقعية، لأنه لقاء محيي مع الكلمة المتجسد»<sup>(٩)</sup>.

يُبان لنا أن مرقس شاء أن تكون روايته مبهمة. أجل، يترك مرقس قارئه في ريبة، من جهة، حول انفعال الصبية وشعورها، ويوضح روايته من جهة ثانية بحادثة المنزوفة التي تشبه المثل. إنه من الصعب علينا أن نعرف إذا كان هذا الرقاد حقيقة، أو إذا كان استعارة عن الموت. يقول بوتان: «يُفهم طابع المعجزة المبهم على ضوء مسلك يسوع في حياته،

(٧) راجع V. K. ROBBINS المرجع نفسه، حيث يشدد الكاتب على أن مرض الصبية كان مدعاة لمجيء «العروس» ودخوله إلى «خدرها».

(٨) J. POTIN المرجع نفسه، ص. / ٣٢ /.

E. CORNIL, Le Mystère des gestes du Seigneur, dans Assemblées du Seigneur I, (٩) n. 78, p. 82

فهو الذي أراد أن يظهر كالمسيح، وبالوقت نفسه أن يخفي مكانته المسيحانية»<sup>(١٠)</sup>. يفرض النص المرقسي علينا احترام هذا الغموض الذي يجعلنا نفكر برواية قديمة لحادثة شفاء أخذت بعدئذ تلمح بطريقة ضعيفة إلى القيامة. كما أن هذا الغموض أو هذا «السّرّ المسيحاني» يدفعنا إلى اعتبار هذا النص رواية حققتها الجماعة المسيحية الأولى! غير أننا نشدد بقولنا، مهما كانت الاعتبارات وتعددت الأسباب، أن التعليم العقائدي الواضح يقف في وجه التاريخ. «لا يظهر عمل ابن الإنسان وصورته واضحين إلا بعد قيامة المسيح من بين الأموات. وهكذا «تمثل معجزة إحياء ابنة يائيرس باكورة هذا الانتصار»<sup>(١١)</sup>.

يعلّمنا مر من خلال هذا النص أن يسوع له القدرة على الموت كما على جميع أشكال الرقاد والموت. كذلك استخدمت الجماعة المسيحية الرواية في تعليمها وكرازتها لتصل إلى هدفين. يتعلّق الهدف الأول، وهو الأكثر وضوحاً، بالتعليم عن قيامة الأجساد. لم يعد للموت سلطان على المسيحي المرتبط بالناهض من بين الأموات. بل أصبح رقاداً يوقظه المسيح ويتشله منه ليعيده إلى الحياة<sup>(١٢)</sup>. لقد رقد الجميع في المسيح (١ قور ١٥/١٨)، وهو الذي سيوقظهم. وهذا ما تفوه به يسوع عندما قال في إنجيل يوحنا: «إنّ صديقنا لعازر راقد، ولكنني ذاهب لأوقظه» (١١/١١). غير أنّ هذه القيامة، هذا العمل الخلاصي، محفوظة للمؤمنين. يستبين ذلك من حضور يائيرس وامراته والتلاميذ الثلاثة فقط في «غرفة» الصبية. لقد كافأ يسوع إيمانهم بالقيامة. أمّا لغير المؤمنين الممثلين بالخدّام وبالأشخاص الباكين، فلم يكن هذا العمل إلا موضوعاً للدهشة (آ ٤٢).

يدفعنا كل ما تقدّم إلى القول بأنّ هذه الرواية قد استخدمت في مجال التعليم المسيحي الذي يساعد الموعوظ على تقبّل سرّ العماد. يقول بوتان: «يقوم المسيحي بالعماد من رقاد الموت الذي دخل فيه، ويؤمن بأنّ روح الربّ سيعيد الحياة إلى جسده المائت في اليوم الأخير»<sup>(١٣)</sup>. ونجدنا قرييين من الفكرة المعبر عنها في رسالة بولس إلى أفسس حيث نتعرف إلى شهادة نص نشيد عمادي: «تنبّه أيها النائم، وقم من بين الأموات، يُضئ لك المسيح» (أف ٥/١٤). يعلّق بوتان على النص البولسي بقوله: «نجد في هذه الآية (أف

(١٠) J. POTIN المرجع نفسه، ص. /٣٣/.

(١١) J. POTIN المرجع نفسه، ص. /٣٣/.

(١٢) راجع J. POTIN المرجع نفسه، ص. /٣٢/.

(١٣) راجع J. POTIN المرجع نفسه، ص. /٣١-٣٢/.

١٤ / ٥) العبارتين المستعملتين في نصنا (مرقس): استيقظ (Egeirein) وقام (Anistanai). يُستعمل الفعل الأول في الاناجيل ليدلّ على الشفاء (متى ٨ / ١٥)، لأننا نرى فيه نوعاً من الاستباق لقيامه المسيحي، مع أنه يدلّ على القيامة بحد ذاتها. ويُستخدم الثاني ليدلّ مثلاً على قيامة لعازر (يو ١١ / ٢٣-٢٤) أو على قيامة يسوع<sup>(١٤)</sup>.

يشدّد مر على موضوع الاستيقاظ أو الوقوف على القدمين، بينما يتطرق إلى موضوع الاستنارة بطريقة ثانوية في اسم الصبية. يعني إسم يائيرس «الله نوري»، وهكذا تصبح إبنة يائيرس، إبنة «الله نوري». من جهة ثانية، ينوّه الطعام الذي يلي القيامة إلى ليتورجية العماد التي تلي العشاء الذي تشارك فيه الجماعة المعمّدة حديثاً (راجع رسل ١٦ / ٢٩-٣٤). نلاحظ أيضاً أن الحياة التي أعطهاها المسيح تفترض الإيمان، إيماناً شخصياً على مثال المنزوفة، وإيماناً جماعياً على مثال أهل الصبية. يشير هذا النص بدون شك إلى شهادة قديمة عن بعض العادات في الجماعات المسيحية الأولى في منح العماد إلى الصغار عند طلب الأهل<sup>(١٥)</sup>.

## ب - عند لوقا

يزيل لوقا بطريقته الخاصة الغموض الذي طغا على النص المرقسي. ويصف الصبية بأنها «قد أشرفت على الموت» عندما جاء والدها ليتكلّم مع يسوع بشأن شفائها (٨ / ٤٢). سمع يسوع كلام المرسل من قبل بيت رئيس المجمع أن «الموت قام بعمله». يستعمل لوقا، على خلاف مرقس، الفعل Apethnêskên بصيغة الماضي التي تدلّ على طابع الموت الذي حصل (آ ٤٩). كذلك يعد يسوع يائيرس بقوله «ستخلص» (آ ٥٠). عبارة لم يذكرها مر في الجزء الأول من نصه. يأخذ الفعل اليوناني «خلص» Sôzô عموماً عند الإزائين، كما هو واضح في نصنا، معنى قوياً ويدلّ على «التحرير من خطر مميت، وعلى النجاة وعلى الشفاء وعلى التجديد الروحي». يصل يسوع إلى البيت ولا يرى أشخاصاً «يكون» فحسب كما جاء عند مر، بل يشدّد لوقا على أن «جميع» (آ ٥٢) الحاضرين كانوا يكونون وينوون عليها «لعلمهم بأنها ماتت» (آ ٥٣). يتفوّه يسوع بكلمة الإيقاظ من النوم Egeire مشروكة بلمس اليد، ويزيد لو «فردّت الروح إليها» (آ ٥٥) مستوحياً هذه

(١٤) J. POTIN المرجع نفسه، ص. / ٣٢ / .

(١٥) راجع J. P. CHARLIER المرجع نفسه، ص. / ٨٣ / .

الملاحظة من رواية المعجزة التي أجراها إيليا لابن أرملة صرفت: «فسمع الرب لصوت إيليا وعادت روح الولد إلى جوفه وعاد إلى الحياة» ( ١ مل ١٧/٢٢).

نلاحظ أن الإنجيلي الثالث بالزيادات والتشديدات التي أدخلها على مر يسرد لنا وقائع معجزة قيامة حقيقية. ويتخذ تعليمه وقعا أكبر على القارئ مع أنه بقي في خط سابقه. يستعمل لو طابعا خاصا به يساعد قارئه في اتجاه معين وهو أن الصبية كانت «ابنة وحيدة» Monogênês (آ ٤٢)، مما زاد في ألم أبيها (راجع أيضا لو ٧/١٢؛ ٩/٣٨). يقول الاستاذ توما فديريشي: «نجد التشديد على فكرة «الوحيد» في إنجيل ابن أرملة نائين (آ ١٢) وكذلك ابنة يائيرس (لو ٨/٢٢)، وأيضا لعازر أخ وحيد لمرتا ومريم. وتقابل هذه الصفة الابن الوحيد لله، الذي يجابه موته الاختياري، ويسير نحوه بعد أن أهمله الأب بمحبته الفائقة الوصف نحو «أولاد آخرين» ذاهبين نحو الموت»<sup>(١٦)</sup>. نشعر أن إنجيلي الحنان يشدد على أحد مواضيعه المفضلة، الجواب على الإيمان، ذلك الجواب المتعلق «بطيبة المخلص» وبوادعته.

### ج - عند متى

نزول جميع الشكوك مع قراءة الإنجيل الأول، فالصبية قد «انتهت» Eteleutêsen أي قد «ماتت» عندما وصل أبوها إلى يسوع (١٨/٩) وسجد له. يتخذ إيمان هذا الوجيه، الذي لم يعد يُدعى «رئيس المجمع» كما عند مر ولو، رونقا أكثر جلاء. يلقي متى منذ بداية هذا النص أضواءه على إيمان هذا الرجل الذي أتى إلى يسوع طالباً إحياء إبنته. لا داع إذا للكلام عن هذا الإيمان الواضح الذي يفوق إيمان قائد المئة (راجع متى ١٠/٨). يلغى متى بالتالي مجيء المرسلين من قبل أبي الصبية، ويشدد على دور الباكين والزمارين ليدلّ على حقيقة الموت (آ ٢٣). لا يهتم متى كثيراً بانتقاء الشهود للمعجزة، فكأن يسوع يدخل وحده مخدع الصبية ويأخذ يدها، فتقوم êgerthê للحال. وخلافاً لما فعل مر ولو مشددين على السرّ المسيحاني، لا يذكر متى النهي عن نشر الخبر: «وذاع الخبر في تلك الأرض كلها» (آ ٢٦). يدفعنا ذلك إلى القول إن سرّ شخص يسوع يحتلّ

T. FEDERICI, Resuscito' Cristo, Palermo 1996, p. 651. (١٦)

المركز الاول لطابع القدرة والسريّة عند مر، «بينما يضع متى شخص الأب في المقدمة» (١٧).

لقد أعطانا متى طريقة عموميّة للتعليم تصلح لكل مسيحي، بعد أن جرّد الرواية تماماً من شخصيتها. فلم نعد نعرف اسم الوجيه ولا عمر الصبية ولا نجد شهوداً للمعجزة. نلاحظ كذلك أن متى استخدم الفعل اليونانيّ «سجد» *proskuneô* الذي يدل على فعل «العبادة»، بينما مر ولو استعمالاً فعل «ارتقى على القدمين» *piptô pros tas podas*. يقول بوتان: «نستطيع أن نعطي في هذا الإطار، كما في مواضع أخرى من مت (٢/٢) و ٨ و ١١؛ ٩/٤-١٠؛ ٩/٢٨ و ١٧ معنى «العبادة» القوي لعمل الأب الذي قام به نحو يسوع عندما سجد له» (١٨). يصبح الإيمان لقاءً شخصياً مع المسيح الناهض من بين الأموات الذي وضع فيه الأب ثقته التامة منذ البداية. يقبل هذا الإيمان، حتى أمام قدرة الموت، المسيح قادراً على جعل الإنسان أن يعبر من الموت الذي يشبه الرقاد إلى الحياة. العالم كله مدعو إلى معرفة هذا الحدث. هذا ما دفع متى إلى بناء نص كتابي في قالب مختصر جداً يساعد على إعطاء الجواب لكنيسة محتاجة تجاه تحديات معاصرة.

### ٣ - خاتمة

إنه من الصعب جداً، من الوجهة التاريخية، أن نتخيّل أن رواية «قيامة» قد تتحوّل منذ بداية التقليد الإنجيلي إلى حادثة شفاء بسيط. ربّما تصحّ الطريقة العكسيّة، أي أن نمرّ من معجزة شفاء إلى إحياء. نستند بذلك إلى حرية الإنجيليين الذين يكادسون المواد التي استقوها من التقاليد القديمة التي بلغت إليهم ليوصلوا تعاليمهم إلى القراء. وهذا مثل واضح على التصرف بهذه المواد. لا يستطيع قارئ اليوم، من جهة ثانية، إذا ما تساءل عن حقيقة هذه المعجزة أن يغفل النظرة الكتابية التي تبقى نظرة دينية بحثة تتخذ اتجاهها نحو تعليم الإيمان في إطار «العماد» المسيحي. تمثّل إبنة يائيرس ذلك «الموعوظ» الذي مات بالخطيئة، ولكنّه سيدخل حياة جديدة بفضل يسوع المسيح. كانت خطيئته ممثلة بالنوم والرقاد، ولكنه استيقظ الآن وأصبح أهلاً للاشتراك بالمائدة الإفخارستية.

(١٧) J. POTIN المرجع نفسه، ص. /٣٤/.

(١٨) J. POTIN المرجع نفسه، ص. /٣٤/.

١ - تمهيد

يشهد لو باهتمام خاص بالقيامة<sup>(١٩)</sup>، إذ إنه يقدم لقرائه المسيحيين المتحدّرين من الديانة اليونانية عمله اللاهوتي الذي كتبه لهم من خلال شخص تاوفيلوس. أجل، إنه الإنجيلي الوحيد الذي نقل إلينا حادثتين عن القيامة، كما إنه أعطانا معجزتين أخريين، كما سبق ونوهنا بهما، في سفر أعمال الرسل.

ينفرد لو في إنجيله بنقل بعض الأقوال عن القيامة Anastasis. يرد القول الأول، الخاص به، في نصيحة لصاحب الدعوة عندما يكتب: «... فتكافأ في قيامة الأبرار» (١٤/١٤). كما نجد قولاً ثانياً في جداله مع الصدوقيين (٢٠/٢٧-٤٠) وقد أخذ هذا القول شكلاً أكثر صراحة من عند متى ومر (متى ٢٢/٢٣-٣٣؛ مر ١٢/١٨-٢٧). لا يكون الناهضون من بين الأموات «مثل ملائكة في السماء» (متى ومر) فحسب، بل هم «أمثال الملائكة وأبناء الله لكونهم أبناء القيامة» (لو ٢٠/٣٦). يغدو كذلك لو الإنجيلي الوحيد الذي ينقل إلينا مثل «لعازر والغني» (١٦/١٩-٣١) الذي يتكلّم فيه أيضاً عن القيامة.

ويتضح لنا أن الإنجيلي الثالث توسّع أكثر من متى ومر في لاهوت القيامة نظراً إلى كنيسته اليونانية، كما يبدو لنا منذ الآن أن إدراج رواية ابن أرملة نائين في إنجيله يعود إلى نية دفاعية. تحمل هذه الرواية أيضاً في إنجيل لوقا طابعاً توفيقياً، فهي تمهد لما يقوله يسوع رداً على تلاميذ يوحنا (لو ٧/٢٢). يقول بول ترنان: «يجيب يسوع إلى السؤال تلميذي يوحنا بوصفه المعجزات التي يقوم بها وتبشير «الفقراء»، ويستخدم عبارات مستوحاة من كتاب أشعيا (٢٦/١٩؛ ٢٩/١٨-١٩؛ ٣٥/٥-٦؛ ٨؛ ٦١/١): لم يحن الوقت بعد إلى معجزات غضب المسيح التي كان يوحنا ينتظرها. إنها ساعة المسيح صانع المعجزات والمبشّر الحنون الذي يتكلّم عنه أشعيا» (٢٠).

(١٩) P. TERNANT. La Résurrection du fils de la veuve de Nain, dans Assemblées du راجع

Seigneur I, n. 69, p. 30.

(٢٠) P. TERNANT. المرجع نفسه، ص. /٣٤/.

## ٢ - الإطار

أشار الإنجيل الثالث منذ بداية رسالة يسوع إلى الكثير من المعجزات التي جرت على يده. هناك التقسيمات وطرد الأرواح الشيطانية (٤/٣١-٣٧ و ٣٨-٣٩ و ٤٠-٤١)، وإبراء أبرص (٥/١٢-١٤)، وشفاء مقعد (٥/١٧-٢٦) ورجل يده يابسة يوم السبت (٦/١١-٦/١٠) وعبد قائد المئة (٧/١-١٠).

كما حفظ لنا التقليد من جهة ثانية حادثة المرسلين من قبل يوحنا المعمدان والحريصين على التعرف إلى يسوع. فأدرج لو هنا هذه الحادثة (لو ٧/١٨-٢٣) واستعمل العبارات نفسها الواردة في متى فشعر وكأنه مجبرٌ على إدراج بعض الألفية التي قام بها يسوع وخصوصاً للعميان أمام أعين تلاميذ يوحنا (٧/٢١). ثم يعطي برهاناً قاطعاً عن مسيحانية يسوع الذي يحقق جميع النبوءات ويختصرها بقوله: «العميان يبصرون، العرج يمشون مشياً سوياً، البرص يبرأون والصم يسمعون، الموتى يقومون، الفقراء يبشرون» (٧/٢٢). غير أن معجزة هامة تنقص، وقد تكون الأهم بين هذه المعجزات، إلا وهي معجزة القيامة. يستوحي لو جوابه عن موضوع قيامة الموتى من نبوءة أشعيا: «ستحيا موتك وتقوم جثثهم. إستيقظوا وهللوا يا سكان التراب» (٢٦/١٩).

يعرف الإنجيلي رواية إحياء ابنة يائيرس وسيستعمل بعض معطياتها. ولكن التقليد الذي وصله، كما سبق ورأينا، غلّف هذه الرواية بالسرية وحذّر بالكلام عنها (راجع مر ٥/٤٣ // لو ٨/٥٤). أراد لو، من جهته، أن يُدرج هذه القيامة في هذا الموضوع من إنجيله قبل وصول تلاميذ يوحنا لينتشر خبرها «في اليهودية كلها وفي جميع النواحي المجاورة» (لو ٧/١٧)، أي في المنطقة التي سُجن فيها يوحنا وحيث يكثر تلاميذه. بالإضافة إلى ذلك، لا يهتم لو بأن تكون هذه المعجزة قد جرت في بقعة صغيرة غير معروفة في منطقة الجليل الذي تنتمي إليه نائين ومعناها «لطيف أو محبوب». تظهر إذاً نية لوقا الدفاعية من خلال هذه الرواية القصيرة في إعطاء جواب لتلاميذ المعمدان ولتلاميذ الجماعات المسيحية.

## ٣ - الرواية بحد ذاتها

آية ١١-١٢: نلاحظ أن لو يشدّد منذ البدء على سرعة الإعلام وقدرته مستخدماً عبارة «الجمع الكثير» Ochlos polus الذي يصطحب من جهة يسوع وتلاميذه، ومن جهة

ثانية الأرملة والموكب الجنائزي. يشير هذا التشديد إلى حالة العائلة المأساوية، والظرف والمكان اللذين تتم فيهما المعجزة. وهذه ميزة أدبية من ميزات لو: فالابن وحيد، والأم أرملة، والمدينة غير معروفة. لا شك أن في خلفيّة هذه الرواية إشارة إلى معجزتي القيامة اللتين جرتا على أيدي إيليا وأليشع (١ مل ١٧/١٧-٢٤؛ ٢ مل ٤/١٨-٣٧). لقد وجد الإنجيلي بعض مواد روايته في معجزة إيليا، فالإمرأة أرملة لها ابن وحيد، وتجري أحداث المعجزة الثانية في قرية شوئم القريبة من نائين. كذلك يشير «باب المدينة» إلى إطار معجزة إيليا (١ مل ١٧/١٠) (٢١).

آية ١٣: يطلق لو، ولأول مرة في الإنجيل، على يسوع لقبه الفصحى «الربّ» ho Kurios في مقاطع روايته القصصية. يدلّ بذلك على «ملك يسوع الخفي» كما أنه يشير إلى لاهوت لو الخاص به بأن الربّ القائم من بين الأموات له وحده القدرة على الموت. ويستعمل لو عبارة «أشفق عليها» ليصف أحاسيس يسوع، وهي اللفظة التي نجدها في مثلي السامري الرحيم (٣٣/١٠) وأب الابن الشاطر (٢٠/١٥). يظهر الربّ يسوع «كأداة» الحنان الإلهي (راجع لو ١٤/٢) حاملاً الخلاص الموعود «لكل بشر» (لو ٦/٣). يقول يسوع للأرملة «لا تبكي»، كما قال ذلك لياثيرس بخصوص ابنته (٥٨/٨). «يُميّز هذا التشديد - حسب رأي الاستاذ فديريشي - حدث التجلّي الإلهي: لا تخافوا، لا تبكوا. إنه عمانوئيل، الذي يمسح الدموع من أعين الحزاني، ويزيل الموت إلى الأبد (راجع أش ٨/٢٥ الوعد؛ رؤ ٧/١٧؛ ٢٤/٢١؛ متى ٥/٥؛ لو ٦/٢١ تحقيق الوعد)» (٢٢). يكتمل هذا الخلاص بقيامة الأموات الممثلة بهذه المعجزة.

آية ١٤: نجد العبارات نفسها الواردة في معجزة ابنة يائيرس مع التغيير في الجنس والعدد، دون أن يصبح الموت مشابهاً للنوم. غير أن هناك فرقاً هاماً في الأمر الذي أعطاه يسوع. يقول يسوع «قومي» Egeire لابنة يائيرس مستعملاً الفعل في «صيغة المعلوم» (actif)، بينما يستعمل هنا «قم» Egerthêti في «صيغة المجهول» (passif). تُستعمل صيغة المجهول لتعبّر عن عمل الله الذي يتحاشى اليهودي ذكر اسمه.

F. GILS, Jésus prophète d'après les Evangiles Synoptiques, Louvain 1957, p. 26; aussi (٢١)

T. FEDERICI, Ibidem.

(٢٢) T. FEDERICI المرجع نفسه، ص. ٦٥١/.

آية ١٥: يقول النص «جلس» Anekathisen الميت كما فعلت طابيثة التي أقامها بطرس (رسل ٤٠/٩). يُستعمل هذا الفعل مرتين في العهد الجديد فقط، وقد ينتمي إلى اللغة الطبيّة. يشدّد لو من خلال العبارة «وأخذ يتكلّم» على أن الذي عاد إلى الحياة يعطي «شهادة» لما حصل له. يكتمل هكذا الإعلام في الداخل من خلال شهادة ذلك الذي حصلت له المعجزة، وفي الخارج من خلال شهادة الاشخاص في «موكبي» يسوع والأرملة. كما يشير الإنجيلي في خاتمة الآية «وسلّمه إلى أمه» إلى معجزة إيليا، ويستعمل العبارات اليونانية نفسها الواردة في العهد القديم (١ مل ١٧/٢٣؛ راجع لو ٤٢/٩)(٢٣).

آية ١٦: تتألف هذه الآية من أفكار هامة في الإنجيل الثالث «تمجيد الله» و«افتقاد الله لشعبه». يضيف الأب ترنان: «يشير الجزء الثالث (١٦-١٧) إلى أهمية المعجزة. لم يكتب يسوع بمسح دموع الأم الكئيبة، بل جعل الشهود يدركون أن نبياً عظيماً قام بينهم وأن حنانه متأت من حنان الله. أجل، لقد «افتقد» الله شعبه كله»(٢٤).

يبدو لنا أننا لو توسّع من خلال النص في هذه الأفكار الأساسية بعد أن قدّم لنا الاسباب الدفاعية في بداية الرواية وأدرجها في سياق بشارته. يغدو يسوع أولاً نبياً في خط إيليا وأليشاع: إنه إيليا «الحيّ» الذي كان ينتظره اسرائيل في إطلالة العصر المسيحي(٢٥). كما يبيّن لنا من جهة ثانية أن لو فكّر بيسوع نبياً على مثال موسى جديد، أي المخلّص المسيحاني الذي يظهر في آخر الأزمنة، هذا النبي «المقتدر على العمل والقول» الذي فكّر به تلميذا عماوس (لو ١٩/٢٤). لقد حقّق يسوع في شخصه صورة إيليا وصورة موسى، ولكنه تخطّى في الوقت نفسه هذين المثالين. «إنه عبد يهوه»، ذلك النبي الغامض الذي يخلص شعبه وشعوب الأرض كلّها من خلال بشارته وحنانه (لو ١٨/٤-١٩) وموته الفادي (١٨/٣١-٣٣). هذا ما أراده يسوع من تلاميذه أن يفهموه.

(٢٣) الكتاب المقدس، العهد الجديد، دار المشرق بيروت ١٩٨٩، ص/٢١٤، حاشية (١٢) وأيضاً راجع R. KARRIS, The Gospel according to Luke, in: The New Jerome Biblical Commentary, Englewood Cliffs 1990, p. 696.

(٢٤) P. TERNANT المرجع نفسه، ص. /٣٦/.

(٢٥) راجع المعجزات في الإنجيل، دار المشرق، دراسات في الكتاب المقدس ٣، بيروت ١٩٨٦، ص. /٥٤-٤٤/.

غير أنهم لا يدركون فكرة العبد المتألم ومحَبته للعالم إلا من خلال الضوء الفصحي عندما يرون فيه «الرب» (٢٦).

يستحقّ يسوع، بعد أن أجرى معجزة القيامة، أن يُلقب هو أيضاً بلقب «الرب»، إله العهد القديم. كذلك ينال يسوع لقب «سيد الحياة» (رسل ٣/١٥) لأنه أصبح «المكان» اللاهوتي لافتقاد الله الخلاصي لشعبه، هذا الافتقاد الذي انتظره الأنبياء جميعهم وبشروا به، وراح يتحقق مع رسالة يوحنا المعمدان (لو ١/٦٨ و ٧٨). تصبح معجزة إحياء ميت، التي تعتبر عملاً خارقاً منذ إيليا وأليشع، علامة فعّالة لافتقاد الله الدال على عمل نعمته (صف ٢/٧؛ إر ٢٩/١٠؛ زك ٣/١٠). لقد وعى الشعب هذه العطية واعترف بها بحماس في نائين وفي جميع نواحي فلسطين. يبدو هذا الخوف الذي استحوذ على الجمع مدعاة إلى الإقرار بعمق السر الإلهي المتجلّي، وإلى تمجيد الله الذي أقام نبياً بينهم وافقدهم. يدفعا هذا التفكير لأن نقول بأن هذه الرواية تصلح لأن تكون «قراءة جديدة» (relecture) مسيحية لبعض صفحات العهد القديم، كما أنها لا تخلو من رمزية إضافية تترأى وراء العبارات والاستعارات اللوقاوية.

#### ٤ - معنى المعجزة المستتر

لا بدّ من أن الخواطر التي تطرقنا إليها في تفسير هذا النص الكتابي أساسية في تفكير الإنجيلي غير أننا لا نستطيع أن نُبعد تفسيراً رمزياً نستخلصه من تلك المعطيات الإنجيلية. هناك عدة ملاحظات تشير إلى هذا التفسير.

٤ ، ١ نستخلص أول ملاحظة من وضع أم الشاب بأنها «أرملة» (Chêra). نعرف من العهد القديم أن «الترمل» يحمل في طبيّاته قيمة رمزية. كانت يهوديت «أرملة» (يه ٨/٢-٤). اختار المؤلف هذا الاسم لأنه يعني «اليهودية»، وهي تجسّد بحق الأمة. كذلك، ابنة صهيون العذراء التي تجسّد الشعب أصبحت أرملة (مرا ١/١) لأن أولادها قد هجروها ومجدّ الربّ قد تركها أي إن حضوره اختفى من الهيكل (مرا ١/٦). ويشبّه باروك أورشليم بـ «الأرملة» (٤/١٢ و ١٦).

(٢٦) P. TERNANT المرجع نفسه، ص، ٣٨-٣٩/.

٤ ، ٢ تشير الملاحظة الثانية إلى «الابن الوحيد» (Monogenès Uios). يستعمل لو هذه العبارة ثلاث مرات في كلامه عن ابنة يائيرس (٤٢/٨) وعن الابن المصاب بالصرع (٣٨/٩) وابن الأرملة (نائين) في نصنا. تدلّ دائماً عبارة «الابن الوحيد»، إذا وضعنا جانباً هذا الاستعمال في لو، على يسوع (يو ١٤/١ و ١٨؛ ١٦/٣ و ١٨؛ ١ يو ٩/٤). كما أننا نعلم أن هذه العبارة تماثل عبارة «الابن الحبيب» التي تعود في إنجيل لو أيضاً مع المسيح مباشرة (٣/٢٢؛ ٩/٣٥) أو عرضاً (١٣/٢٠).

٤ ، ٣ يشير النص مباشرة إلى «الله» (Ho Theo) حين أعطى يسوع الأمر بصيغة المجهول إلى الميت، وحين أعلن لو في خاتمة المعجزة أن «الله افتقد شعبه».

تساعدنا هذه الملاحظات على وجود معنى رمزي. قد نفكر إذاً بابنة صهيون، أو耶رشلليم، التي خسرت ابنتها الوحيد، المسيح، الذي مات والتفّ حوله جمع غفير «على باب المدينة» (راجع عب ١٣/١٢). تخسر ابنة صهيون مع موت المسيح، وبالوقت نفسه، مجد الله الذي سكن فيها. تصبح إذاً أرملة عندما تخسر ابنها. هذا ما استدعي رحمة الله وحنانه لينهض من الموت الابن الحبيب ويعيده إلى أمه. يستعمل لو مصدر الفعل نفسه في (٧/١٣ و ١/٧٨) (Splanchna) أي «الاحشاء» ليدل على الرأفة والحنان.

نجد هنا بطريقة مستترة اكتمال دراما الجلجلة وتحقيق الكتب المقدسة في سرّ الخلاص ولاهوت الآلام والقيامة المعبرّ عنهما بطريقة مصغّرة في هذه الرواية التي تتخذ طابعاً تقليدياً. ونشارك الأب ترنان رأيه: «تعرف الآن الكنيسة، شعب الله الجديد، أن النبيّ الجليلي العظيم كان «العبد» الذي حرّر العالم من خطاياه. كما أنها تعلم أن «الافتقاد» الإلهي الأسمى حصل بالعمل الفدائي الذي قام به ابن الله المتجسد، وأنّ هذا الافتقاد مستمرّ إلى المجيء الثاني من خلال عمل الربّ المحيي والناهض من بين الأموات. يتجلّى هذا العمل بنوع خاص في سرّ الافخارستيا الذي يعطيناه الربّ بفعاليّة موته» (٢٧). ونتساءل: أليست هذه نيّة الإنجيلي الثالث من خلال سرده هذه القصة؟

P. TERNANT (٢٧) المرجع نفسه، ص، /٤٠/. راجع جان عزام، «المسيح في إنجيل لوقا»، في L. SABOURIN. La الأنجيل الإزائية، دراسات بيبليّة/٤، ١٩٩٣، ص ٢١٩-٢٣٧/ وأيضاً Christologie à partir de textes clés. 1986, pp. 75-86.

## ١ - اعتبارات

يبدو نص رواية إحياء لعازر خالياً من أية قاعدة تاريخية، إذ تكثر فيه الأشياء المستبعد حدوثها<sup>(٢٨)</sup>. يجبرنا ذلك على التشديد على أن الكاتب توخى في نقله هذه الرواية تقديم نص له هدف تعليمي بحت.

تجري الحادثة في بيت عنيا، قرية قريبة من أورشليم، أمام جمهور عظيم من الشعب يشهدون للمشهد. هذا ما جعل الفريسيين في حالة استياء وقلق، ودفعهم إلى اتخاذ القرار بالحكم على يسوع بالموت لأنه تعدى صلاحياته وبالغ هذه المرة بها. يشبه إحياء لعازر نقطة الماء التي جعلت الوعاء فيفيض. كيف إذاً، بعد أن عرف جميع أهالي أورشليم بخبر هذه المعجزة، صممت عنها الأنجيل الإزائية الثلاثة؟

لا ننسى أن لعازر كان بعد قيامته في مأدبة عشاء مع يسوع (يو ١٢/١-٩) حيث قرر رؤساء الكهنة أن يقتلوه أيضاً (آ ١٠). نتعرض لسؤال آخر: ما هي أهمية إحيائه إذا كان سيؤول هذا الإحياء إلى موته من جديد وربما في حالات أكثر تعاسة من ذي قبل؟

نلاحظ أيضاً أن لعازر الذي قام من بين الأموات يحمل الاسم نفسه في المثل الذي يقدمه لو عن «الغني والرجل الفقير» (١٦/١٩-٣١). لا قيمة بأن يُرسل لعازر من جديد إلى هذه الدنيا ليُقنع الآخرين كما أراد الغني (١٦/٣١)! نساءل إذاً: لماذا لا يستطيع يوحنا أن يستعمل مثل لعازر حسب طريقته الخاصة والشخصية؟<sup>(٢٩)</sup>.

يقترح علينا الأسلوب الذي يكتب فيه يوحنا أننا بإزاء نصٍّ مسرحيٍّ. قد نشبه هذا الأسلوب برواية القصص الخيالية: «كان في ذلك الزمان . . .». يكفي أن نضع بطريقة إزائية يو ١١/١ ومقطع مثل السامري الرحيم في لو ١٠/٣٠ ليكون ذلك مقنعاً.

(٢٨) B. VAWTER, II Vangelo secondo Giovanni, in: Grande Commentario Biblico, راجع، Brescia 1973, p. 1410.

(٢٩) P. PERKINS, The Gospel according to John, in: The New Jerome Biblical Commentary, Englewood Cliffs 1990, p. 969-970.

يجرّنا كل ما سبق إلى وضع الحدث التاريخي جانباً، وإلى أن نسعى لتفسير رمزي يتماشى مع تعليم الإنجيل الرابع<sup>(٣٠)</sup>. سنتطرق لبعض الملاحظات العامة التي تساعدنا على دراسة هذا النص الكتابي.

## ٢ - نظرة عامة إلى النص

أعطى البعض عنواناً لهذه الصفحة الجميلة الإنجيليّة: «قصة لعازر الذي من بيت عنيا». لقد سبق وقلنا إن هدف هذا النصّ تعليمي، وإنّه مرتبط بنص مثل «الرجل الفقير» اللوقاني. يدعوننا ذلك إلى إيجاد معنى خاص بأسماء العلم. نحصل بالتالي على نص بعنوان: «قصة الله - الذي - يعين (لعازر) في بيت - الذلّ (بيت عنيا)». يشير هذا العنوان المفسّر إلى موضوع النص العام الذي يتناوله يوحنا ليشرح لقرّائه كيف يتصرف الله من خلال رحمته نحو المتواضعين والتائبين إليه.

نص الرواية طويل ومبهم، غير أنّ بعض الشراح يضعون له هذه الهيكلية المختصرة:

أ - «يا رب، إنّ الذي تحبّه مريض. تعال» (آ ١-٥)

ب - أجل، هناك وقت للتحضير (موضوع الحجر: سيرجمونك!) (آ ٦-١٠)

ج - تعليم صعب عن الموت / الرقاد (آ ١١-١٧)

د - مات لعازر ليقوم ويحيا (آ ١٨-٢٥)

هـ - اعتراف إيماني عظيم (آ ٢٦-٢٧)

د د - تتوجه مريم نحو يسوع: إيمان عملي (آ ٢٨-٣٢)

ج ج - يبكي يسوع ويرتعش: سيعطي الحياة «حياته» (آ ٣٣-٣٨ أ)

ب ب - لعازر حاضر للحياة مع عصائه (موضوع الحجر: إرفعوا الحجر!)

(ب ٣٨ - ٤٤)

أ أ - يدفع يسوع من حياته تلقاء حياة لعازر: إيمان كثير من اليهود (٤٥-٥٣) (٣١).

(٣٠) F. F. BRUCE, THE GOSPEL OF JOHN, GR 1983, in loco راجع

(٣١) راجع J. P. CHARLIER المرجع نفسه.

تشدد هذه الهيكلية على الدور المركزي والحاسم للإيمان (هـ) الذي يسمح وحده بالعبور من الموت (ا - د) إلى الحياة (أ - د د). لا ينقص هذا التساؤل الإيماني من أهميته ومن تبسيطه. قد يذكرنا ذلك بالنصوص الليتورجية التي تبسط الجواب على قانون الإيمان حسب المثال التالي: «أنا (فلان) أو من بأن يسوع هو المسيح ابن الله الذي أتى إلى العالم». هذا ما تنتظره الجماعة المسيحية من الموعوظ في اعترافه الإيماني قبل أن يقبل العماد ليلة الفصح في نهاية الاسبوع الذي يبدأ من الناحية الأدبية في الإنجيل الرابع (يو ١٢/١) (٣٢).

تكوّن العناصر الروائية من (أ) إلى (د) زمن التحضير الذي يمرّ فيه الموعوظ ليأخذ بوجه العموم التعاليم الإيمانية وخصوصاً تلك التي تنطرق إلى علاقة الخطيئة بالموت، وإلى علاقة الموت بالقيامة. يُطلب من الموعوظ أن يكون حذراً في طلبه العماد الذي يتضمّن صعوبة ومجازفة (ب: موضوع الحجر الذي سيقع عليه). ندخل هنا في إطار الاضطهادات التي ستواجه المؤمن.

يصرّ الجزء الثاني من اللوحة (أ - د د) على موضوع التبادل. لا يستطيع المعتمد أن يتقبّل الحياة إلا من المسيح معطي الحياة. هذا ما يظهر من العلاقة الواضحة التي تجمع بين الأبعاد (أ و أ)، وبين (ب و ب ب)، وبين (ج و ج ج). تبادل إذاً بين أربعة حدود:

(١) يسوع يحيا (٢) لعازر يموت

(٣) لعازر يحيا (٤) يسوع يموت

يتحقّق هذا التفاعل في العماد وبواسطته، هذا التفاعل الذي يجعل من الإنسان المائت يصرّح بوضوح أنه لم يعد هو يحيا بعد ذلك، بل المسيح الذي يحيا فيه (راجع غل ٢/٢٠). يشكّل هذا التبادل مدخلاً للرجاء في الحياة المشتركة التامة مع المسيح والمرجوة بعد هذه الحياة. هذا هو رجاء توما عندما قال: «لنمض نحن أيضاً لنموت معه!» (أ ١٦). سيموت لعازر (١٢/١٠) كما مات المسيح، ويشتركان معاً في مجد الأب الذي يبقى الآن مستتراً في عيني المعتمد.

(٣٢) B. VAWTER المرجع نفسه، ص. /١٤١٠/.

### ٣ - بعض التفاسير الإضافية

٣ ، ١ : يشدّد الإنجيلي على ثياب الميت المؤلفة من عصائب ومنديل والتي لازمت لعازر الخارج من القبر (آ ٤٤). يرمز الثوب في المفهوم البيبلي إلى شخصية الانسان، ويبقى لعازر بالتالي مائتاً خارج القبر. لا ينشل العماد المسيحي من الموت الأخير، ولكنه يميت الانسان عن الخطيئة ويبعده عنها ويدخله إلى حياة نورانية ما زالت وقتية وفانية. بينما نجد بوضوح في قبر المسيح الأكفان موجودة، ولكنها على عكس ذلك تدل على أنّ هذه الثياب قد أهملت إلى الأبد. أجل، المسيح القائم من بين الأموات، حاضر أبداً في حالة لا يستطيع الموت أن يعمل بعد شيئاً.

٣ ، ٢ : نجد مطابقة بين قبر لعازر وقبر المسيح الذي كان محفوراً في الصخرة، حسب التقليد الإزائي، وله باب جانبي مسدود بحجر رحى عظيم من الأمام. ينوّه يوحنا بدوره فيقول إن قبر لعازر كان مغارة صغيرة في منحدر جدار صخري، وكان حجر يسدّ مدخله. يستعمل يو فعل «رفع الحجر» (Arate يو ١١/٣٩؛ ermenon يو ١٠/١) عن قبر لعازر ويسوع معاً. يشير الخروج من القبر حسب التقليد الإزائي إلى لقاء مكانيّ أفقيّ مع أديم الأرض، بينما يشير في الإنجيل الرابع إلى حركة صعودية يشدّد يوحنا على أن الحركة بالنسبة إلى يسوع هي «صعودية» (Anabainô ١٧/٢٠)، بينما يبقى لعازر مشدوداً بثياب الموت وتصبح حركته أرضية: «حلّوه ودعوه يذهب» (١١/٤٤ upagein). ويذكر صعود لعازر خارج القبر صعود المعتمد من حوض العمودية. لقد وعد المعتمد بحياة جديدة «أسمى» يتحضّر لها طوال حياته الأرضية. نفهم من خلال هذا المعنى التناقض بين رائحة «النتانة» الصادرة من قبر لعازر (يو ١١/٣٩)، والطيب الذي يفوح من قبر المسيح (يو ١٢/٣ و٧).

٣ ، ٣ : يلي خروج لعازر من القبر الأوامر التي أعطها يسوع لبعض الناس الذين شاهدوا المعجزة ونقذوها. يسألهم يسوع عن مكان القبر، ويأمرهم برفع الحجر عن مدخل القبر، ويطلب اليهم بحلّ الميت الحيّ. نفهم وساطة الأشخاص الضرورية إذا كانت الرمزية تدل إلى العماد. يعطي يسوع حياته ليعيش منها جميع «من يحبّ» يسوع (يو ٣/١١). تأخذ الكنيسة دور هذه الوساطة الأساسية لتعطي معنى هذه الحياة بالعماد وتنشأها. بينما لا توجد أية وساطة إنسانية ممكنة في قيامة المسيح. يقول سارلييه: «لقد

أزيل الحجر عن القبر وغدت الأكفان ملفوفة بقدرة الله الذي أدخل المسيح مباشرة في حياته المجيدة»<sup>(٣٣)</sup>. يمثّل العماد القيامة ويشرّ بها، ولكنه لا يتمثل معها أبداً.

## ٤ - خاتمة

تختلف هذه النظرة إلى نص يو ١١ عن النظرة التقليدية، لأنها من جهة لا تجبر يسوع بأن يقوم بأعمال قد تكون معاكسة لرسالته، ولأنها من جهة ثانية تقدّم لنا تعليماً غنياً عن العماد وعن الالتزامات الإيمانية التي تصحبه. كذلك تساعدنا هذه الطريقة على الاقتراب من النصوص اليوحناوية وقراءتها بنظرة مزدوجة. تشمل النظرة الأولى، الايجابية، الكلام عن العماد المسيحي، بينما النظرة الثانية، بعكس الأولى، تبعدنا من أن نقارن بين إحياء لعازر وقيامه يسوع المسيح. نكون هكذا قد مررنا من القصة إلى السرّ الذي تحقّق في كلام يسوع: «يأتي ساعة فيها يسمع صوته جميع الذين في القبور فيخرجون منها. أمّا الذين عملوا الصالحات فيقومون للحياة» (يو ٥/٢٨-٢٩).

## نحو آفاق لاهوتية

يتألف مخطط «المعجزة» التقليدي، حسب رأي الباحثة الكنايين، «من تقديم حقيقة الشر ومن إيمان طالب المعجزة أو القريين اليه، ومن تدخل يسوع مباشرة وبفعالية، وبالتالي من ردة الفعل عند الشهود»<sup>(٣٤)</sup>. كما ينجم عن كل ما تقدّم صورتان متجانستان أساسيتان، قدرة يسوع وقدرة الإيمان. لقد خلق الإنجيليون في رواياتهم «إحياء الموتى»، عندما نقارنهم مع مشاهد الأفلام السينمائية، لحظات «ترقّب» (suspense) تقودنا إلى النهاية السعيدة التي تتألق في معطيات كرسولوجية.

يظر المسيح من جهة شخصاً له قدرة غير محدودة. فهو يعيد الميت إلى الحياة لأنه قادر على المستحيل. ينقسم الشهود أمام هذه المعجزات إمّا إلى ساخرين وإمّا إلى أشخاص يندهلون أمام رؤية المستحيل. وتظهر من جهة ثانية هويّة يسوع المسيحانية. لم

(٣٣) راجع J. P. CHARLIER المرجع نفسه، ص. /١٩٠/.

(٣٤) راجع P. TERNANT المرجع نفسه، ص. /٣٦/.

يتحقق في المسيح انتظار أشخاص كياتيرس وأرملة نائين واختي لعازر فحسب، بل تحقق أيضاً رجاء شعب بكامله يتوق إلى ذلك اليوم الذي يُظهر فيه الله، من خلال قيامة الأموات، أن زمن الخلاص حاضر.

يلعب الإيمان دوراً هاماً في حوادث إحياء الموتى<sup>(٣٥)</sup>، يقول يسوع لمرتا: «من آمن بي، وإن مات فسيحيا... أتؤمنين بهذا؟» (يو ١١/٢٥-٢٦). كذلك تخطى ياتيرس ردة الفعل عند أصحابه وعند الباكين. نجد عند هذا الوجيه إيماناً «ينمو»، إيماناً لا يتخطى الانتصار على عدم الإيمان فحسب، بل يتعمق في «موضوع» الإيمان. «يعترف ياتيرس تدريجياً بصانع العجائب أنه المسيح»<sup>(٣٦)</sup>. تصبح المعجزة تحداً للإيمان «الشخصي»، وتعود إلى الإيمان «الموضوعي». يضع كسافيهه ليون - دفور في مقطع جميل مقابلة بين الإيمان والمعجزة، ويقول: «إن موضوع الإيمان هو معجزة، علينا أن نحصل عليها، لأن المعجزات وليدة الإيمان وليست مسببتها. إنها علامات تدعونا إلى البحث عن الذي يعملها. عندما يقع ناظرنا على المسيح، فإن الإيمان يقتلع المعجزة من قدرة المسيح العظيمة... والإيمان في قدرته الذي يطلبه يسوع هو جواب الانسان إلى الملكوت الذي يحصل بأعماله»<sup>(٣٧)</sup>. لا يقوم الإيمان إذاً على المعجزة! بل يصبح إنضماماً إلى يسوع القائم من بين الأموات، لأن قاعدة إيماننا هي قيامة المسيح من بين الأموات. يقول بولس: «إن كان المسيح لم يقم، فتبشيرنا باطل وإيمانكم أيضاً باطل» (١ قور ١٥/١٤).

ينضمّ «القائم من الموت» إلى المسيح في انتصاره على الموت ويدخل معه الملكوت مجدداً. فالمعجزة التي تعبّر عن انتصار يسوع، تُدخلنا إلى ملكوت الله حيث تلتقي النظرة المسيحانية بالنظرة الأخيرة في الحاضر والمستقبل. إنها تلاقي الأرض والسما، إنها سرّ تعاطف الإله مع الإنسان خليفته، إنها الخلاص الذي يحمله المسيح للبشر حتى يسمح لهم

---

(٣٥) راجع الارشمندريت نيقولا انتيبا، «المعجزات في إنجيل مرقس»، في الأناجيل الإزائية، دراسات بيبليّة /٤/، ١٩٩٣، ص. /١٥٣-١٧١/.

M. GOURGUES. «Deux miracles, deux démarches de foi» (Mc. 5,21-43 par) in (٣٦) l'Évangile. Mélanges offerts à J. DUPONT, LD 123, 1985, p. 249.

X. LEON-DUFOUR, Les Évangiles et l'Histoire de Jésus, Paris 1963. pp. 407-408. (٣٧)

بالاعتراف به وبقبوله، إنها عمل الله وسرّ «ظهوره». وتعيد معجزة «إحياء الموتى» الخليقة بعد السقطة إلى مصدرها الأول، وتفتح أمامها أبواب الملكوت واسعة. لا يكفي إذاً أن نفحص المعجزة علمياً وأن ندقق بعمل الله لنحصل على عمق مدلول هذا العمل الإلهي، «لأنّ ما يجري في زمن محدّد من حياة يسوع مرتبطاً ارتباطاً كلياً بتاريخ الخلاص بأكمله، وبنوع خاص بعمل الخلاص المطلق والأسمى الحاصل في موت الربّ وقيامته من بين الأموات» (٣٨).

الأرشمندريت نيقولا انتيبيا

---

E. CORNIL (٣٨) المرجع نفسه، ص. /٨٣/.

## إنجيل شفاء صاحب اليد اليابسة

(متى ١٢: ٩-١٤؛ مرقس ٣: ١-٦؛ لوقا ٦: ٦-١١)

في دراسة الروايات الإزائية التي تورد حادثة شفاء صاحب اليد اليابسة (متى ١٢: ٩-١٤؛ مرقس ٣: ١-٦؛ لوقا ٦: ٦-١١)، سنعرض أولاً مقارنة بين الأطر الكتابية حيث تندرج هذه الرواية، ثم نحاول إعطاء ترجمة حرفية لهذه النصوص مع التركيز على الفوارق بينها. بعد ذلك سنتوقف على ثلاث طرق مختلفة لتفسير النصوص، فندرس رواية مرقس بالطريقة التاريخية-النقدية، ورواية متى بالطريقة السيميائية (أو: الرمزية) المبسطة، ورواية لوقا بطريقة التحليل البلاغي. في الختام، ومن خلال مقارنة مع العهد القديم، نستخلص معنى رمزياً هو، دون شك، في أصل رواية شفاء الرجل ذي اليد اليابسة.

### ١ - مقارنة الأطر الكتابية المباشرة لرواية الشفاء

نظرة سريعة إلى ما يحيط بالروايات الإزائية تُحوّلنا استخلاص الجوهر العام الذي وُضعت فيه هذه الروايات والفكرة التي لأجلها وضع كل إنجيلي روايته في إطار خاص به.

متى

أأنت الآتي أم ننتظر آخر؟ (١١: ٣)

العمي يُبصرون والعرج يمشون... والمساكين يُبشرون (استشهاد من أشعيا) (١١: ٥).

ويل... وحمد... (١٦: ٢٧-١١)

تعالوا إليّ... احمّلوا نيري عليكم وكونوا لي تلاميذ... (١١: ٢٨-٣٠).

التلاميذ يقتلعون سنبلًا . . . ابن الإنسان هو ربّ السبت (١٢: ١-٨).  
شفاء الرجل ذي اليد اليابسة (١٢: ٩-١٤).

شفاهم جميعاً . . . هوذا فتاي الذي اخترته . . . (استشهاد من أشعيا) (١٢: ١٥-٢١).  
طرد الشيطان (الذي يُقسّم الإنسان) . . . أفلا يكون هذا ابن داود؟ (١٢: ٢٢-٢٩).  
التجديف على الروح القدس . . . ويل أبدي (١٢: ٣٠-٣٢).

الخلاصة: أعمال يسوع، وبخاصة عمله يوم السبت، تُشير إلى هويته وإلى أنّه متمم  
انتظار الأنبياء. أعماله هي أساس الحكم: ويل أو راحة نفس، والدعوة موجهة للجميع  
حتى يُصبحوا تلاميذ له.

## مرقس

دعوة الرسل الأوّلين (١: ١٤-٢٠).

شفاءات متعدّدة (١: ٢١-٢: ١٢).

دعوة متى . . . المرضى هم في حاجة إلى طبيب (٢: ١٣-١٧).

صوم تلاميذ يوحنا . . . صوم تلاميذ يسوع العريس (٢: ١٨-٢٢).

التلاميذ يقتلعون سنبلًا . . . ابن الإنسان هو ربّ السبت (٢: ٢٣-٢٨).

شفاء الرجل ذي اليد اليابسة (٣: ١-٦).

شفاء كثيرين . . . الأرواح تعترف «أنت ابن الله» (٣: ٧-١٢).

اختيار الاثني عشر (٣: ١٣-١٩).

الخلاصة: أعمال يسوع هي عربون أعمال التلاميذ (راجع نهاية إنجيل مرقس ١٦:

١٧-١٨).

## لوقا

دعوة الرسل الأوّلين (٥: ١-١١).

شفاءات متعدّدة (١٢: ٥-٢٦).

دعوة متى . . . المرضى هم في حاجة إلى طبيب (٢٧: ٥-٣٢).

صوم تلاميذ يوحنا . . . صوم تلاميذ يسوع العريس (٥: ٣٣-٣٩).

التلاميذ يقتلعون سنبلًا . . . ابن الإنسان هو ربّ السبت (٦: ١-٥).

شفاء الرجل ذي اليد اليابسة (٦: ٦-١١).

اختيار الاثني عشر (٦: ١٢-١٦).

التطويبات والويلات (٦: ١٧-٢٦) وتعاليم مختلفة.

الخلاصة: هناك تواز بين أعمال يسوع وتعاليمه: إنّها أعمال وتعاليم موجّهة للرسل

(راجع مطلع أعمال الرسل ١: ١-٢).

Lc 6: 6-11	Mc 3: 1-6	Mt 12: 9-14
<p><sup>6</sup> Ἐγένετο δὲ ἐν ἑτέρῳ σαββάτῳ εἰσελθεῖν αὐτὸν εἰς τὴν συναγωγὴν καὶ διδάσκειν.</p> <p>καὶ ἦν ἄνθρωπος ἐκεῖ καὶ ἡ χεὶρ αὐτοῦ ἡ δεξιὰ ἦν ξηρά.</p> <p><sup>7</sup> παρετήρουντο δὲ αὐτὸν οἱ γραμματεῖς καὶ οἱ Φαρισαῖοι εἰ ἐν τῷ σαββάτῳ θεραπεύει, ἵνα εἰρωσιν κατηγορεῖν αὐτοῦ.</p> <p><sup>8</sup> αὐτὸς δὲ ᾗδει τοὺς διαλογισμοὺς αὐτῶν, εἶπεν δὲ</p> <p>τῷ ἀνδρὶ τῷ ξηρὰν ἔχοντι τὴν χεῖρα,</p> <p>Ἐγειρε καὶ στήθι εἰς τὸ μέσον· καὶ ἀναστάς ἐστι.</p> <p><sup>9</sup> εἶπεν δὲ ὁ Ἰησοῦς πρὸς αὐτούς,</p> <p>Ἐπερωτῶ ὑμᾶς εἰ ἐξεστὶν τῷ σαββάτῳ ἀγαθοποιῆσαι ἢ κακοποιῆσαι, ψυχὴν σώσαι ἢ ἀπολέσαι.</p> <p><sup>10</sup> καὶ περιβλεψάμενος πάντας αὐτούς</p> <p>εἶπεν αὐτῷ,</p> <p>Ἐκτεινον τὴν χεῖρά σου. ὁ δὲ ἐποίησεν,</p> <p>καὶ ἀπεκατεστάθη ἡ χεὶρ αὐτοῦ.</p> <p><sup>11</sup> αὐτοὶ δὲ ἐπλήσθησαν ἀνοίας καὶ διελάλουν πρὸς ἀλλήλους τί ἂν ποιήσαιεν τῷ Ἰησοῦ.</p>	<p><sup>1</sup> Καὶ εἰσήλθεν</p> <p>πάλιν εἰς τὴν συναγωγὴν.</p> <p>καὶ ἦν ἐκεῖ ἄνθρωπος ἐξηραμμένην ἔχων τὴν χεῖρα.</p> <p><sup>2</sup> καὶ παρετήρουν αὐτὸν εἰ</p> <p>τοῖς σάββασιν θεραπεύσει αὐτὸν, ἵνα κατηγορήσωσιν αὐτοῦ.</p> <p><sup>3</sup> καὶ λέγει</p> <p>τῷ ἀνθρώπῳ τῷ τὴν ξηρὰν χεῖρα ἔχοντι,</p> <p>Ἐγειρε εἰς τὸ μέσον.</p> <p><sup>4</sup> καὶ λέγει αὐτοῖς,</p> <p>Ἐξεστὶν τοῖς σάββασιν ἀγαθὸν ποιῆσαι ἢ κακοποιῆσαι, ψυχὴν σώσαι ἢ ἀποκτείνειν· οἱ δὲ ἐσιώπων.</p> <p><sup>5</sup> καὶ περιβλεψάμενος αὐτούς μετ' ὀργῆς,</p> <p>συλλυπούμενος ἐπὶ τῇ κωρόσει τῆς καρδίας αὐτῶν</p> <p>λέγει τῷ ἀνθρώπῳ,</p> <p>Ἐκτεινον τὴν χεῖρα. καὶ ἐξέτεινεν</p> <p>καὶ ἀπεκατεστάθη ἡ χεὶρ αὐτοῦ.</p> <p><sup>6</sup> καὶ ἐξελθόντες οἱ Φαρισαῖοι εὐθὺς μετὰ τῶν Ἡρωδιανῶν συμβούλιον ἐδίδουν κατ' αὐτοῦ ὄπας αὐτὸν ἀπολέσωσιν.</p>	<p><sup>9</sup> Καὶ μεταβάς ἐκεῖθεν ἦλθεν εἰς τὴν συναγωγὴν αὐτῶν·</p> <p><sup>10</sup> καὶ ἰδοὺ ἄνθρωπος χεῖρα ἔχων ξηρὰν.</p> <p>καὶ ἐπηρώτησαν αὐτὸν λέγοντες, Εἰ ἐξεστὶν τοῖς σάββασιν θεραπεύσαι; ἵνα κατηγορήσωσιν αὐτοῦ.</p> <p><sup>11</sup> ὁ δὲ εἶπεν αὐτοῖς,</p> <p>Τίς ἐστὶ ἐξ ὑμῶν ἄνθρωπος ὃς ἔξει πρόβατον ἐν καὶ εἰ ἐμπέσῃ τούτῳ τοῖς σάββασιν εἰς βόθυνον, οὐχὶ κρατήσει αὐτὸ καὶ ἐγερεῖ; <sup>12</sup> πόσῳ οὖν διαφέρει ἄνθρωπος προβάτου.</p> <p>ὥστε ἐξεστὶν τοῖς σάββασιν καλῶς ποιεῖν.</p> <p><sup>13</sup> τότε λέγει τῷ ἀνθρώπῳ,</p> <p>Ἐκτεινόν σου τὴν χεῖρα. καὶ ἐξέτεινεν</p> <p>καὶ ἀπεκατεστάθη ὑγιής ὡς ἡ ἄλλη.</p> <p><sup>14</sup> ἐξελθόντες δὲ οἱ Φαρισαῖοι συμβούλιον ἔλαβον κατ' αὐτοῦ ὄπας αὐτὸν ἀπολέσωσιν.</p>

٢ - ترجمة حرفية

لوقا ٦: ٦-١١	مرقس ٣: ١-٦	متى ٩: ١٤-١٤
<p>١ وحدث أنه في سبت آخر دخل هو إلى المجمع وراح يعلم. وكان إنسان هناك ويده اليمنى كانت يابسة.</p>	<p>١ ثم دخل من جديد إلى المجمع، وكان هناك إنسان له اليد يابسة.</p>	<p>١ ثم انصرف من هناك وجاء إلى مجمعهم، ١ وها إنسان له يد يابسة.</p>
<p>٢ وكان يراقبه الكتبة والفريسيون هل في السبت يشفي لكي يجدوا ما يُشكى عليه. ٣ أمّا هو فكان قد علم أفكارهم فقال للرجل الذي له اليد اليابسة: قم في الوسط. فانتصب ووقف.</p>	<p>٢ وكانوا يراقبونه هل في السبت يشفيه لكي يشكروا عليه. ٣ فقال للإنسان الذي له اليد اليابسة: قم في الوسط.</p>	<p>فسألوه قائلين: "هل يحل في السبت الشفاء؟" لكي يشكروا عليه.</p>
<p>٤ فقال يسوع متوجّهاً إليهم:</p>	<p>٤ وقال لهم:</p>	<p>١١ فقال لهم:</p>
<p>٥ "أسألكم هل يحل يوم السبت عمل صلاح أم عمل شرّ، تخليص نفس أم إهلاكها؟"</p>	<p>٥ "أحلّ يوم السبت عمل صلاح أم عمل شرّ، تخليص نفس أم قتلها؟" أمّا هم فسكثوا.</p>	<p>١٢ "أي إنسان منكم له خروف واحد فإن سقط هذا يوم السبت في حفرة أفما يمسكه ويقيمه؟" فكم هو أفضل إنسان من خروف. لذلك يحلّ يوم السبت عمل خير."</p>
<p>٦ ثمّ أجال نظره فيهم جميعاً، قال له: "مدّ يدك". ففعل. فعادت يده.</p>	<p>٦ ثمّ أجال نظره فيهم بغضب مفاجئاً من قساوة قلوبهم، قال للإنسان: "مدّ اليد". فمدّها. فعادت يده.</p>	<p>١٣ ثمّ قال للإنسان: "مدّ يدك". فمدّها. فعادت سليمة كالأخرى.</p>
<p>٧ أمّا هم فامتثلوا شراسة وراحوا يتباحثون فيما بينهم ماذا يفعلون بيسوع.</p>	<p>٧ فخرج الفريسيون للوقت مع الهيروديسيين، أعطوا استشارة ضدّه ليُهلكوه.</p>	<p>١٤ فخرج الفريسيون، أخذوا استشارة ضدّه ليُهلكوه.</p>

## ٢ - مقارنة إزائية

\* يجعل لوقا الشفاء في «سبت آخر» بينما تبقى حادثتي اقتلاع السنبل والشفاء في سبت واحد عند متى ومرقس.

\* يحدّد متى أكثر من مرقس ولوقا المكان الذي دخل إليه يسوع. إنّه «مجمعهم» وليس فقط «المجمع»، وذلك للتركيز على الانفصال بين المجمع اليهودي والكنيسة.

\* يركّز لوقا على البعد «التعليمي» لوجود يسوع في المجمع وبالتالي للشفاء الذي سيقوم به.

\* يُبرز متى ومرقس إنساناً له يد يابسة (متّى: له يد يابسة، أي إحدى يديه؛ مرقس: له اليد اليابسة، كأن له يداً واحدة). أمّا لوقا فيُعطي بُعداً مزدوجاً للوضع القائم. يستعمل «واو العطف»: كان إنسان هناك ويده اليمنى كانت يابسة. هناك إنسان وهناك اليد اليمنى - أداة العمل - معطّلة.

\* يستعمل الإزائيون الثلاثة كلمة «إنسان» في رواياتهم، إلا أنّ لوقا قد استبدلها مرّة واحدة بكلمة «رجل» (ذكر).

\* ليس هناك مراقبة من قبل الفريسيين في رواية متى. إنهم يحاولون مناقشة مبدأ الشفاء في السبت عامةً من خلال سؤال: هل يحلّ...؟ المراقبة عند مرقس تطلّ شفاء يسوع لهذا الإنسان يوم السبت، أمّا عند لوقا فتتسع لتشمل الشفاء (بشكل عام) الذي يقوم به يسوع في البيت.

\* يذكر لوقا المراقبين - الكتبة والفريسيين - لأنّه جعل الشفاء في «سبت آخر» بينما تتصل روايتي متى ومرقس بما جرى مع الفريسيين عندما اقتلع التلاميذ السنبل في السبت عينه.

\* معرفة يسوع لأفكار الكتبة والفريسيين مذكورة عند لوقا: معرفته بكيفية فهمهم لشريعة السبت، ومعرفته بنواياهم ضده.

\* عند متى يبقى الإنسان في مكانه. عند مرقس ولوقا يدعو يسوع للقيام في الوسط. لوقا يؤكد على أنّ أمر يسوع الأوّل (قم وقف في الوسط) قد تحقّق في حين أنّ مرقس لا يهتمّ بهذا التوضيح.

\* يُجيب متى على السؤال المطروح بشأن مبدأ «الشفاء يوم السبت» بالطريقة الربانية. يُعطي مثلاً (عبرة) يُنهيه بسؤال يستنتج من خلاله حلاً إيجابياً جاعلاً من الشفاء عمل خبير. عند مرقس ولوقا يأتي السؤال مباشرة من يسوع لأنّ الفريسيين لم يسألوه عن شيء بل راحوا يُراقبونه.

\* يهتم مرقس بذكر «سكوت» الفريسيين أمام سؤال يسوع، بينما يعتبر متى ولوقا أن يسوع لا ينتظر جواباً على سؤاله. في الحالتين، الكلمة النهائية هي ليسوع.

\* من مميزات مرقس التوقف على دقائق الأمور: سكتوا، بغضب، مفجوع، قساوة قلوبهم.

\* يُركز الإزائيون الثلاثة على تميم ما طلب يسوع من الإنسان (الطلب الأوّل عند متى والثاني عند مرقس ولوقا) وعلى النتيجة الإيجابية التي حصل عليها الإنسان بعد أن مدّ يده.

\* النتيجة عند متى: عادت سليمة كالأخرى إذ إنّ له يداً يابسة؛ عند مرقس ولوقا: يده كأداة عمل.

\* وحده لوقا يذكر حالة الفريسيين النفسية: امتلأوا شراسة. فالعمل الذي قام به يسوع يطالهم مباشرة ويطال تعاليمهم.

#### ٤ - قراءة تاريخية - نقدية لرواية مرقس (١)

« لا يمكن الاستغناء عن هذه المنهجية التاريخية البيبلية في أية دراسة علمية لمعنى النصوص القديمة. وبما أنّ البيبلياً هي كلمة الله في لغة الإنسان وقد تمّ تأليفها بواسطة كتاب بشريين في كل فصولها ومراجعتها، فإنّ فهمها لا يقرّ بشرعية هذه المنهجية وحسب، بل يتطلب استخدامها... إنّها منهجية تاريخية... لأنّها تسعى إلى توضيح التطورات التاريخية في تكوين النصوص... إنّها منهجية نقدية لأنّها تعمل انطلاقاً من معطيات علمية، موضوعية بقدر الإمكان، في كل خطوة من خطواتها، من نقد النصّ إلى نقد

(١) راجع خاصّة DUPREZ. A., Deux affrontements un jour de sabbat, Mc 2,23-3,6, Assemblées du Seigneur 40, Paris, Cerf, 1972, pp. 43-53. مع الحواشي التي يوردها

أسلوب التحرير . . . إنها منهجية تحليلية لأنها تدرس النصّ البيبليّ، بالطريقة ذاتها التي تدرس فيها أيّ نصّ قديم، وتشرّحه كلغة بشرية . . . أمّا فيما يخصّ تضمين المنهجية تحليلياً متزامناً للنصوص، فيجب الاعتراف بشرعية هذه العملية لأنّ النصّ في حالته النهائية، وليس كما دون سابقاً، هو التعبير عن كلمة الله. ولكنّ درس النصّ من خلال زمانه المتطور والمتتالي يبقى ضرورياً لنُدرك الديناميكية التاريخية التي تُحرّك البيبليا وليظهر غنى تشعبها»(٢).

بعد دراسة الإطار العامّ الذي ترد فيه رواية مرقس ومراحل تطوّر النصّ (طبقاته أو تاريخه) نتوقّف على تركيبته وعلى المواضيع الكرسولوجية الكبرى التي يعرضها النصّ.

## أ - الإطار العامّ

يفتح مرقس إنجيله بعنوان يُعبّر فيه عن المضمون: «بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله» (١: ١). يبدأ الإنجيل بثلاثة تعريفات بيسوع: الأول من النبيّ أشعيا (١: ٢-٣)، الثاني من يوحنا المعمدان (١: ٧-٨)، الثالث من الروح القدس (١: ١٠-١٢). يبدأ يسوع كلامه بجملة يُلخّص فيها المضمون الأساسي لبشارته: «لقد تمّ الزمان، واقترب ملكوت الله؛ فتوبوا، وآمنوا بالإنجيل» (١: ١٥). أتباع الرسل الأربعة الأوّلين (١: ١٦-٢٠) هو تعبير واضح عن فعالية هذه البشارة.

تظهر فعالية هذه البشارة أيضاً من خلال الأعمال والتعاليم التي سيقوم بها يسوع. يوم واحد في كفرناحوم (١: ٢١-٣٤) سيشهد شفاءات عديدة تُذهل جميع الحاضرين. يوم آخر من البشارة في الجليل (١: ٣٥-٤٥) يجمع بين التعليم والشفاءات ويجعل الناس يأتون إليه من كلّ جهة.

لن يدوم هذا الاندهال خالياً من معارضة الفريسيين. يعرض مرقس خمس مواجهات بينهم وبين يسوع في إطار عمل قام به يسوع أو تلاميذه (٢: ١-٣: ٦):

(٢) اللّجنة البيبليّة الحبريّة، التفسير البيبليّ في الكنيسة، ١٨ تشرين الثاني ١٩٩٣، تعريب جرجس خليفة، المركز البيبليّ الرعائي، جيبيل ١٩٩٥، ص ١٩-٢٦.

- شفاء المخَّلَع (١٢-١:٢)

- الجلوس مع العَشَّارين والخطأة (١٧-١٣:٢)

- جدل بشأن الصوم (العروس الذي سيرُفع) (٢٢-١٨:٢)

- اقتلاع السنبِل (٢٨-٢٣:٢)

- شفاء صاحب اليد اليابسة (٦-١:٣).

المواجهات الثانية والثالثة والرابعة مبنية بشكل متواز (عمل، سؤال، جواب). في الثانية هناك عمل قام به يسوع (الجلوس مع العَشَّارين والخطأة)، وسؤال من الفريسيين موجه للتلاميذ، أما الجواب فيأتي من يسوع: إنه طبيب الخطأة. في الثالثة هناك عمل قام به التلاميذ (عدم الصوم)، وسؤال موجه ليسوع، وجواب يأتي منه: إنه العريس الذي سيرُفع. في الرابعة هناك عمل قام به التلاميذ (اقتلاع السنبِل يوم السبت)، وسؤال من الفريسيين موجه ليسوع، وجواب يأتي منه: إنه رب السبت. يعتبر بعض الشراح أن هذه المواجهات الثلاث هي وحدة أدبية قديمة استعملها مرقس مضيفاً إليها المواجهتين الأولى والخامسة.

ترتكز هاتان المواجهتان على شفاءين: شفاء المخَّلَع وشفاء صاحب اليد اليابسة يوم السبت. يُلاحظ فيهما غياب التلاميذ الذين كان لهم دور في المواجهات الأخرى. إذا كانت المواجهة قد أبرزت سلطان ابن البشر في مغفرة الخطايا - هذه المغفرة التي تعود إلى الله وحده - فماذا تُبرز المواجهة الأخيرة الموازية لها؟

الإطار العام هو إطار مواجهات قوية تصل مع نهاية النص الذي سندرسه إلى التخطيط لقتل يسوع. هذه المواجهات أدخلها مرقس منذ بدء إنجيله. لا نرى أعداء يسوع شرسين كما هم في مطلع إنجيل مرقس وفي محاكمة يسوع. ويبقى شخص يسوع هو الأبرز (العريس الذي سيرُفع، سيموت ويقوم).

## ب - تاريخ النصّ

الرباط بين نصنا والنصّ الذي يسبقه هو أن أحداثهما تجري في يوم السبت. ويبدو أن ذكر يوم السبت فيهما لم يكن في أصل الرواية وإن كان الآن، في حالة النصّ النهائي، يُعطي المعنى الأساسي للمواجهة بين يسوع والفريسيين. كان ذكر يوم السبت يُضاف عامة لإعطاء مبرر للفريسيين لمعارضة يسوع الذي كانت أعماله كافة تزعمهم (راجع مثلاً يو ٥).

في رواية اقتلاع التلاميذ للسنبُل، كيف يُمكننا شرح وجود الفريسيين في يوم السبت بين الزروع مع العلم أنّ المسافة المسموح اجتيازها كانت قصيرة؟ هل كانوا فريسيين مزارعين؟ ويقول أيضاً، جواب يسوع الذي يستشهد بالكتب لم يتطرق إلى موضوع يوم السبت في مخالفة داود ومن معه للشرية.

في شفاء صاحب اليد اليابسة، نلاحظ، إذا قارنا روايات الإزائيين، أنّ الرواية التي يلتقون عليها تماماً. هي حادثة الشفاء دون ذكر يوم السبت منذ البدء عند الثلاثة. قد يكون في أصل هذه الرواية الحادثة التالية: «دخل المجمع، وكان هناك رجل له يد يابسة. فقال للرجل: مَدِّ يدك، فمدّها فعدت يده سليمة».

في مرحلة ثانية، وقبل الكتابة الإنجيلية، تحوّلت رواية حادثة الشفاء إلى رواية مواجهة حول مفهوم السبت بين يسوع والفريسيين. وفي النصّ الحالي نرى أنّ حادثة الشفاء تشكّل خلفيّة الرواية، بينما يحتلّ الخلاف بين يسوع والفريسيين المكانة البارزة.

### ج - تركيبة النصّ وشرحه

تُبرز رواية مرقس عنف المجابهة من خلال التركيز على التناقضات بشكل موسّع. تُظهر هذه التناقضات بنية نصّ مرقس:

- يسوع يدخل المجمع

- يد يابسة

- مراقبة يسوع من الفريسيين

- سؤال من يسوع

- عمل صلاح

- عمل شرّ

- تخليص

- قتل

- سكوت من الفريسيين

- نظرة شاملة من يسوع

- يد صحيحة

- الفريسيين يخرجون من المجمع.

يبقى يسوع وحده في مواجهة المعارضين (لا نجد ذكراً للتلاميذ أو للجموع). لا نعرف هويتهم إلا في نهاية النص. إنهم يُراقبونه ليروا إن كان سيشفى صاحب اليد اليابسة يوم السبت لكي يشتكوا عليه دون أن يكثرثوا بالمريض. سوف يظنون صامتين حتى عندما وجه يسوع إليهم سؤالاً. بالمقابل، نرى يسوع يعمل كل شيء بوضوح لكي يُزيل كلّ التباس. يأخذ المبادرة لشفاء المريض دون أن يطلب أحد منه ذلك الشفاء. إنه يتحمل مسؤولية كلّ ما سيحدث. يدعو المريض إلى وسط المجمع ثم يطرح على أعدائه سؤالاً لاهوتياً: أيجلّ يوم السبت عمل صلاح أم عمل شرّ، تخليص نفس أو قتلها؟ سؤال يسوع يتطلّب جواباً إيجابياً لأنّه، بحسب الرّبّانيين، يُمكن مخالفة شريعة السبت في حالة خطر الموت الحتمي المباشر. . . . وهذه الحالة ليست مطروحة في وضع صاحب اليد اليابسة!

لن يدخل يسوع في متاهات المناقشات. بالنسبة إليه، السبت هو وقت الإنقاذ، إنّه زمن الخلاص: عدم شفاء المريض يُصبح قتلاً. وعدم شفاء المريض، الذي هو قتل، يُصبح مخالفة للوصية الأساسية: لا تقتل.

وحده مرقس يُركّز على وضع أعداء يسوع: أمّا هم فسكتوا، في حين أنّ الجواب على سؤال يسوع لا يختلف عليه إثنان: أجال يسوع نظره فيهم بغضب. ونقول أيضاً: وحده مرقس يذكر ردّة فعل يسوع- وهذا من مميّزات مرقس. ولكنّه يُبرّر هذا الغضب بأنّ يسوع كان مفجوعاً من «قساوة قلوبهم». عبارة «قساوة القلب» أو «قساوة الرقاب (الأعناق)» كانت تُلخّص كلّ خطايا الشعب من ترك الله وعبادة الأوثان إلى نسيان عمل الله الخلاصي والابتعاد عن الإيمان والشريعة، وبالتالي عن العهد. وبكلمة واحدة، «قساوة القلب» هي الاتهام الجوهرى الوحيد الذي كان يوجّهه الله لشعبه.

اللازمة المعتادة (اندهال الجموع وتعجبهم) التي يضعها عادة مرقس في نهاية رواياته للمعجزات تختفي من روايتنا هذه لتأخذ مكانها استشارة إهلاك يسوع. وحده مرقس يوضح بأنّ أعداء يسوع هم الفرّيسيّون والهيروديسيّون. يوحد بين فئتين متعاديتين: الأولى معارضة للوجود الروماني والثانية موالية له. إنّه توحيده بين القوى الدينيّة والقوى السياسيّة.

يخرج أعداء يسوع من المجمع. خروجهم يأتي معاكساً لدخول يسوع إلى المجمع في

بداية النصّ. هذا يعني أنّ يسوع بقي في المجمع بعد أن كشف حقيقة الذين يعتبرون أنفسهم مدافعين عن الشريعة وهم في الواقع يُخالفونها.

قرار قتل يسوع هنا، في مطلع إنجيل مرقس وفي بداية حياة يسوع العلنيّة، يظهر سابقاً لأوانه. إنّه يُخالف الواقع التاريخيّ. هذا القرار يبدو واقعياً عند الدخول المسيحانيّ إلى أورشليم (١١: ١٨؛ راجع أيضاً ١٥: ١). فمرقس لا يُريد إبراز معارضة محدّدة تاريخياً في هذا الوقت أو ذلك. إنّه يرغب في إظهار أوّل مواجهة جذريّة بين يسوع وأعدائه ضمن إطار الآلام والصليب والموت والقيامة.

المسألة الأساسيّة بالنسبة إلى مرقس هي أبعد من أن تكون مسألة مناقشات لاهوتيّة عقائديّة أو مسألة سرد بسيط لمعجزة صنعها يسوع. همّة الأوّل هو همّ كرسولوجيّ.

#### د - وجه يسوع المسيح من خلال نصّ مرقس

- يظهر يسوع أوّلاً كرجل حرّ، له استقلالته، يعمل دون حرج أو خوف من أحد. حرّ أمام مطاردة أعدائه، مراقبتهم لم تُبعده عن إتمام غايته؛ حرّاً أيضاً أمام المفهوم الذي كان سائداً للشرائع المقدّسة كشرعة السبت.

- ليسوع قدرة تُعطي الخلاص وتُحرّر الإنسان من المرض. كلمة يسوع تخلق الإنسان من جديد في كلّ أبعاده. قدرته تُحرّر الإنسان من نير الشريعة التي تقتل، ولا سيّما شريعة السبت.

- لم يهدم يسوع الشريعة، لكنّه أعاد إليها مفهومها الأصليّ الذي هو خدمة الإنسان. فالشريعة أصلاً هي رمز الحياة وليست أداة الموت. فالمعنى الجوهرى للشريعة لا يقضي بمنع بعض الممارسات، بل عمل الخير بدل الشرّ، تخليص النفس بدل قتلها. فالسبت مثلاً الذي هو علامة حبّ الله لشعبه لا يُمكن إلّا أن يكون في خدمة الإنسان. فالشريعة التي تأتي من الله لا يُمكن أن تُعطي إلّا الحياة.

- كلمة يسوع وعمله هما مقياس الدينونة. عندما أعطى بهما معنى الشريعة الجوهرى، كشف عن قساوة قلوب أعدائه. تصرّفه أثار كرههم له فقرّروا قتله في يوم السبت. لقد تعدّوا في يوم السبت وصيّة أساسيّة - لا تقتل - عندما فضّلوا ترك المريض وعندما قرّروا إهلاك يسوع.

## ٥ - قراءة سيميائية مبسّطة لرواية متى<sup>(٣)</sup>

«من الطرق المسماة متزامنة أي التي تركز على دراسة النصّ كما هو موضوع أمام القراء بشكل نهائي، هناك منهجية التحليل السيميائي التي انتشرت بقوة في بعض الأوساط، منذ حوالي عشرين سنة... يعتمد التحليل السيميائي على ثلاثة مبادئ أو افتراضات أساسية:

- كل نصّ يُشكّل في حدّ ذاته وحدة المعنى. والتحليل السيميائي يهتم بالنصّ كاملاً، وبالنصّ فقط، ولا يستحضر معطيات خارجية مثل المؤلف والموجه إليهم وأحداث الرواية وتاريخ التدوين.

- لا وجود لمعنى إلاّ من خلال العلاقة، خاصة العلاقة بين الفوارق. فتحليل النصّ يقوم، إذن، في إقامة شبكة علاقات (متناقضة أو متعاكسة) بين العناصر. وانطلاقاً من هذه الشبكة يتكوّن معنى النصّ.

- يحترم كل نصّ قواعد لغويّة، أي عددًا من القواعد أو البنى الخاصة؛ فنجد في مجموعة الجمل المسماة خطابًا، مستويات مختلفة في التعبير، لكل منها قواعده اللغويّة.

... إنّ المنهجية السيميائية، عندما لا تضع في معارج لغة معقّدة، وعندما تُعبّر ببساطة عن عناصرها الأساسية، تستطيع أن تجعل المسيحيين يتذوّقون دراسة النصوص البيبليّة، واكتشاف بعض أبعاد معانيها، دون أن يمتلكوا كلّ المعارف التاريخية المتعلقة بنشأة النصّ ويأطاره الاجتماعيّ الثقافي...»<sup>(٤)</sup>.

الأشخاص الذين يدخلون في النقاش هم من جهة يسوع الذي عُرفت قدرته على الشفاء، ومن جهة أخرى، الفريسيّون الذي يسهرون على العمل الدينيّ والنظام الاجتماعيّ.

(٣) راجع خاصة GENUYT, F., MATTHIEU 12, 1-21, Sémiotique et Bible 70, Lyon, Cadir, 1993, pp. 41-54.

(٤) اللجنة البيبليّة الحبريّة والتفسير البيبليّ في الكنيسة، ١٨ تشرين الثاني ١٩٩٣، تعريب جرجس خليفة، المركز البيبليّ الرعائيّ، جبيل، ١٩٩٥، ص. ٣٣-٣٦.

موضوع النقاش: احتمال إجراء شفاء يوم السبت.

المقارنات والصور سوف تُظهر ما هو بالتحديد مضمون النقاش وما هي أبعاده.

نقطة الانطلاق تذكر الوضع القائم: «وها إنسان له يد يابسة»، بالصدفة، يمكننا أن نزيد. إنسان مفرد، له وضع خاص. لم تمنع إعاقته من المجيء إلى هنا. ليست اليد عضواً حيويًا: الحياة ليست في خطر. ونقول أيضاً، هذا الإنسان لم يطلب شيئاً.

لا شيء يُظهر بأنّ الفريسيين قد لاحظوا وضع صاحب اليد اليابسة. لكن من المؤكّد، إذا افترضنا أنّهم رأوا، هو أنّهم لم يتوقفوا على وضعه الخاص. السؤال الذي طرحه على يسوع هو سؤال عام: «هل يحلّ في السبت الشفاء؟» يركّز السؤال على المسموح والممنوع. إنّ سؤال نظري، لكنّه ليس سؤالاً جدلياً فقط، لأنّ النية وراء طرحه لم تكن سليمة: «لكي يشتكوا عليه». وهذا ما فهمه يسوع لأنّه لم يكتفِ بالجواب على هذا السؤال على المستوى النظري، لكنّه جمع بين العمل والكلمة وذلك على حساب حياته. عمل يسوع تخطى توقّعات الفريسيين. سؤالهم يفترض أنّ يسوع قادر على الشفاء يوم السبت. لكنّ جواب يسوع وعمله كانا بمثابة تحدّي فاضح. في البدء أرادوا أن يشتكوا عليه، ولكن بعد ما عمله يسوع، انتهى بهم الأمر إلى تصميم على إهلاكه. مسألة الحياة والموت ستطرح انطلاقاً من وضع دون أهميّة كبرى. ماذا كان يحتوي ردّ يسوع حتى اعتبره الفريسيون إلى هذا الحدّ خطيراً؟

يبدأ ردّ يسوع أولاً بعرض مثل. ينطلق هذا المثل من طريقة تصرف الذين يتحدثون مع يسوع، وذلك لوضع طريقة تصرفهم في تناقض مع نظريتهم: «أيّ إنسان منكم له خروف واحد فإن سقط هذا يوم السبت في حفرة أفما يمسه ويقيمه؟»

إذا أردنا أن نفهم جواب يسوع، يجب معرفة ما يمثله الخروف. ما هي القيمة الصوريّة (الرمزيّة) المعروضة في هذا الردّ؟ نحن أمام نقطة دقيقة جداً وهي التي تُقرّر وجوب العمل في السبت. الخروف سقط والمطلوب هو إقامته. لم يُذكر بأنّه جرح أو وقع على ظهره مما قد يؤدي إلى موته. بالمقابل يذكر النصّ أنّ الخروف «واحد». من هنا يمكننا أن نستنتج معنيين محتلمين: إمّا أنّ للخروف قيمة اقتصادية تجعل إقامته ضرورة يُمكن معها كسر شريعة السبت؛ وإمّا أنّ الخروف «واحد» بمعنى أنّه مميّز وفريد وله قيمة بحدّ ذاته وبالتالي يُمكن كسر شريعة السبت من أجل هذه القيمة الفريدة.

الخروف، حسب النصّ، هو «واحد» و«سقط في حفرة». فالمشكلة المطروحة هي معرفة إذا كان بالإمكان صرف النظر عنه على أساس أنّه كمّيّة لا أهميّة لها. إذا كان للخروف قيمة اقتصادية فقط، يأتي الجواب بالاجاب، ويصرف النظر عنه مقابل شريعة السبت لأن الإنسان لم يخسر شيئاً كبيراً؛ وكذلك المجتمع عامة لن يتأثر بفقدان خروف واحد. أمّا العلاقة الأساسيّة التي يتكلّم عنها النصّ والتي تربط بين الإنسان والخروف، فليست على المستوى الاقتصادي. فالنصّ يركّز على العلاقة التي تربط الإنسان مع ما سقط وما يجب إقامته لأنّه فريد بالرغم من قلّة قيمته الاقتصادية. إقامة ما هو وحيد وفريد ومميّز، والذي يتركه عادة المجتمع ساقطاً في مكانه، هذا ما يدلّ على العبور من المستوى الاقتصاديّ إلى المستوى الرمزي الذي هو الفريدة (فريد من نوعه)، والشريعة في معناها الجوهرية تؤمّن هذا العبور بين المستويين. من هنا يأخذ الشخص (الفريد، الوحيد) القيمة نفسها التي للجماعة. وهذا ما يُشكّل خطراً على التنظيم المجتمعي العام. والفريسيّون الذين يعتبرون أنفسهم مسؤولين عن حسن النظام في المجتمع لم يغلطوا حين اعتبروا يسوع خطراً. لذلك أرادوا التخلّص منه.

المثل الذي أعطاه يسوع يُظهر بأن ما سيعمله يوم السبت ليس «شاذاً عن القاعدة». هناك ضرورة لإقامة الخروف في يوم السبت دون التريث إلى الغد. وجواباً على سؤالهم يعتبر يسوع أنّه ليس فقط مسموحاً الشفاء في السبت بل هو واجب ضروري. فالسبت جعل لهذا: وقاية الذي سقط لأنّه فريد.

التطبيق على الإنسان يتبع المثل مباشرة: «فكم هو أفضل إنسان من خروف. لذلك يحلّ يوم السبت عمل خير». يأخذ هذا التطبيق بُعدين:

- أولاً، هناك بُعد العلاقة بين الإنسان والخروف: الإنسان أفضل من خروف. فإذا كان بالإمكان تخليص الخروف يوم السبت فكم بالأحرى الإنسان. والفريسيّون لا يُمكنهم أن يرفضوا ذلك الأمر دون أن يرفضوا إنسانيتهم: «أيّ إنسان منكم...».

- ثانياً، هناك بُعد عام وشامل. فالمسألة ليست مسألة شفاء وحسب، بل مسألة «عمل خير».

لو توقّف يسوع عند هذا الحدّ من الردّ لكان جوابه مناسباً: لقد أجاب على سؤال الفريسيّين. لكنّ يسوع لم يكتف بهذا المقدار من الجواب. استغلّ وجود صاحب اليد

اليابسة ليجمع بين ما قاله عن الإنسان عامة والعمل على شفائه: «مدّ يدك». على عكس الفريسيين، يسوع يضع المبدأ الذي يُنادي به موضع التنفيذ. إنّه يُخاطر بنفسه في سبيل خير الإنسان والإنسانية.

ولنلاحظ أنّ في عملية الشفاء يكتفي يسوع بإعطاء الأمر. فالإنسان، عملياً، هو الذي مدّ يده. مدّها فعادةت صحيحة طبيعية كالأخرى. لم يشأ يسوع أن يستعمل الإنسان يداً واحدة فقط. إنّه لمن المؤسف أن لا يستغلّ الإنسان كلتي يديه.

وهكذا تظهر أبعاد النقاش: ما يُبرهنه شفاء صاحب اليد اليابسة هو أنّ يسوع جاء يهتم بالأشياء الصغيرة والبسيطة ويُحييها ويُعيد الاعتبار إليها بقدر ما هي منسية ومردولة من قبل الشريعة أو النظام الاجتماعيّ. وإذا كان هناك من ضرورة ملحة وقصوى للقيام بذلك يوم السبت فهذه الضرورة هي ضرورة إنجيليّة.

## ٦ - قراءة بلاغيّة لرواية لوقا<sup>(٥)</sup>

«... البلاغة هي فنّ تأليف خطب مقنعة. والنصوص البيبليّة هي كلّها على درجة معيّنة من الإقناع. فالإلمام بالبلاغة يُشكّل جزءاً من العدّة العاديّة للمفسّرين... للتحليل البلاغيّة حدود. فعندما تقتصر على الوصف دون الاستنتاج، تكون نتائجها غالباً إنشائيّة وحسب... يُثير تطبيقها على النصوص البيبليّة أكثر من سؤال: هل كان مؤلّفو النصوص من الأوساط الأكثر ثقافة؟ إلى أيّ مدى التزموا بأساليب البلاغة في مؤلّفاتهم؟...»<sup>(٦)</sup>.

بعد عرض سريع للإطار الكتابيّ الذي ترد فيه رواية شفاء صاحب اليد اليابسة في إنجيل لوقا نتوقّف على بنية الرواية لنستخلص المعاني التي ضمّنها لوقا روايته.

(٥) راجع خاصة MEYNET. R. L'Evangile selon saint Luc, Analyse rhétorique, Paris, Cerf, 1988, t. I: Planches, pp. 51-57; t. II: Commentaire, pp. 72-77.

(٦) اللجنة البيبليّة الحبريّة، التفسير البيبليّ في الكنيسة، ١٨ تشرين الثاني ١٩٩٣، تعريب جرجس خليفة، المركز البيبليّ الرعائيّ، جيل ١٩٩٥، ص. ٢٧-٣٠.

## أ - بنية إطار الرواية عند لوقا

يُشكّل القسم ٥: ١٧-٦: ١١ من إنجيل لوقا إطاراً لرواية شفاء صاحب اليد اليابسة . وحدة هذا القسم تأتي من وحدة الأشخاص الذين يتجادلون مع يسوع . يدخل الفريسيون للمرة الأولى في إنجيل لوقا في مطلع هذا القسم (٥: ١٧) ويرافقون كل الأحداث الواردة فيه . هناك تضمين يحدّ هذا القسم بكامله : ذكر لتعليم يسوع وللشفاءات التي تجري على يده في مطلع القسم (٥: ١٧) وفي نهايته (مطلع الرواية التي تستوقفنا، ٦: ٦) . وهناك أيضاً بنية هذا القسم التي تجعل منه وحدة متكاملة .

- شفاء مع مجابهة (٥: ١٧-٢٦) .

- مجابهة (٥: ٢٧-٣٥) .

- مثل مزدوج (٥: ٣٦-٣٩) .

- مجابهة (٦: ١-٥) .

- شفاء مع مجابهة (٦: ٦-١١) .

\* يروي كلّ من المقطعين الأوّل والأخير شفاء قام به يسوع . نرى فيهما الفريسيين «يفكّرون» (٥: ٢١) و«يراقبون» (٦: ٧) ، أمّا يسوع فكان يعلم أفكارهم (٥: ٢٢ و٦: ٨) . وفي الحالتين نرى أنّ الرجل الذي شُفي كان معاق القدمين (مخلّع لا يستطيع المشي) أو معاق اليد اليمنى . ونرى أيضاً المريضين «في الوسط» (٥: ١٩ و٦: ٨) . والاثنين سوف يدعوهم يسوع «قم واحمل» أو «قم وقف» ، والإثنان سيقومان . بالمقابل ، ينتهي الشفاء الأوّل بتمجيد الله بينما ينتهي الثاني بشراسة الفريسيين .

\* في المقطعين الثاني والرابع نجد مجابتهين . موضوعهما هو «الأكل» . وفيهما أيضاً يتوجّه الفريسيون إلى التلاميذ . فموضوع الأكل فيهما هو أكل التلاميذ مع العشارين (في الرواية الموازية في إنجيلي متى ومرقس يجري الحديث عن مؤاكلة يسوع للعشارين - متى ٩: ١١ ومر ٢: ١٦) وأكل التلاميذ للسنبيل بعد اقتلعه وفركه يوم السبت . يُلاحظ أيضاً أنّه في الإطار بأكمله لا ترد كلمة «التلاميذ» إلّا في هذين المقطعين .

\* ينتهي الجزء الأوّل من البنية (أي المقطعان الأوّلان قبل المقطع المحوري) بالإشارة إلى رفع العريس (٥: ٣٥) كما ينتهي الجزء الثاني (نهاية القسم) بالإشارة إلى سعي الكتبة والفريسيين لقتل يسوع (٦: ١١) .

\* المثل المحوري يتحدث عن الثوب الجديد والخمر الجديدة. يسوع الذي يأتي بمنطق جديد لن تستوعبه زقاق قديمة كالكتبة والفرسيين، بل تُهَيَأ له زقاق جديدة كالتلاميد والعشارين والخطأة التائبين. الشريعة- الخمر القديمة- طيبة إذا لم تفقد روحها؛ وهذا هو دور يسوع: إعادة الروح للحرف.

## ب - بنية الرواية عند لوقا

٦ وحدث أن في سبت آخر  
وكان إنسان هناك  
دخل هو إلى المجمع وراح يعلم  
ويده اليمنى كانت يابسة

٧ وكان يراقبه الكتبة والفرسيون  
هل في السبت يشفي لكي يجدوا ما يُشكى عليه.

٨ أمّا هو فكان قد علم أفكارهم فقال للرجل الذي له اليد اليابسة:  
«قم وقف في الوسط».  
فانتصب ووقف.

٩ فقال يسوع متوجّهاً إليهم:  
«أسألكم هل يحلّ يوم السبت  
عمل صلاح أم عمل شرّ  
تخليص نفس أم إهلاكها؟»

١٠ ثمّ أجال نظره فيهم جميعاً،  
«مدّ يدك».  
ففعل.  
فعدت يده.

١ أمّا هم فامتلاؤا شراسة وراحوا يتباحثون فيما بينهم  
ماذا يفعلون بيسوع.

يتألف نصنا من مقدمة تليها تركيبة محورية لسائر النص.

تشرح المقدمة في مرحلة أولى ما يعمله يسوع، وفي مرحلة ثانية إعاقة المريض. أما رواية الشفاء فتركيبها البلاغية مؤلفة من خمسة أجزاء مبنية بشكل محوري.

الجزءان الأوّل (آ ٧) والخامس (آ ١١) يحتويان السؤالين اللذين يطرحهما الكتبة والفريسيون. والسؤالان مطروحان بأسلوب غير مباشر.

في الوسط (المحور آ ٩) نجد سؤالاً ثالثاً بأسلوب مباشر. يطرحه يسوع بصوت عال ويُشدّد عليه إذ يبدأ بالتنبيه: «أسألکم». ويركّز عليه أيضاً بالتكرار المعنوي (صلاح أم شر؟ تخليص أم إهلاك). هذا التناقض المحوري المزدوج (صلاح- شر؛ تخليص- إهلاك) كان موجوداً في السؤال الأوّل (يشفي- يُشكى عليه). لن يبقى من هذه الثنائية في السؤال الثالث إلا الفعل «يفعلون» الذي يأخذ معنى سلبياً بعد ذكر الشراسة.

بين هذه الأسئلة الثلاثة هناك جزءان متوازيان (آ ٨ و آ ١٠). يبدأ كلُّ منهما بوصف يسوع في علاقته بالكتبة والفريسيين. بعد ذلك يتوجّه فيهما يسوع بأمر لصاحب اليد اليبوسة؛ ثم يأتي التركيز على تميم الأمر من قبل المريض. ينتهي الجزء الثاني بذكر شفاء اليد.

### ج - الأفكار الرئيسية في رواية لوقا

- طوال هذه المجابهة لم ينطق الفريسيون والكتبة بكلمة أمام يسوع. سؤالهم الأوّل كان داخلياً لم يُعلنوه بصوت عال؛ لكن يسوع كان يعلم أفكارهم. وسؤالهم الثاني بعد الشفاء كان مُتداولاً بينهم بعيداً عن مسمع يسوع. أما يسوع، الوحيد الذي يتكلّم بصوت عال في النص، فسؤاله الذي يأتي علانية، مُكرّر بشكل يُزيل كلّ التباس، وموجّه بشكل صريح، أمام جسامة المشكلة. لا يُمكن أن تبقى الأمور مخفية تحت ستار الخبث؛ يجب أن تُقال الأشياء بصراحة، وأن تطرح الأسئلة بوضوح.

- سؤال يسوع يتطرق بالطبع إلى تصرفه الخاص: أليس له الحق في الشفاء، في عمل صلاح، في تخليص نفس المريض الذي انتصب في الوسط على حسب صلب يسوع؟ لكن هذا السؤال يتناول أيضاً طريقة تصرف الكتبة والفريسيين الذين كانوا يترقبون الفرصة السانحة ليشتكوا على يسوع، ليعملوا شراً، ليُهلكوه. فكلام يسوع لا يحتوي فقط إعلاناً عن تصرفه، بل أيضاً دينونة لأعدائه. ففي سؤاله كشف ودينونة.

- في مقدّمة الرواية ذُكر أن يسوع كان يُعلّم في المجمع . لكنّ النصّ لا ينقل لنا محتوى هذا التعليم بل الشفاء الذي عمله يسوع . العمل الذي قام به يسوع كان تعليمًا بالأعمال . فجوابًا على أفكار الكتبة والفريسيّين سعى يسوع لإعطاء المعنى الحقيقي لشريعة السبت . والكتبة والفريسيّون لم يتقدّوه لأنّه كان يُعلّم في السبت ، بل لأنّه كان يشفي . فالشفاء بالنسبة إليهم هو عملٌ ، خلافاً للتعليم . أظهر يسوع من خلال هذا الشفاء بأن حقيقة السبت مؤلّفة من وجهين متكاملين لعمل واحد .

- السبت حُعل لتحرير الإنسان . يسوع يعمل بشريعة السبت لأنّه يُتمّم ما عمله الله مع شعبه من تحرير من العبوديّة في مصر . إنّه يعمل صلاحًا ويُعطي حياة وحركة كاملة للإنسان المريض . أمّا الفريسيّون الذين يعتبرون أنفسهم عارفي الكتب ، فإنّهم يتهكّون شريعة السبت مرتين : يُفضّلون أن يبقى الإنسان مريضًا وعاجزًا بدلاً من تحريره يوم السبت ، ويسعون في يوم السبت لإهلاك يسوع ، سائرين عكس وصيّة « لا تقتل » .

- الإنسان الذي شُفي في ذاك السبت كانت يده اليمنى يابسة ، أي أنّه كان عاجزًا عن العمل . كان محكومًا عليه بسبت مستمر ، أو بالأحرى لم يكن باستطاعته حفظ شريعة السبت لأن الراحة في يوم السبت كانت مرتبطة جوهريًا بالعمل في الأيام الستة السابقة . فيسوع لم يكتف فقط بحفظ شريعة السبت ، ولم يكتف أيضًا بدعوة الكتبة والفريسيّين لفهم المعنى الحقيقي للسبت ، بل أعطى المريض أن يحفظ شريعة السبت من خلال إعطائه إمكانيّة العمل في سائر أيام الأسبوع .

## ٧ - الختام : قراءة رمزيّة لرواية شفاء صاحب اليد اليابسة

لن نُكرّر في الخاتمة الخلاصات اللاهوتيّة أو الكرسولوجيّة التي استنتجناها من قراءتنا المختلفة لرواية شفاء صاحب اليد اليابسة . كلّ ما توصلنا إليه جوهري ويدخل في المعنى الأساسي لرواية الشفاء . ولكن ، برأينا ، كلّ ما ذكرناه عن خطورة يسوع وتهديده للمصالح الفريسيّة وتعاليمهم ، وعن تفسيره الجريء للشريعة والمعنى السبت وللتغييرات التي أتى بها ، لم يكن كافيًا لجعل الكتبة والفريسيّين يُقرّرون قتله في نهاية هذه الرواية . نجد مدارس تفسيرية متحرّرة عديدة قد خالفت التفسيرات الفريسيّة ولها مفاهيم متطوّرة في هذا المجال ، لكنّ الجدال والمجابهات بينها ظلّت على مستوى النقاش والتحزّب فقط . فما هو السبب الأساسي الذي رآه الفريسيّون بيسوع والذي دفعهم لأخذ القرار بالتخلّص منه ؟ لا شك أنّ القراءة الرمزيّة ، التي سنتطرق إليها والتي تركز على بعض المقاربات

الكتابية بين الرواية وكتب العهد القديم التي يعرفها الفريسيون عن ظهر قلب وخاصة سفر التكوين وبالتحديد رواية الخلق الثانية، سوف تُجيب على هذا السؤال.

تك ٢: ٨-٩: «وغرس الربّ الإله جنةً في عدن شرقاً وجعل هناك الإنسان الذي جبله. وأنبت الربّ الإله من الأرض كلّ شجرة حسنة المنظر وطيبة المأكّل وشجرة الحياة في وسط الجنة وشجرة معرفة الخير والشرّ».

تك ٣: ٢٢-٢٣: «وقال الربّ الإله: هوذا آدم قد صار كواحد منّا يعرف الخير والشرّ. فلا يمدّن الآن يده فيأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل فيحيا إلى الأبد. فأخرج الربّ الإله آدم من جنة عدن ليفلح الأرض التي أخذ منها».

إذا قرأنا النصّ السبعيني للمقطعين السابقين مع رواية لوقا نجد أنّهما يستعملان العبارة نفسها «في الوسط» حيث أنبت الربّ الإله شجرة الحياة وحيث طلب يسوع من صاحب اليد اليابسة أن يقف. مع العلم أنّ فكرتي «وسط الجنة» و«وسط المجمع» تتقاربان. نجد أيضاً تقارباً بين شجرة معرفة «الخير والشرّ» وسؤال يسوع عن عمل «الخير» (في إنجيل متى؛ مرقس ولوقا يتحدثان عن الصلاح) و«الشرّ» (عند مرقس ولوقا).

لقد استعملت الرواية الثانية للخلق في البداية عبارة «الإنسان» وفي النهاية عبارة «آدم» (الرجل الذكر). نصّ لوقا أيضاً يستعمل عبارة «الإنسان» في البداية وبعد ذلك عبارة «الرجل».

المقاربة الأساسية الثالثة هي استعمال العبارة نفسها في حكم الربّ الإله وفي الشفاء الذي قام به يسوع: «فلا يمدّن يده» و«مدّ يدك». والجدير بالذكر أنّ كلمة «الآن» في حكم الربّ الإله أساسية لفهم العلاقة بين النصين. فالآن، أي بعد السقطة، لا يستطيع الإنسان أن يمدّ يده إلى شجرة الحياة. «الآن» تعني أنّه سيأتي وقت بعد هذه «الآن» يستطيع فيه الإنسان أن يقف في وسط الجنة حيث هي شجرة الحياة وأن يمدّ يده ويأخذ من ثمرها ويأكل منه فيحيا إلى الأبد... وهذا ما حقّقه يسوع.

لماذا قرّر الكتبة والفريسيون قتل يسوع؟ لأنّهم فهموا هذه المقاربة وهذا البعد الرمزي الذي يجعل من يسوع الشخص المناسب الذي يُعطي الإنسان إمكانية الحياة إلى الأبد. الربّ الإله أعطاه إياها في البدء، ولما أضاعها أرجعها إليه يسوع. خاتمة حياة يسوع الأرضية كانت الصليب لكنّ قيامته هي البرهان الأكيد على أنه سيّد الحياة ومعطيها.

الأب أنطوان عوكر

## نهاية مرقس: رسالة المؤمنين والآيات

(مر ١٦: ١٥-٢٠)

كتب الإنجيلي مرقس خاتمة إنجيله بثماني آيات فقط (مر ١٦: ١-٨) تروي لنا ذهاب النسوة إلى القبر حيث وجدن أن الحجر قد دُحرج وقد أبلغهنّ ملاك جالس عن اليمين قيامة المسيح وطلب إليهنّ أن يبشّرن الرسل (٧ آ). ولكنّ النسوة هربن خائفات ولم يقلن لأحد شيئاً (٨ آ).

ولكن هل من المعقول أن ينتهي إنجيل مرقس بهذه الطريقة المأساوية المفاجئة؟ كيف نطابق بين طلب الملاك إلى النسوة بنقل البشارة للرسل وبين صمت النسوة؟ ماذا حدث بعد القيامة (١)؟

هذه التساؤلات حول الفراغ الذي تركته خاتمة الإنجيل الثاني، دفعت مرقس أو أحد تلاميذه (٢) ليكتب خاتمة طويلة (مر ١٦: ٩-٢٠) اعتاد الشراح على تسميتها بالخاتمة

(١) حاولت بعض المخطوطات أن تملأ الفراغ الذي تركته خاتمة مرقس الأصلية فأضافت بعد آ ٨ هذه الخاتمة القصيرة: «وحملت (النسوة) بإيجاز إلى رفاق بطرس كلّ ما أعلن لهنّ. بعد هذا، ظهر يسوع نفسه لهم، وجعلهم يحملون من المشرق إلى المغرب بلاغ الخلاص الأبدي، المقدّس والذي لا يفسد، آمين (إزائية الأناجيل الأربعة ص ٦٠١).

(٢) لا نعلم هل قرّر مرقس أن يُنهي إنجيله بهذه الطريقة المفاجئة، أم أنه كتب خاتمة أخرى وفُقدت، فحاول أحد تلاميذه أن يكتب خاتمة أخرى بحسب روح تعليم مرقس؛ وقد يكون أحد تلاميذ مرقس في مرحلة متأخرة لاحظ النقص في خاتمة الإنجيل، فحاول أن يطابق خاتمة إنجيل مرقس مع خاتمات الأناجيل الأخرى، فاستوحى من أخبار القيامة في إنجيل لوقا ويوحنا وعرضها بأسلوبه الخاص في نهاية الإنجيل الثاني.

القانونية؛ هذه الخاتمة تستوحي بشكل واسع من إنجيل لوقا ويوحنا وبخاصة من كتاب أعمال الرسل. تخبرنا هذه الخاتمة القانونية أن المسيح القائم من الموت أرسل تلاميذه إلى الرسالة الشاملة للمؤمنون تصحبهم الآيات، باسمه يطردون الشياطين ويتكلمون بلغات لا يعرفونها ويمسكون الحيات بأيديهم وإن شربوا شراباً قاتلاً لا يؤذيهم ويضعون أيديهم على المرضى فيتعافون.

سنعالج في حديثنا هذه الآيات التي تتبع المؤمنين بحسب التصميم التالي:

أولاً: هل تتبع الآيات الرسل أم المؤمنين؟

ثانياً: الرسالة الشاملة والآيات.

ثالثاً: الإيمان واللاإيمان أمام الآيات.

رابعاً: طرد الشياطين.

خامساً: التكلم باللغات.

سادساً: الآيات الأخرى.

## أولاً: هل تتبع الآيات الرسل أم المؤمنين

لا يستعمل المسيح القائم من الموت صيغة المخاطب فيقول مثلاً للتلاميذ: هذه الآيات تتبعكم، باسمي تطردون الشياطين... ولكنه يستعمل صيغة الغائب فنرى أن الآيات تتبع المؤمنين؛ هل هذا يعني أن المسيح استثنى الرسل من صنع الآيات؟

حين أرسل يسوع الإثني عشر إلى الرسالة أعطاهم سلطاناً على شفاه المرضى وطرد الشياطين: «أقام منهم إثني عشر لكي يصحبوه فيرسالهم يبشرون ولهم سلطان يطردون به الشياطين» (مر ٣: ١٤-١٥). ولكن خاتمة مرقس القانونية لا تهتم بموضوع الأحد عشر، بل هي توجه أنظارنا إلى انتشار الرسالة الشاملة بين الوثنيين على يد تلاميذ الرسل كما وردت في كتاب الأعمال. وبالفعل إننا نرى المسيح القائم من الموت يرسل الأحد عشر إلى الرسالة ولا نعلم هل توصلوا إلى الإيمان أم لا؛ لم يتوقف كاتب هذه الخاتمة عند هذه الأمور لأنه يكتب في مرحلة متأخرة من القرن الأول؛ يعتبر هذا الكاتب أن المؤمنين يعرفون أخبار الظهورات للرسل فلم بلجأ إلى التكرار.

وهناك أمر آخر يدفعنا إلى الاعتقاد أن هذه الخاتمة كُتبت في مرحلة متأخرة وهو الرسالة الشاملة بين الوثنيين؛ فالرسل لم يتوجهوا إلى تبشير الوثنيين (٣) إلا بعد مجمع أورشليم (عام ٤٩) كما أن بطرس قد عمّد بيت كورنيليوس الوثني بتدخل خاص من الروح القدس (أع ١٠) وهكذا جرى لفيلبس مع خازن ملكة الحبشة (أع ٨: ٢٦-٤٠)؛ وقد جاهد بولس فترة طويلة ليُقنع الرسل بضرورة تبشير الوثنيين (أع ١٥؛ غل ٢).

لذلك نعتبر أن خاتمة مرقس القانونية تشكّل إجمالة تُضاف إلى مجموعة الإجماليات في إنجيل مرقس (مر ١: ١٤-١٥؛ ١: ٢-٢؛ ٧: ٣-١٩..). يختصر فيها كاتب الخاتمة القانونية مواضيع لاهوتية عميقة: الإيمان، العماد، الخلاص، صنع الآيات وغيرها، واعتبر الكاتب أن المبشرين استلموا رسالتهم من المسيح القائم من الموت.

## ثانياً : الرسالة الشاملة والآيات

تفردّ خاتمة مرقس القانونية بعرض الرسالة الشاملة إلى الوثنيين بحسب التصميم التالي:

أ - الارسال إلى البشارة في الخليقة كلها.

ب - من يؤمن ويعتمد يخلص ومن لا يؤمن يُدان.

ج - الآيات تتبع المؤمنين.

نحن لا نجد في الأناجيل الأخرى هذا الارتباط بين تبشير وتعميد الوثنيين من جهة، وبين سلطان الآيات الممنوح من جهة أخرى.

فالمسيح، في إنجيل متى، يرسل تلاميذه لتبشير الأمم وتعميدهم باسم الأب والابن والروح القدس (مت ٢٨: ١٩). ولكننا لا نجد في هذا المرجع، الذي يوازي خاتمة مرقس، ذكراً لمنح سلطان الآيات!

---

(٣) منع المسيح تلاميذه من تبشير الوثنيين والسامريين (مت ١٠: ٥-٦) ولكن هذا لا يعني أن يسوع تجاهل تبشير الوثنيين فقد توجه يسوع إلى نواحي صور وصيدا وشفى ابنة المرأة الكنعانية التي قالت إن صغار الكلاب تأكل من الفتات الذي يتساقط عن موائد اصحابها (مت ١٥: ٢١-٢٨)؛ كذلك شفى المجنونين في بلاد جدارة الواقعة في أرض وثنية (مت ٨: ٢٨-٣٤).

من الواضح أن كاتب الخاتمة القانونية قد شاهد الآيات تجري على يد المبشرين في زمن متأخر من حياة الكنيسة؛ ولكتنا نتساءل: لماذا سبق كاتب هذه الخاتمة سلطان الآيات ووضعه أثناء إرسال المسيح القائم تلاميذه؟ وبعبارة أخرى: ما هو الارتباط الذي أراده الكاتب بين قيامة المسيح وسلطان الآيات؟

يقول كتاب الأعمال إن قيامة المسيح هي تجلّي قدرة الله وهي برهان عن قدرته الفائقة. ويستعمل كتاب الأعمال عبارة: الله أقامه ١٣ مرّة للدلالة على هذه القدرة (أع ٢: ٢٤؛ ٣: ١٥...). ولكن قدرة الله لم تتوقّف عند قيامة المسيح بل هي تستمرّ في التاريخ؛ لذلك أعطى المسيح القائم من الموت قدرته الفائقة إلى تلاميذه بأن يصنعوا الآيات لتبرهن هذه الآيات صدق شهادة الرسل والمبشرين الذين شاهدوا المسيح القائم من الموت. وبالفعل نجد في كتاب الأعمال توضيحاً لهذا الارتباط بين الشهادة بقيامة يسوع وصنع الآيات: «كان الرسل يؤدّون الشهادة بقيامة الرب يسوع تصحبها قوّة عظيمة» (أع ٤: ٣٣).

إن الناس الذين يشاهدون آيات الرسل والمبشرين يجدون نفوسهم أمام قيامة المسيح، لأنهم يختبرون الآيات التي هي نتيجة القيامة: فالمسيح القائم أعطى الرسل سلطان الآيات ليشهدوا لقيامته.

هذا هو السبب الذي دفع كاتب خاتمة مرقس ليربط بين الإرسال إلى البشارة وصنع الآيات. لذلك يشرح بطرس شفاء المقعد (أع ٣) في هذا الإطار مبرهنًا أن الإيمان باسم يسوع القائم من الموت أعطى القوة للمقعد: «أقامه الله من بين الأموات، ونحن شهود على ذلك... والإيمان الذي من عند يسوع هو الذي وهب لهذا الرجل كمال الصحة هذه» (أع ٣: ١٥-١٦).

باختصار نقول: إن الآيات هي تأوين القيامة في حياة الكنيسة.

## ثالثاً: الإيمان واللايمان أمام الآيات

من الواضح أن الفكرة الأساسية التي تسيطر على خاتمة مرقس القانونية هي التعارض بين الإيمان واللايمان؛ وقد عرض الكاتب تفكيره على مرحلتين:

- في مرحلة أولى (مر ١٦: ٩-١٤) أثناء ظهور الربّ للمجدليّة والتلميذين والأحد عشر.

- في مرحلة ثانية (مر ١٦: ١٥-٢٠) في مناسبة إرسال الأحد عشر إلى الرسالة .

ففي المرحلة الأولى نلاحظ أن المجدلية شاهدت الرب وآمنت ولكن الأحد عشر لم يصدّقوا كلامها؛ كذلك الامر بالنسبة للتلميذين في الطريق؛ وقد ظهر القائم من الموت أمام الأحد عشر وبيخهم على قلة إيمانهم . ونحن لا نعلم إذا كان الأحد عشر وصلوا إلى الإيمان أو لا<sup>(٤)</sup>، فالمسيح أرسلهم فوراً إلى الرسالة<sup>(٥)</sup>. هكذا نستنتج في هذه المرحلة الأولى أن الكاتب أراد أن يعرض لنا إيمان بعض الشهود وإيمان البعض الآخر .

أما في المرحلة الثانية فالمسيح القائم من الموت يرسل الأحد عشر إلى الرسالة الشاملة بين الوثنيين، وهذه الرسالة ستعطي نتيجة إيجابية أو سلبية: فمن يؤمن ويعتمد يخلص ومن لم يؤمن يُدان. إن الإيمان وقبول العماد هما النتيجة الطبيعية لسماع البشارة في حين أن اللاإيمان هو رفض البشارة وهو يؤدي إلى الدينونة .

بالنتيجة تؤكد الخاتمة القانونية أن الآيات تتبع المؤمنين الذين قبلوا البشارة؛ وبعبارة أخرى، إن الآيات لا تعني شيئاً لغير المؤمنين؛ فالآية تتطلب الإيمان وهي لا تملك قيمة برهانية إلا للنفوس المحضرة . وهنا نلتقي بمعنى آخر لكلمة آية وهو علامة ونحن نجده بوفرة في العهد الجديد :

- الاسخريوطي أعطى علامة (سيميون) لعظماء اليهود (مت ٢٦: ٤٨) وهي أن الذي يقبله يكون هو فامسكوه . هذه العلامة يفهمها فقط الاسخريوطي وعظماء اليهود، إنها لغة تخاطب بين فريقين يجهل فريق ثالث مضمونها، لذلك لم يفهم التلاميذ الموجودون في البستان معنى هذه العلامة، هذه القبلة . بقي معنى هذه القبلة مغلقاً عليهم ولكن بالطبع فهم يسوع معنى هذه القبلة بقدرة فائقة الطبيعة فقال للاسخريوطي: أقبلة تسلم سيدك؟

---

(٤) حيث ظهر يسوع لتوما وأراه جراحه، آمن توما وقال: «ربي وإلهي» (يو ٢٠: ٢٨)، وهل آمن الأحد عشر في إنجيل مرقس؟

(٥) تجاهل الكاتب أيضاً دور الروح القدس، ونحن نستغرب كيف يُرسل يسوع الأحد عشر إلى الرسالة دون أن ينالوا الروح القدس؛ لقد شدّد يوحنا على أن المسيح القائم أعطى تلاميذه الروح (يو ٢٠: ٢٢-٢٣). كذلك وعد المسيح تلاميذه، في إنجيل لوقا، بإرسال الروح (لو ٢٤: ٤٩) إن صمت خاتمة مرقس عن دور الروح القدس هو دليل أننا في مرحلة متأخرة، فالمؤمنون اختبروا دور الروح القدس الذي يعرضه كتاب الاعمال بشكل مفصل، فاعتبر الكاتب أنه لا فائدة من التكرار .

- يقول بولس في ٢ تس ٣: ١٧ «هذا السلام بخط يدي أنا بولس تلك علامتي في كل رسائلي»؛ هذه العلامة يعرفها بولس وتعرفها الكنائس التي تعودت على قراءة رسائله، ومن الطبيعي أن هذه العلامة لا يفهمها الذين هم خارج الكنائس.

نلاحظ بعد هذا العرض أن الآية هي أحياناً علامة لا يفهمها إلا المؤمنون؛ إذاً ليس من الضروري أن يتبع الإيمان الآيات وهذا ما شدّد عليه إنجيل يوحنا الذي يقول: «أتى يسوع بجميع هذه الآيات بمرأى منهم ولم يؤمنوا به» (يو ١٢: ٣٧).

إن الآيات تبعت المؤمنين وتبعهم إلى اليوم، وهي برهان على صدق شهادة المبشرين بقيامة المسيح. ولكن حتى تكون معاني الآية مفهومة ومقبولة، علينا أن نفتح قلبنا بالإيمان لندرك عمق معانيها.

## رابعاً : طرد الشياطين

يحتلّ طرد الشياطين مكاناً مهماً في العهد الجديد. فنشاط يسوع الرسولي في إنجيل مرقس بدأ بطرد الشياطين في كفرناحوم (مر ١: ٢٣-٢٨). وحين انتقل يسوع إلى البلاد الوثنية، إلى بلاد الجراسيين، طرد الشياطين هناك (مر ٥: ١-٢٠ وز) وطرد الشيطان من الصبي المصاب بالصرع (مر ٩: ١٤-٢٩ وز).

كذلك يعطي العهد الجديد تسميات عديدة للشيطان وهذه أهم التعابير المستعملة:  
١- الشيطان (=ساتان) تعني الكلمة العبرية العدو (مت ٤: ١٠؛ مر ١: ١٣؛ لو ١٨: ١٠).

٢ - الشيطان (= ديمون) تعني الروح الشرير (مت ٨: ٣١؛ رؤ ١٦: ١٤).

٣ - ابليس (= ديابولوس) (مت ٤: ١؛ لو ٨: ١٢؛ يو ١٣: ٢).

٤ - الروح النجس (= بنوماتوس اكاسارتوس) (مت ١٠: ١؛ مر ١: ٢٣؛ لو ٣٦: ٤).

ونجد إلى جانب هذه التسميات بعض التسميات الأخرى المشتقة منها. أمام هذه التسميات المتعددة يصعب علينا أن نحيط بكل معاني الشيطان في العهد الجديد. ونلاحظ عند مقابلة نصوص الإنجيليين الموازية التي تتكلم عن طرد الشياطين، أن متى ومرقس

خففاً في قليل من الاحيان الوجهة الشيطانية لبعض النصوص لدى مرقس . وهذه بعض الامثلة التي توضح ذلك الامر :

أ - حين يروي مرقس شفاء ابنة المرأة الكنعانية التي فيها روح نجس (مر ٧: ٢٥) نلاحظ أن متى يقول في النص الموازي «إبنتي مجنونة جداً» (مت ١٥: ٢٢) . هكذا نكون قد انتقلنا من الابنة التي فيها روح نجس (مرقس) إلى الابنة المريضة (متى).

ب - نجد في تبشير يسوع الاول في الجليل لدى مرقس أن يسوع كان يشفي المرضى ويخرج الشياطين (مر ١: ٣٩) غير أن مت ٤: ٢٣ الذي يوازي هذا النص يتجاهل طرد الشياطين؛ وهكذا فعل لوقا مثله (لو ٤: ٤٤).

ج - في حادثة شفاء الجموع عند البحر لدى مرقس (مر ٣: ٧-١٢) نرى أن الارواح النجسة خرجت أمام يسوع وقالت إنك أنت ابن الله؛ ولكن نص متى الموازي (مت ٤: ٢٤-٢٥ + ١٢: ١٥-١٦) يتجاهل موضوع الشياطين.

إن تخفيف متى ولوقا الوجهة الشيطانية لهذه النصوص لدى مرقس، يجعلنا نعتقد أنه أثناء تبشير الرسل أخذ مفهوم الشيطان المعروف لدى الناس يتغير تدريجياً؛ كان الناس يعتقدون أن الشيطان يمتلك الإنسان، فتغير هذا المفهوم وأصبح الحديث يدور عن الإنسان المريض.

ونلاحظ أن مرقس نفسه في إنجيله، شرح طرد الشيطان في هذا المفهوم الجديد؛ فإذا قرأنا طرد الشيطان في كفرناحوم لدى مرقس (مر ١: ٢٣-٢٨) نلاحظ أن الإنجيلي الثاني يقول إن الجموع دهشت وقالت: ما هذا؟ تعليم جديد بسطان! حتى الارواح النجسة يأمرها فتطيعه! يوجه مرقس انتباهنا إلى أن الجموع، أمام معجزة طرد الشياطين، دهشت من تعليم يسوع الجديد الذي يلقيه بسطان؛ في حين أن طرد الشيطان حل في مرتبة ثانية في اهتمام الجموع.

في هذا الاطار شرح يسوع انتصاره على الشياطين في معرض رده على الكتبة الذين اتهموه، إنه يطرد الشياطين بأركون الشياطين فقال: « إذا كنت أنا بروح الله أطرد الشياطين، فقد وافاكم ملكوت الله» (مت ١٢: ٢٨). إن يسوع بكلامه عن ملكوت الله الذي أقبل، دشّن مرحلة جديدة في تاريخ الخلاص؛ إن تقسيماته على الشياطين تعني أن

ملك الشيطان قد انتهى وتأسس ملكوت جديد؛ لذلك تتخذ التقسيمات على الأرواح بُعداً اسكاتولوجياً.

تابع الرسل والمؤمنون من بعدهم رسالة يسوع بطرد الشياطين، (أع ١٦: ١٨)؛ لهذا شدّد كاتب خاتمة مرقس القانونية على هذا الموضوع؛ إن المبشّرين الأوّلين كانوا يعظون البشارة الجديدة؛ حين يصل الموعظون إلى الإيمان، كان المبشّرون يطردون منهم الأرواح النجسة ويمحنونهم سرّ العماد؛ ولا نزال نلاحظ حتى اليوم أثر التقسيمات في منح سرّ العماد، فالكاهن في رتبة العماد يقسم على الأرواح قبل أن يمنح السرّ.

## خامساً: التكلّم باللغات

### ١ - النصوص الكتابية

يعرض لنا العهد الجديد في عدة مواضع أن بعض المؤمنين الأوّلين كانوا يتكلّمون باللغات:

أ - حين كان التلاميذ في العلية، حلّ عليهم الروح القدس، فأخذوا يتكلّمون بلغات غير لغاتهم، أي بلغات الشعوب الأخرى (اع ٢: ٧).

ب - حين اعتمد كورنيليوس وأهل بيته على يد بطرس، سمعهم المؤمنون يتكلّمون بلغات ويعظّمون الله (اع ١٠: ٤٦).

ج - حين وضع بولس يديه على تلاميذ يوحنا المعمدان في أفسس، نزل عليهم الروح القدس فأخذوا يتكلّمون باللغات ويتنبأون (اع ١٩: ٦).

د - يقدّم بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنتوس شرحاً مفصلاً عن موهبة التكلّم باللغات؛ فيقول بولس إن الروح أعطى تنوع الألسن إلى بعض المؤمنين (١ كور ١٢: ١٣) ووهب البعض موهبة تفسير الألسن (١ كور ١٢: ١٠) وهذه الموهبة تُكمل الأولى؛ ويعتبر بولس أن الذي يتكلّم باللغات لا يُكلّم الناس بل الله فما من أحد يفهم كلامه فهو يقول في الروح أشياء خفية (١ كور ١٤: ٢)؛ لذلك يجب وجود شخص يُترجم خطبته إلى لغة مفهومة؛ إذا دخل غير المؤمن إلى اجتماع يتكلّم فيه الجميع بلغة غريبة، يقول عنهم إنهم مجانين (١ كور ١٤: ٢٣).

## ٢ - أشكال التكلم باللغات

إذا دققنا في قراءة هذه النصوص التي نجدها في كتاب الأعمال وفي الرسالة الأولى إلى كورنتوس نلاحظ أننا أمام شكلين من أشكال التكلم باللغات:

أ - الشكل الأول: الرسل والمؤمنون الأولون يُلقون خطاباً انخطافية تتضمن عبارات غير مفهومة في أية لغة بشرية (كورنيليوس وأهل بيته، أع ١٠: ٤٤-٤٦؛ أهل كورنتوس، ١ كور ١٤: ٢٣).

ب - الشكل الثاني: تكلم الرسل والمؤمنون بلغات غير لغاتهم ولكن هذه اللغات هي لغات الشعوب الغريبة وهي مفهومة من السامعين الغرباء (الرسل بعد حلول الروح في العلية، أع ٢: ٨، ١١).

نلاحظ بعد دراسة هذين الشكلين من التكلم باللغات أنه يوجد ارتباط وثيق بين عطية الروح وموهبة التكلم بالألسن؛ فجميع المناسبات المذكورة في أعمال الرسل رافقها حلول الروح القدس وبولس يتكلم عن مواهب الروح (١ كور ١٤: ١). كذلك نلاحظ تلازماً بين التكلم باللغات والنبوءة؛ إن الأناشيد التي يرفعها المتكلمون باللغات إلى الله هي من نوع النبوءة؛ إنها صلوات انخطافية ألهمها الروح القدس للمؤمنين الذين قبلوا الروح، لذلك أخذ المؤمنون يمدحون الله الذي صنع العظام. ولعل التكلم باللغات والنبوءة هي أناشيد ملهمة شبيهة بنبوءة زكريا والد يوحنا المعمدان الذي تنبأ قائلاً: «تبارك الرب إله إسرائيل...» (لو ١: ٦٧-٦٨). كذلك قالت مريم: تعظم نفسي الرب... (لو ١: ٤٦).

لاحظ كاتب الخاتمة مرقس القانونية انتشار موهبة التكلم باللغات في الكنيسة فاعتبرها أنها آية تُضاف إلى الآيات الأخرى التي منحها المسيح القائم من الموت لتلاميذه؛ إن المؤمنين الذين نالوا الروح القدس سبّحوا الله باللغات سواء أكانت هذه اللغات مفهومة لدى مستمعهم أم كانت لغات إنخطافية.

## سادساً: الآيات الأخرى

ذكر كاتب الخاتمة القانونية، إلى جانب الآيات التي ذكرناها، آيات أخرى بقوله: يُمسكون الحيات بأيديهم، وإن شربوا شراباً قاتلاً لا يؤذيهم، ويضعون أيديهم على المرضى فيشفون.

لقد أعطى المسيح لتلاميذه سلطاناً يدوسون به الحيات (لو ١٠: ١٩)؛ وحين كان بولس في جزيرة مالطة، أثناء رحلة الأسر، خرجت أفعى من الحطب وتعلقت بيده، فظنّ الناس أنها ستقتله، أما بولس فنفض الأفعى في النار ولم يلحقه أذى (اع ٢٨: ٣-٥).

يقول أوسابيوس في كتابه «تاريخ الكنيسة ٣، ٣٩» نقلاً عن بابياس أن يوستوس الذي كان ينافس متيا ليحلّ مكان الإسخريوطي، حزن عند اختيار متياً فشرب سمّاً مميتاً ولكنه لم يشعر بالأذى بفضل نعمة الرب.

يُخبرنا كتاب الأعمال أن حننيا وضع يديه على شاول الذي فقد بصره على طريق دمشق، فشفي بولس (اع ٩: ١٢، ١٧)؛ كذلك حين كان بولس في مالطة وضع يديه على والد بوبليوس، حاكم المدينة، فشفاه (اع ٢٨: ٨).

## خاتمة

إن الآيات التي صنعها يسوع، ومن بعده الرسل والمبشرون، هي أعمال خارقة أظهرت قدرته ومجده ودفعت الناس إلى الإيمان. ولكننا نلاحظ أنه، حتى أثناء بشارة المسيح، بدأت الآيات تأخذ معنى جديداً؛ فأمام الذين جاؤوا إليه طالبين آية ليؤمنوا، رفض يسوع أن يعطيهم آية سوى آية يونان النبي (مت ١٢: ٣٨ ي)؛ إن يونان الذي بقي في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ أضحى صورة عن المسيح الذي مات. لعل آية الصليب هي الآية الكبرى التي قدّمها يسوع لمستعميه المتشككين لكي يؤمنوا.

وقد تطابق بولس الرسول مع المعلّم الألهي فأعلن إلى أهل كورنتوس قائلاً: «إن اليهود يطلبون الآيات واليونانيين الحكمة، أما نحن فنبيشّر بالمسيح مصلوباً» (١ كور ١: ٢٢-٢٣).

لقد أخذت الآيات معنىً جديداً، معنىً روحياً، وأصبحت مُغلقة عن عين الجسد؛ لذلك لا يمكن فهم معانيها الا بعين الإيمان؛ فالإيمان هو شرط أساسي لمعرفة مدلول الآيات.

إن الآيات تحركّ فينا موقفاً مثل الذي حرّكته لدى نيقوديموس؛ إن معلّم الشريعة هذا لاحظ، بعد رؤية الآيات، إنه لا يستطيع أحد أن يقوم بهذه الآيات إلا من كان الله معه؛ لهذا السبب أتى إلى يسوع.

لعلنا نتخلّى عن طلب رؤية الامور الخارقة ونستعيضُ عنها برؤية آيات روحية تفعل  
في قلوبنا المؤمنة وذلك بواسطة عمل الروح.

الخوري

نعمة الله خوري

## معجزة قانا الجليل

يوحنا ٢: ١-١١

### تمهيد

تحتوي دراستنا جزئين: جزء أول يعالج، بشكل موضوعي، نصّ يوحنا ١/٢-١١ (حدود النصّ، هيكلية، تحليل أدبي لبعض الآيات)؛ وجزء ثانٍ يتطرق إلى البعد الرمزي... لمعجزة قانا الجليل.

«أثناء الأيام البيبليّة»، ألقى الجزء الأول بواسطة صور «Slides» يُعرض مضمونها هنا؛ أما الجزء الثاني، فتمّ بشكل «حوار» مع الجمهور، نعرض مضمونه من بعد.

حدود النص

أ- الإطال، المباشرة

من بعد  
طرد الباعة من الهيكل  
(١٣/٢ - ٢٣)

من قبل  
دمرة التلاميذ الأولين  
(٣٥/١ - ٥١)

ب- و وضع حد لـ

الزمان  
"في اليوم الثالث"  
(من دموة فيلبس و تيتا تارل)

المكان  
انتقال يسوع من  
من "الناصره الى القيسريان"

الأشخاص  
أم يسوع - يسوع  
التلاميذ - أهل القيسريان

ج- "الناجحة و الخاطئة" (INCUSION)

المسار: "في قانا الجليل" (١١ . ١)

الهيكلية

من  
الهيكلية  
الهيكلية  
الهيكلية

- \* تصميم عمودي ← →
- \* توازن يشكّل متبادل ↓ ↓
- \* توازن يشكّل هرمي ↘ ↙

(٣-١) وفي اليوم الثالث، كان في قانا الجليل  
موسى و كانت أم يسوع هناك، فدعى  
يسوع أيضا وتلاميذه الى المرسى.

(٣-٥) و نفذت الطيرى، فقالت ليسوع أمه: ليس  
عندهم خمر! فقال لها يسوع: ما لي وما  
لك، أيتها المرأة؟ لم تأتى ساعتي بعد!  
فقالت أمه للخادم: مهما قال لكم فاعملوه.

(٩-١٠) دعا وكيل المائدة المرسى و قال له: كل  
امرئ يقدم الخمر الجيدة أولا، فإذا سكر  
الناس، قدم ما كان دونها في الجودة.  
أما أنت فحفظت الخمر الجيدة حتى الآن!

(١١) هذه أولى آيات يسوع أنى بها في قانا  
الجليل، فأظهر مجده فأمن به تلاميذه.

(٣-١) وفي اليوم الثالث، كان في قانا الجليل  
موسى و كانت أم يسوع هناك، فدعى  
يسوع أيضا وتلاميذه الى المرسى.

(١١) هذه أولى آيات يسوع أنى بها في قانا  
الجليل، فأظهر مجده فأمن به تلاميذه.

وفي اليوم الثالث، كان في قانا الجليل (٢-١)  
 مرس و كانت أم يسوع هناك، فذمى  
 يسوع أيضا وتلاميذه الى المرس.

(٥-٣) وقدت العير، فقالت ليسوع أمه: ليس  
 عندهم خمر! فقال لها يسوع: ما لي وما  
 لك، أيتها المرأة؟ لم تأني ساعتي بعد؟  
 فقالت أمه للتخدم: مهما قال لكم فاعملوه.

(٨-٦) وكان يوجد هناك ستة أجران من خمر...  
 فقال يسوع للتخدم: املأوا الأجران ماء.  
 فملأوها الى أعلاها. فقال لهم: أخرجوا  
 الآن وناولوا وكيل المائدة: تناولوه.

فما ذاق وكيل المائدة الماء الذي صار خمرًا (٩)

(٩) وكان لا يدري أين وجدت، في حين  
 أن العير الذين خرجوا الماء كانوا يدرون

(٩-١٠) دعا وكيل المائدة المرس و قال له: كل  
 امرئ يقدم العيرة الجيدة أولا، فإذا سكر  
 الناس، قدم ما كان دونها في الجودة.  
 أما أنت فصطفت العيرة الجيدة حتى الآن.

(١١) هذه أولى آيات يسوع أي بها في قانا  
 الجليل، فأظهر مجده فأمن به تلاميذه.

وفي اليوم الثالث، كان في قانا الجليل (٢-١)  
 مرس و كانت أم يسوع هناك، فذمى  
 يسوع أيضا وتلاميذه الى المرس.

(٥-٣) وقدت العير، فقالت ليسوع أمه: ليس  
 عندهم خمر! فقال لها يسوع: ما لي وما  
 لك، أيتها المرأة؟ لم تأني ساعتي بعد؟  
 فقالت أمه للتخدم: مهما قال لكم فاعملوه.

(٨-٦) وكان يوجد هناك ستة أجران من خمر...  
 فقال يسوع للتخدم: املأوا الأجران ماء.  
 فملأوها الى أعلاها. فقال لهم: أخرجوا  
 الآن وناولوا وكيل المائدة: تناولوه.

فما ذاق وكيل المائدة الماء الذي صار خمرًا (٩)

(٩) وكان لا يدري أين وجدت، في حين  
 أن العير الذين خرجوا الماء كانوا يدرون

(٩-١٠) دعا وكيل المائدة المرس و قال له: كل  
 امرئ يقدم العيرة الجيدة أولا، فإذا سكر  
 الناس، قدم ما كان دونها في الجودة.  
 أما أنت فصطفت العيرة الجيدة حتى الآن.

(١١) هذه أولى آيات يسوع أي بها في قانا  
 الجليل، فأظهر مجده فأمن به تلاميذه.

## "في اليوم الثالث..."

"في البدء...:" (١/١) — "شهادة يوحنا" — اليوم الأول

"في القد:" (٢٩/١) — "إعتماد يسوع" — اليوم الثاني

"في القد:" (٣٥/١) — "دعوة أندراوس..." — اليوم الثالث

"في القد:" (٤٣/١) — "دعوة فيلبس..." — اليوم الرابع



"في اليوم الثالث:" (١/٢) — "عرس قانا" — اليوم السابع

## "خلاصة"

حضور يسوع  
والتلاميذ

نفاد الخمير

سلطة وخدمة

الألوية

جهل و معرفة

وفورة الخمير

تجلى يسوع  
وإيمان التلاميذ

"كان ... عرس"

وليمة

(مراكية العروس الى بيت العريس)

المدة: ٧ أو ١٤ يوم

(بحسب التقاليد اليهودية)

"العرس"

يأتي المدعوون يومياً

(خلال كل فترة العيد)

قد

أراد يوحنا

في تنظيم هذه الأحداث

خلال سبعة أيام أن ينظر في

تاريخ الخلاص المسيحي كخلق جديد

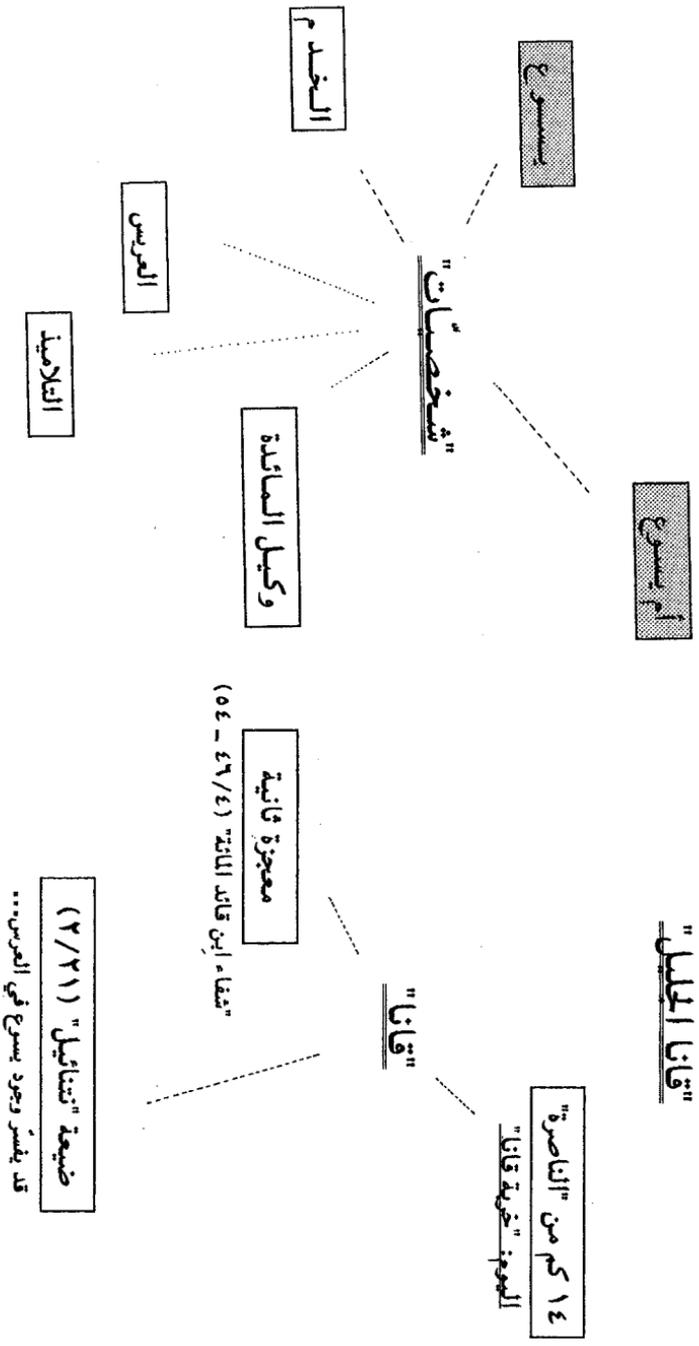
يدشّنه يسوع خلال أسبوع رسالة

تتوجه في اليوم السابع

معجزة قانا

الجليل

\*



"أم يسوع"

برد  
ذكر "مرسيم"  
مرتبة في إنجيل يوحنا  
و دائماً تحت لقب

"أم يسوع"

المختوم في العرس

(١. آ)

ثلاث مواقف

مخاطبة يسوع

(٣. آ)

مخاطبة الاقدم

(٥. آ)

"عند أقدم الصليب"

(ختم حياة يسوع الملتية)

في "قانا الجليل"

(بداية حياة يسوع العلنية)

قد يدل

استعمال هذا اللقب  
(ثلاث مرات في الشهادين)  
على أهمية عنصر  
"الأوممة"

٢. مخاطبة يسوع

هل تطالب مريم يسوع  
بإجراء معجزة؟

"ليس عندهم خير"

تفيد يسوع  
بالأزمة الحاصلة

تضع ثقته بيسوع  
على هذه الأزمة

١. الحضور في العرس

ليست من "المدعوين"

"و كانت أم يسوع هناك"

يبدو أنها من "أهل البيت"

لها علاقة قرابية  
مع أحد المهرسين؟

"يسوع"

٣. مخاطبة الخدم

الدعوة الى العرس  
(٢. ٨)

"تمهما قالوا لكم فافعلوه"

ثلاث مواقف

دعوة الخدم الى

مخاطبة آمنة  
(١. ٣)

تنفيذ مباشر

طاعة عمياء

مخاطبة الخدم  
(٨. ٧ - ٨. ١)

لكلمة "يسوع"

"أنتها المرآة"

يكرّر

هذا "المأذى"

ثلاث مرات في إنجيل يوحنا

إنه لعقب

إحترام  
(المرآة السامريّة: ٤/٢٧)

مسافة واجبة

"ما لي وما لك؟"

إختلاف في الآراء

مخاطبة أمه

تقدير

(المرآة الانانيّة: ٨/١٠)

تعزّية

(مزمع المجدليّة: ٢٠/١٥)

تمييز "الأدوار"

"أنتها المرأة"



لا

يمكننا أن

نرى في هذا "النادى"

تعبيراً غير لائق موجه لربم

بل لقب احترام يهد دائماً للاعلان

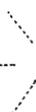
عن حدث مهم

يلي

دائماً "هذا النادى"

في إنجيل يوحنا

إعلان مسيحي



ألهية المسيح

المرأة السامرية: ٤/٢٦

قدا - المسيح

(المرأة الزانية: ٨/١٧)

قيامه المسيح

(مرم الجديثة: ٢٠/١٦)

"لم تأتِ ساعتِي بعدُ"

"he hōra mou ēkei oupō"  
لم تأتِ ساعتِي



يجوز احتمالان لترجمة المصطلح اليوناني "oupō" :

علامة "تفي" : "الم..."

علامة "استفهام" : "الم...؟"



"لم تأتِ ساعتِي بعدُ"

أو

"الم تأتِي ساعتِي بعدُ؟" \*

\* يأتي دائماً "oupō" بصيغة "النفى" عندما يسبق

الفاعلُ الفعل (مر ٢/١١ ؛ يو ٨.٦/٧ ؛ ٥٧/٨) :

بينما يأتي دائماً بصيغة "الاستفهام" عندما تسبقه

عبارة استفهامية أولى ، فيوضِّح الفعل قبل الفاعل

(مر ٤/٤ ؛ ٤٠.١٧/٨ ؛ متى ٩/١٦).

\* تُستخدَم صيغة "الاستفهام" عند يوحنا للتشديد على

موقف إيجائي: فيقول يسوع في ٣٧/١٢ : "والآن..."

ماذا أقول؟ يا أبت، تحنني من تلك الساعة؟ فما

أبت إلا...": "وأيضاً في ١١/١٨ : "أفلا أُشرب

الكأس التي تاروني إياها الأب؟"

في بعده.

هل يمكننا أن نرى صيغة "الذني" في جواب

يسوع في حينه أن:

\* تأتي مخاطبة مريم للخدم مباشرة بعد جواب يسوع ، و كأنها نالت منه المرافقة على "طلبها" ؟

\* يسبق مباشرة هذا الشهد كلمة يسوع المرجحة لتنايل: "سترى أعظم من هذا... سترون السموات متفتحة...". (٥١/٧) : ألا يدل هذا "التصريح" على نية يسوع القبلية في إظهار مجده لتلاميذه، لا بل على علمه السابق بالعمل الذي سيقوم به ؟

\* \* \*

"ألم تأت ساعتى بعد؟"

بعد عبارة استفهامية أولى

"لم" + فعل + فاعل

إيجائية موقف يسوع...

## تساؤلات

نلاحظ أثناء قراءة يو ١/٢-١١ غياب بعض المعلومات الأساسية، بينما تتضمن الرواية تفاصيل عدّة ثانوية:

\* النواقص:

- أسباب نفاذ الخمر؟ كيف لم تؤمن الكمية اللازمة، علماً أنّ اللوليمة أن تستمر مدة أسبوع على الأقل؟

- غياب ذكر «العروس» في الرواية!

- لم يرد ذكر «العروس» إلا في آخر الحدث، فتُنسب إليه المعجزة، مع أنّه لم يقدّم بأي دور فعّال . . .

- نلاحظ في «الهيكلية الهرمية» التي اعتنقها يوحنا (راجع ص ٧). أنّ جوهر النصّ «centre» يتمحور في الآية ٩: «فلما ذاق وكيل المائدة الماء الذي صار خمرًا»: يأتي التركيز هنا على «الاعتراف بالمعجزة»، لا- كما يجب- على كيفية «إجراء المعجزة»: فلا يفيدنا يوحنا، في هذا الإطار، بأي معلومة: هل «أمر» يسوع الماء . . . فتحوّل إلى خمر؟ هل لمسها؟ ومتى حصل تحويلها؟ بعد أن امتلأت الأجران ماء؟ عندما غرفها الخدم؟ في أثناء نقلها في أنية إلى وكيل المائدة؟

\* نلاحظ إلى جانب هذه النواقص

- التشديد على «نفاذ الخمر» (آية ٣: مرتين).

- المبالغة في وصف «الأجران» عددها - كميتها - وظيفتها.

- أهمية دور «الخدم»! ألم يستطع يسوع، مثلاً، أن يقوم بالمعجزة دون اللجوء إليهم؟ (كان باستطاعته أن «يكثر الخمر»، أو ألا يجعلها تنفذ عن المائدة، إلخ . . .).

لماذا لم يتبّه «وكيل المائدة» لنفاذ الخمر، وبحكم وظيفته، لم يعالج المشكلة؟ . . .

## معجزة قانا الجليل

### البعد الرمزي

تهدف رواية عرس قانا الجليل - على غرار الانجيليين الإزئيين - الى إعلان « بشرى الخلاص » للبشرية: مع مجيء يسوع المسيح، يكتمل « العهد » بين الله وشعبه، و« ينتهي » زمن الانتظار. يتم هذا الزمن... « في اليوم الثالث »: إنها « إشارة زمنية » مميزة في العهد القديم تعلن عن حدث تاريخي مهم، لا بل مصيري لشعب إسرائيل (خر ١٩ / ١١ تك ٢٢ / ٤، ١٨ / ٤٢، هو ٦ / ٢، ...). يتم هذا الزمن في إطار وليمة « عرس »... لكلمة « عرس » بعد رمزي في الكتاب المقدس ترمز، لدى الانبياء، الى « اقتران » الله ببشعبه: وحيث العريس هو الله، والعروس هو اسرائيل « (ار ٢١، حز ١٦، اش ٥٤، ٦١). إسرائيل يعيش في حالة نقص وعوز: نقص يعبر عنه... يوحنا في « نفاذ الخمر »، و « عدد الأجران » الغير الكامل (« ستة »)، « ولأن الأجران تقتضي الطهارة عند اليهود »، كذلك الشعب هو بحاجة ماسة الى « غسل وتطهير ».

تظهر أم يسوع كالشفيرة لدى الشعب، وكونها المرأة والأم، ترمز الى... « أورشليم المثالية »: أورشليم المشخصة خاصة بالأم في الكتاب المقدس ( اش ٤٩ / ٢٠-٢٢، ١ / ٥٤، ٧ / ٦٦، ١١-٧) فتحمل مأساة الشعب وتقدمها ليسوع. ويرمز يسوع، الكلمة المتجسد، كالوسيط الاوحد الذي به تتم الوليمة وبدونه لا تتم؛ فيحوك ما من نقص وحرمان، في « عهد قديم »، الى فرح ونعيم، في « عهد جديد » يفتتحة مع جماعة التلاميذ المؤمنين.

### الأب سمير بشارة اليسوعي

## آية تكثير الخبز

يوحنا ٦ : ١-١٥

- ١ بعد ما مضى يسوع إلى عبر بحر الجليل وهو بحر طبرية
- ٢ وتبعه جمع كثير لأنهم أبصروا آياته التي كان يصنعها في المرضى
- ٣ فصعد يسوع إلى جبل وجلس هناك مع تلاميذه
- ٤ وكان الفصح عيد اليهود قريباً

- ٥ فرفع يسوع عينيه ونظر أن جمعاً كثيراً مقبل إليه .
- ٦ فقال لفيلبس من أين نبتاع خبزاً ليأكل هؤلاء
- ٧ وإنما قال هذا ليمتحنه لأنه علم ما هو مزعم أن يفعل
- ب أجابه فيلبس لا يكفيهم خبز بمائتي دينار ليأخذ كل واحد منهم شيئاً يسيراً

٨ قال له واحد من تلاميذه وهو اندراوس أخو سمعان بطرس

٩ هنا غلام معه خمسة أرغفة شعير وسمكتان

ولكن ما هذا لمثل هؤلاء

ج

١٠ فقال يسوع اجعلوا الناس يتكثون

د وكان في المكان عشب كثير  
فاتكأ الرجال وعددهم نحو خمسة آلاف

ج ج ١١ وأخذ يسوع الأرغفة وشكر ووزع على التلاميذ  
والتلاميذ أعطوا المتكئين  
وكذلك من السمكتين بقدر ما شاؤوا

ب ب ١٢ فلما شبعاوا قال لتلاميذه  
اجمعوا الكسر الفاضلة لكي لا يضيع شيء  
١٣ فجمعوا وملاؤا اثنتي عشرة قفة من الكسر من خمسة أرغفة الشعير التي  
فضلت عن الآكلين

أ ١٤ فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع  
قالوا  
إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم  
١٥ وأما يسوع فإذ علم أنهم مزعمون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكاً  
انصرف إلى الجبل وحده.

## ١- تحديد النص

يظهر التضمين من خلال كلمات عدّة تتردد في أطراف النص (آ ١-٤ و آ ١٤-١٥). من هذه الكلمات نذكر: «أبصروا»، «آياته»، «يصنعها» (آ ١، ٢، ١٤) «وجبل» (آ ٣، ١٥). ونلاحظ أيضاً أن هناك تضاد بين عبارة «مع تلاميذه» (آ ٣) وكلمة «وحده» (آ ١٥). تغيّرت الأماكن الجغرافية بانتقال يسوع من أورشليم (٥؛ ١) إلى بحر الجليل

(١:٦) ومن الجبل حيث انصرف يسوع لوحده (١٥:٦) إلى البحر مجدداً كي يعبره مع تلاميذه إلى الضفة الثانية (١٦:٦).

يشكّل إذًا يو ١:٦-١٥ وحدة مستقلة عن النصوص التي سبقته، بهيكليته (التضمين) وبموضوعه (الموقع الجغرافي الذي جرت فيه الأحداث).

## ٢- الإطار البعيد

ينتمي يوحنا ٦ إلى كتاب الآيات ٢-١٢ وهو يشكّل وحدة مستقلة بموضوعه الذي يركز على تكثير الخبز والسمك من أجل إطعام الخمسة آلاف الذين سمعوا بأيات يسوع فتبعوه (٢:٦).

والفصل ٦ ما هو إلا مرحلة تُظهر فكرة لاهوتية تتصل بما تقدّمه من نصوص وبما أتى من بعده. جدّد يسوع العالم بإظهاره لمجده (١:٢-١١)، وإعلانه للهيكل الجديد كصلة وصل محيية بين الله وشعبه (٢:١٤-١٩)، وإعطائه للإنسان فرصة الولادة الجديدة (٣) وفرصة نيل الحياة (٤) فزالت محدودية العبادة وحلّ الروح والحق مكانها.

بالإضافة إلى ذلك أعلن عن كلامه المحيي بواسطة شفائه لابن عامل الملك (٤:٤٩)، وربط إرادة الإنسان بالحصول على الخلاص (٥:٦)، فظنّه الناس «المنتظر» بتكثيره للخبز وبشفائه للمرضى، وبسيره على المياه (٦)؛ أرادوا إعلانه ملكاً فانسحب لأنهم عجزوا عن فهمه. سبّب بذلك شكوكاً كثيرة حول هويته فأصبحت كلمته صعبة القبول فانقسم الناس من حوله (٧:٤٠)، وكثرت الخلافات من أجله (٨)، فتبعه من فهمه وأمن به، وتركه الباقون. أعلن نفسه بعد ذلك نور العالم الذي ينير السائرين في الظلام (٩) ويكمّل الشريعة ويقود الشعب ويرعاه لأنه الراعي الصالح المنتظر (١٠). وينتهي الكتاب بقيامة لعازر من القبر التي أظهرت يسوع القيامة والحياة لكل من آمن بأنه «المسيح ابن الله الآتي إلى العالم» (١١:٢٧، ٦:١٤ب).

## ٣- الإطار القريب

بعد الكشف عن صلة الوصل التي تجمع بين يو ١:٦-١٥ وكتاب الآيات ٢-١٢ يمكننا الآن النظر إلى ما يربطه بالنصوص التي تحيط به مباشرة.

تبرز وحدة الأب بالابن من خلال الأعمال التي يقوم بها الابن تجاه البشرية (١٩:٥-٢٣ و ٣٦)، إذ إنه يقيم ويحيي الذين سمعوا كلامه وآمنوا بمن أرسله (٥: ٢٤). وكل شيء وُجد في الكتب وخاصة عن لسان موسى فهو يشهد للمسيح نفسه (آ ٣٩، ٤٦). لا يبغى المسيح بقدم البشر إليه المجد الأرضي (آ ٤١) لأنه يتجنب تصرفات الإنسان الذي يهتم بتلقّي المجد من أفراد جنسه (آ ٤٤). تعلق الشعب بالكتب وبموسى ونسي بأنها تشير إلى المسيح فانغلق على نفسه وأصبح عديم القدرة على رؤية كل ما يأتي من الله الذي أراد أن يكمل شريعته. رفض الشعب الإيمان بيسوع كمُرسل من الأب وكواهب للحياة وتعلق به محاولاً جعله حاكماً بشرياً كما هي الحال في ١٤: ٦-١٥.

رفض يسوع نوايا الشعب وانصرف لأنهم لم يفهموه (٦: ١٥ب).

مشى يسوع على البحر وعبره (٦: ١٩) فلم يعرفه التلاميذ (آ ٢٠)، اخترق الظلام وتحدى عوامل الطبيعة معلناً نفسه سيّداً عليها (آ ١٧-١٨).

غير يسوع بذلك مفهوم التلاميذ وإيمانهم فأصبح بالنسبة إليهم ليس شخصاً عادياً فيه قوة موسى الآتية من الله. بل هو أعظم من ذلك لأنه بعمله هذا أعلن عن ألوهيته ونسب اسم الله «أنا هو» (٢٠) إليه جاعلاً منهم أشخاصاً مشابهيين لموسى بموقفهم منه (خر ٣: ١٤). إنه خروج جديد قاده الله بنفسه وليس بواسطة نبي عادي. تكلم يسوع مطولاً بعد ذلك وخاصة عن نوايا الشعب الذي يطلبه ليس من أجل الآيات بل من أجل الطعام المادي الفاني (آ ٢٦). وحاول أن يشفي إيمان من تبعوه بمقارنته بين المن والخبز المختوم من الأب نفسه، بين ما أعطاه هو وما أعطاه موسى (آ ٢٧-٣٣) وقال بأنه خبز الحياة (آ ٣٥) كل من آمن به نال الحياة الأبدية وقام في اليوم الأخير (آ ٤٠).

والخبز المختوم من الأب ما هو إلا الابن (آ ٤١، ٤٨) الذي قدّم نفسه لكل من أقبل إليه (آ ٥١).

نستنتج من خلال ذلك بأن الابن نزل من السماء بألوهيته واتحد مع العالم بشريته، ووهب القدام إليه جسده ودمه فأعطاه الحياة الأبدية (آ ٥٨). المسيح إذًا ليس بملك مُلكه معرض للزوال، بل هو الإله الملك الذي أتى لكي يبيّن مملكته على كاهل كل من آمن به واتحد معه بسماعه لكلمته وبتناوله لجسده ودمه كما هي الحال مع التلاميذ (آ ٦٧-٧١).

## ٤ - شرح النص

### أ- تقسيم النص

يقسم النص إلى ستة أقسام متوازية فيما بينها: أولاً يظهر التوازي واضحاً بين آ ١-٤ و ١٤-١٥ بسبب ترداد كلمتان تنتميان إلى حاسة النظر «أبصروا» (آ ٢) و «رأى» (آ ١٤)، وكلمة «آياته» (آ ٢، ١٤)، و«الجبل» (آ ٣ و ١٥). والتضاد بين «مع تلاميذه» (آ ٣) و «وحده» (آ ١٥).

ثانياً: بين آ ٥-٧ و آ ١٢-١٣ بسبب العلاقة بين العبارتين «جمعاً كثيراً» (آ ٥)، و«اجمعوا الكسر» (آ ١٢) لأن فعل «الجمع» يتردد في كلتا الحالتين، كما وأنا نلاحظ الرابط الذي يجمع فعل «أكل» (آ ٥) وكلمة «الآكلين» (آ ١٣). ولا يُطرح في آ ٥-٧ و آ ١٢-١٣ يو «موضوع الخبز» (آ ٥ و ٧) والكسر (آ ١٢، ١٣). هناك أيضاً تضاد بين «لا يكفيهم خبز» (آ ٧) و «فضلت عن الآكلين» (آ ١٣).

ثالثاً: بين آ ٨-١٠ و آ ١١ وذلك بواسطة الخمسة أرغفة والسمكتين (آ ٨-١٠) الذين سيستعملهم يسوع لصنع آياته (آ ١١).

رابعاً: تبقى آ ١٠ التي تصف المكان وتركز على عدد الأشخاص الموجودين. وهنا يمكننا القول إن النص يتمحور حول هذه الآية التي تنفرد عن باقي الآيات.

### ب - لاهوت النص

في شرحنا للنص (٦: ١-١٥) سننطلق من الأطراف محاولين التركيز على الدافع الأساسي الذي حرك الحدث وأعطى للخبر معناه الحقيقي.

أولاً: الآتي إلى العالم (١-٤ و ١٤-١٥)

يؤكد الإنجيلي في بداية النص على صفة يسوع القائد الذي يسير دائماً في المقدمة «وتبعه جمع كثير» (آ ٢). ويعود فيذكر الدافع الذي من أجله سار وراءه هذا الجمع، ألا وهو رؤيته للآيات التي صنعها يسوع تجاه المرضى (آ ٢). في الواقع، إن هدف هذه الآيات يظهر واضحاً: أولاً إبراز صورة يسوع المحيي، فهو صاحب السلطان الذي يشفي

بواسطة كلمته غير المحدودة لا بالزمن ولا بالمسافات، من أجل غاية واحدة ألا وهي إحياء إيمان كل من يلتقي به ويطلب الحياة (٤: ٥٢-٥٤). وثانياً خلق إرادة الشفاء والخلاص داخل أفراد شعب غير قادر على التحرك من دون تدخل مباشر من يسوع المخلص (٦: ٥).

وأحدثت هذه الآيات ردّة فعل معادية لدى الفعاليات اليهودية ضدّ يسوع (٥: ١٦-١٨) لأنه قال بأنه ابن الله وساوى نفسه به (٥: ١٨).

نستنتج من ذلك أن على الشعب الذي شهد هذه الآيات أن يأخذ موقفاً واضحاً من صانعها إما أن يتوب ويؤمن فيسمع وصايا يسوع (٥: ١٤) ويحيا (٥: ٢٤) وإما أن يرفض الإصغاء لصوته فيأبى الإيمان بكلمته ويبقى على مستوى حرفية الكتب دون إرادة الدخول في ديناميكية الحياة الأبدية (٥: ٣٨-٤٠).

أدخل الإنجيلي آية تكثير الخبز ضمن هذا الخط بحيث إن الذين أبصروا آيات يسوع تجاه المرضى (آ ٢) رأوه يُطعمهم هم أيضاً من بركته فأعلنوه النبيّ المنتظر الآتي إلى العالم (آ ١٤ ب). إن النبيّ المنتظر هو الذي يقيمه الربّ الإله من وسط الشعب أي من المؤمنين به فيسمعونه ويتفادون بكلمته الموت المحقق بهم (تث ١٦: ١٨). وهذا النبيّ يكون على مثال موسى يحمل كلمة الله وينقلها إليهم حتى إنهم إذا لم يصغوا إليها ولم يعملوا بها يُحاسبون.

أما إذا أردنا التأكيد من صحّة كلمته، علينا النظر إلى مدى فعاليتها: «فإن تكلم النبيّ باسم الربّ ولم يتمّ كلامه ولم يحدث، فذلك الكلام لم يتكلم به الربّ» (تث ١٨: ٢٢). وبما أن يسوع أظهر سلطان كلمته من خلال شفائه للمرضى وتكثيره للخبز، لم يعد هناك من مكان للشكّ في تنصّيه النبيّ المنتظر الذي بشرّ به موسى. (١)

أما بالنسبة لعبارة «الآتي إلى العالم» (آ ١٤)، فهي تخرجنا من التفكير اليهودي الذي يريد نبياً أقامه الله من داخل الشعب وليس من خارجه. فكلمة «العالم» شاملة بحدّ ذاتها. لذلك فعبارة «الآتي إلى العالم» تجعل من يسوع شخصاً يتعدّى بكيانه وبمصدر

---

(١) إن كتاب التثنية لم يكن يبشّر بنبي معيّن ينتظره الشعب في وقت معيّن، بل كان يشير إلى الفوارق التي تساعد الشعب على التمييز بين النبيّ الصحيح من النبيّ المدّعي.

مجيئه حدود الجماعة اليهودية والبشرية جمعاء. إن الـ «التعريف تحدّد الشخص المشار إليه وتجعله مميّزاً عن «كل إنسان آتياً إلى العالم» (١: ٩). فالآتي إلى العالم إذاً هو المسيح ابن الله الذي اعترفت به مرتا شقيقة لعازر (يو ١١: ٢٧) وشهدت له الشريعة المكتوبة على أنه قدوس الآب المرسل إلى العالم (١٠: ٣٤-٣٦). أتى يسوع إلى العالم كي يحييه ويكشف له صورة الآب فيؤمن أن الآب فيه وأنه في الآب (يو ١٠: ٣٩). عوالم كهذه تعلن عن يسوع الإله الموجود في حضن الآب قبل وجود العالم، لذلك فهو أعظم من موسى الذي بشر به.

بعد أن علم يسوع بإزماعهم على خطفه وتنصيبه ملكاً عليهم، انصرف إلى الجبل (أ ١٥) كما هي الحال في آ ٣ حيث انفرد بتلاميذه. إن التوازي بين آ ٣ وأ ١٥ يوضح لنا مدى أهمية الموقف المطلوب من الذي يرى آيات الآتي إلى العالم. اختار يسوع الجبل، كي ينفرد مع تلاميذه (آ ٣) فجعل من الجبل موقعاً مهماً يرمز إلى مدى أهمية التلمذة له كمعلّم والإصغاء إلى كلمته الآتية من مسكن الله نفسه [لأن الجبل على حدّ تعبير الكتب المقدسة هو المكان الذي يسكن فيه رب القوآت (تك ٢٢: ١٤؛ خر ٣: ١٢)]. وعندما انفرد يسوع بصعوده مجدداً إلى الجبل، لم يتبعه أحد (آ ١٥) وذلك للإشارة إلى شيئين مهمين: أولاً: بصعوده إلى الجبل أعلن عن عرشه أي مسكنه كابن الله. ثانياً: كشف يسوع بانفراده عن نوايا الخمسة آلاف الذين رفضوا أن يتبعوه كإله لينالوا الحياة الأبدية إذا آمنوا به وتلمذوا على يده. نظروا إليه كملك بشري يخلصهم من الجوع ويؤمن لهم السلام الأرضي لأنه قادر على إنقاذهم من ضياعهم كملك بشري.

موقف الخمسة آلاف كان واضحاً، وهو عجزهم عن فهم الرسالة التي أراد بها يسوع لفت أنظارهم إليه كنع للحياة الأبدية ومصدرها.

### ثانياً: الآتي إلى العالم وموقف التلاميذ (آ ٥-٧ وآ ١٤-١٥)

ماذا يجدر بالتلميذ إذاً أن يفعل بحضور معلّمه؟ ما هو الموقف المتوجّب عليه؟ وجه يسوع المعلّم كلامه إلى اثنين من تلاميذه كي يحثّهما على اكتشاف ما هما عليه بالرغم من وجوده بقريهما. وجه سؤاله إلى فيليس قائلاً: «من أين نبتاع خبزاً ليأكل هؤلاء؟» (آ ٦). ألم يكن يعلم أن الجواب على سؤال كهذا سيكون سلبياً، ولكن رغم ذلك انتظر ردة فعل التلميذ الحائر. أعطى فيليس مكاناً للمال في مشكلة كهذه، ولكن بالرغم من

فعاليته، يبقى المال عديم القدرة على توفير ما للخمسة آلاف من حاجة كي يقتاتوا (آ ٧).  
إذًا نجح المعلم بخلق قناعة عند تلميذه فيليس بأن لا قوة للمادة في مشروع انوجد فيه  
الآتي إلى العالم.

بعد تحقيق الآية وتكثير الخبز، توزعت الأرغفة على الخمسة آلاف. فطلب يسوع من  
التلاميذ جمع الكسر الفاضلة (آ ١٢). تحقّق التلاميذ بعملهم هذا من بركة الله التي لا  
تنضب لأنهم لمسوا بأيديهم الكسر التي فضلت عن الآكلين (آ ١٣). أظهر الآتي إلى  
العالم بعمله هذا، جانباً جديداً من هويته ألا وهي قدرته على الخلق.

إن التقارب بين العبارتين «جمعاً كثيراً» (آ ٥) و«اجمعوا الكسر» (آ ١٢) يدفعنا  
للتفكير بفعل التوازي الذي يجعل من الكسر رمزاً لما قد يصير إليه هذا الجمع الحاضر.  
فالكسر التي أمر يسوع بجمعها مع الحرص على ألا يضيع شيء منها (آ ١٢) جمعت في  
اثنى عشر قفة (آ ١٣). والعدد ١٢ يرمز إلى أسباط إسرائيل الإثني عشر أي شعب الله  
الكامل. لذلك فالكسر الفاضلة تشير إلى شعب جديد كامل سيخلق على يد الآتي إلى  
العالم من خلال التلاميذ.

إن الفعل «شبع» (آ ١٢) الذي يعني الاكتفاء يؤكّد ما قلناه، لأن الكسر سُدَّ  
لشعوب جديدة تتعدى الشعب اليهودي.

[أما الكسر الفاضلة التي أراد يسوع جمعها فهي تربطنا بالآية ٢٦ التي تقول: «أنتم  
تطلبوني، لا لأنكم رأيتم الآيات بل لأنكم أكلتم الخبز وشبعتم». بجمع الكسر خاف  
يسوع بإعتقادي على الجمع الذي أكل الخبز واكتفى به. زاغ نظر الجمع عن المسكن  
(الجلبل) الذي توجه إليه يسوع وانحرف عن الهدف الذي صنعت من أجله الآية ألا وهو  
الإيمان بالذي أرسله الله إليهم (٦: ٢٩).]

فالمطلوب شيئان: أولاً الابتعاد عن قناعة فيلبس وخوفه واعتماده على المادة، وثانياً  
عدم العمل للطعام الفاني، والعمل للطعام الذي يبقى فيصير حياة الأبد (٦: ٢٧).  
(سأنترق لموضوع الكسر في المقطع التالي).

ثالثاً: الآتي إلى العالم وآية تكثير الخبز والسمتين (٨-١٠ و ١١)

بعد اعتماد خلق الخيرة والتساؤل عند التلاميذ (آ ٥-٧) وكشف قناعاتهم التي  
ظهرت شبيهة بموقف الخمسة آلاف حين أرادوا خطف يسوع وجعله ملكاً (آ ١٤-١٥)،

انتقل، الآتي إلى العالم للعمل (آ ٨-١١). لم يكن يسوع غاية سوى قلب المقاييس والانتقال من وضع النقص والحرمان (٨-١٠) إلى حالة الاكتفاء والفيض الناتجين عن تدخله المباشر في حياة الجمع (آ ١١).

لم يكتف يسوع بشاهد واحد على ما يجري، بل زاد على شهادة فيليس شهادة تلميذ آخر وهو اندراوس أخو سمعان بطرس (آ ٥، ٨). ارتكز الإنجيلي بذكره لأسماء الشاهدين على تث ١٩: ١٥ ب: «ولكن بقول شاهدين أو ثلاثة شهود تقدم القضية». بذلك صار التلاميذ أصحاب قضية تحيا إن شهدوا لها وذاعوا أمرها بين الناس. إذاً أصبح التلميذ ملزماً بما رأت عيناه (الخمسة آلاف رجل، والخمسة أرغفة والسمكتين والاثنتي عشرة قفة) وسمعت أذناه (اجعلوا الناس يتكثون، وشكر، وأمر بجمع الكسر الفاضلة)، ولمست يده (فجمعوا، ملأوا) لأنه عاش الحدث في عمقه كما يؤكد يوحنا في رسالته الأولى عندما يقول: «ذاك الذي سمعناه، ذاك الذي رأيناه بعيننا، ذاك الذي تأملناه ولمسته يدانا» (١ يو ١: ١). عاش الشهود مع معلمهم ما عاشه الخادم مع النبي أليشع عندما وزع العشرين رغيفاً من الشعير على المائة رجل الحاضرين أمامه (٢ مل ٤: ٤٢-٤٣).

إن مقارنة آية يسوع بآية النبي أليشع توضح لنا معالم جديدة من السر الكامن في شخص يسوع:

آية يسوع (يو ٦: ١-١٥)	آية النبي أليشع (٤: ٤٢-٤٤)
هنا غلام	وصول رجل من بعل شليشة (آ ٤٢أ)
معه خمسة أرغفة شعير وسمكتان (آ ٩)	وأحضر لرجل الله خبز بواكير عشرين رغيفاً من الشعير وسنبلاً (آ ٤٢ب)
سؤال يسوع من أين نتاع خبزاً ليأكل هؤلاء (آ ٥)	تدخل أليشع أمراً بتوزيع المأكّل على القوم (٤٢ ج)
معارضة فيليس الذي رأى صعوبة الوضع من خلال الفقر المادي (آ ٥). ومعارضة اندراوس الذي قال ما هذا لمثل هؤلاء (آ ٩)	معارضة الخادم: ما هذا لمئة شخص (آ ٤٣أ)
تدخل يسوع من جديد (٩ج-١١)، أمر بجعل الناس يتكثون، أخذ الأرغفة والسمكتين وشكر ووزع على التلاميذ.	تدخل أليشع من جديد (٤٣ب) أعط القوم ليأكلوا لأنه هكذا قال الرب إنهم يأكلون ويفضل عنهم.
فلما شبعوا فضل عنهم اثنتا عشرة قفة (١٢-١٥)	فأكلوا وفضل عنهم، كما قال الرب (آ ٤٤).

يمكننا ملاحظة التقارب بين الخبرين (يو ٦: ١-١٥) و (٢ مل ٤: ٤٢-٤٤) ابتداءً من وصول الرجل ومثوله أمام أليشاع (آ ٤٢) وحضور الغلام بين الشعب (يو ٦: ١٩) مروراً بذكر كمية المآكل التي كانوا يحملونها؛ لقد كانت مشتركة من ناحية نوعيتها (أرغفة شعير). أما بالنسبة للتدخل الأول من قِبَل أبطال الآيتين فهو يختلف من الناحية التعليمية إذ إن يسوع طرح السؤال قبل إعطاء الأمر «من أين نبتاع خبزاً ليأكل هؤلاء» (آ ٥)، أما أليشاع فقد أعطى أمراً كان متأكداً من حصوله دون الاهتمام برّد فعل خادمه «أعط القوم ليأكلوا» (٢ مل ٤: ٤٢). وأتت بعد ذلك معارضة التلاميذ كمي تُعطي الحدث أهمية تاريخية واضحة لأنهم قاموا بوضع الحواجز التي تعيق فعلياً تقدّم وتطور المراحل (يو ٦: ٥، ٩) كما جرى بالضبط مع خادم أليشاع الذي ذكر العدد وحدّد العائق (٢ مل ٤: ٤٢). عقل الإنسان ووسائله باتت محدودة لذلك فالبركة الخلاقة تطلب تدخل الله نفسه. نفذ أليشاع كلمة الله مؤمناً بفعاليتها وبقدرتها على الخلق مُظهراً نفسه نبياً مطيعاً لإلهه (٢ مل ٤: ٤٣). أما يسوع فقد أخذ الخبز بنفسه «وشكر» و«وزّع» على التلاميذ. أخذ يسوع المبادرة فغير مجرى الأحداث وأعطى لبركته صفة خلاقة مستمدة من علاقة مباشرة ومميّزة مع الأب «وشكر» (يو ٦: ١١). وعندما «وزّع على التلاميذ» أعطى للتلاميذ دوراً فاعلاً في مهمته تجاه البشرية لأنهم سيتيحون لعمله الخلاصي أن ينتشر في العالم.

ويبقى أن نلاحظ الفضلات التي ذُكرت في الخبرين. فالكسر التي فضلت في يو ٦: ١-١٥ هي ذات قيمة برزت من خلاله كلمة يسوع التي تقول «اجمعوا الكسر الفاضلة لكي لا يبقى شيء» (آ ١٢). ومن خلال تقييم عددها «اثنتي عشرة قفة» (آ ١٣)، تشير الكسر إلى شعوب جديدة تحضّر بواسطة التلاميذ.

أما الفضلات في خبر أليشاع، فتظهر لنا كرم الله وفيض محبته كما هي الحال مع يسوع.

يتميّز يسوع عن أليشاع بكونه أكثر من نبي لأن بركته أظهرته سيّداً للحدث وليس منفذاً. تكلم أليشاع فتمّ عمل الخلق، أما يسوع فلم يتفوّه بكلمة لأنه الكلمة التي بوجودها يصبح الخلق فاعلاً.

مقارنة أخرى تبدو لنا ذات أهمية كبيرة نظراً لموقع النص بين ما ورد على لسان موسى في عد ١١: ٢١. تذرّ الشعب، فقال الربّ لموسى بأنه سيطعم شعبه لحماً لمدة ستة

أشهر (عد ١١: ١٩-٢٠). ولكن موسى أخذ موقفاً معارضاً ومشككاً كما هي الحال مع خادم أليشاع وتلاميذ يسوع وقال: «أفيذبح له غنم وبقر فيكفيه؟ أو يجمع له سمكة البحر كله فيكفيه؟» (عد ١١: ٢٢)، ولكن الربّ تدخل ليقول أيدُ الربّ تقصرُ الآن عن ذلك؟ الآن ترى هل يتم لك كلامي أم لا» (آ ٣٢)؛ فتمت كلمة الربّ وأطعم الشعب ما وعدهم به (آ ٣١-٣٥). إذ لم يعد موسى بمستوى يسوع في حالة كهذه، لأن يسوع ساوى الله بعمله، أما موسى فقد ساوى نفسه بالتلاميذ الذين كانوا بحاجة لآية كهذه كي يكتشفوا سرّ الوهية معلّمهم.

ولكن السؤال المطروح هو التالي: لماذا أمر يسوع بجمع الكسر؟

كي يجنّب الخمسة آلاف الوقوع بالشهوة التي سيطرت على الست مئة ألف رجل أي الشعب الذي أقام الله موسى في وسطه (عد ١١: ٢١ و ٣٣). أعطى الله مأكلاً لشعبه فنسي هذا الأخير أن يشكر إلهه، ظاناً أن الله وُجد فقط ليس لإحيائه كشعب يشهد بأنه مصدر لكل حياة على الأرض بل من أجل اطعامه وإشباعه. خاف يسوع من موقف كهذا فقال: «أنتم تطلبوني لا لأنكم رأيتم الآيات، بل لأنكم أكلتم الخبز وشبعتم» (يو ٦: ٢٦). إن تردد بعض الكلمات قد يربطنا بالإفخارستيا أي بليتورجية الجماعات المسيحية الأولى ولكن هذا أمر لا نستطيع جزمه لأن تكثير الخبز في يو ٦: ١-١٥ ما هو إلّا رمز أشار به يسوع إلى نفسه.

أعطى يسوع الخبز العادي فقدّم نفسه خبزاً حياً عندما قال: «أنا خبز الحياة من يقبل إليّ فلن يجوع ومن يؤمن بي فلن يعطش أبداً» (٦: ٣٥). فهو الخبز الوحيد الذي نزل من السماء لأنه (٦: ٣٩) أراد العمل بمشيئة والده الذي أرسله كي لا يهلك أحد من الذين يقبلون إليه وقيمهم في اليوم الأخير (آ ٣٩). وهذه التقدمة لن تتحقّق إلّا عندما يأتي عيد الفصح فيتحوّل يسوع إلى ذبيحة ويصبح خبزاً حياً لكل من آمن به.

صنع يسوع آيته في وقت لم يكن عيد الفصح فيه قد تحقّق بعد (٦: ٤)، وهذا أسلوب رمزي اعتمده الإنجيلي في مقاطع عديدة من إنجيله (٢: ١٣، ١١: ١٣) كي يشير إلى أن أعياد الفصح اليهودية الذي يعيده اليهود، لن يكتمل إلّا بفصح المسيح أي بموته وقيامته.

## ٤ - بعض الرموز

### أ - السمك

بعد أن أشار السمك إلى العمل الذي استعصاه موسى على الله (عد ١١)، قد يعود بنا أيضاً إلى سفر طوبيا الفصل السادس حيث يختار ملاك الرب السمكة كدواء يزيل روح الشرّ أي يطرد الشيطان الذي يعذب الإنسان ويفتح عينيه لأنه يشفيه من البقع البيضاء التي تمنع عنه النظر (آ ٨-٩). بذلك ميكنّا ربط نصّ يو ٦: ١-١٥ بنصّ يو ٨: ١٢ حين قال يسوع: «أنا نور العالم من يتبعني لا يمسي في الظلام بل يكون له نور الحياة»، وب يو ٨: ٤٤ حين قال لهم أيضاً: «أنتم أولاد أبيكم ابليس تريدون إتمام شهوات أبيكم». فالسمك إذًا بالنسبة ليوحنا يرمز إلى دواء أعطاه للجموع كي يفتح أعينهم ويطرد عنهم روح ابليس فيجلبهم إليه معطيًا إياهم روح البنوة للآب السماوي أي حياة الأبد.

ويربطنا السمك أيضاً ب يو ٢١: ١-١٤ حين تراءى يسوع لتلاميذه وذكرهم بعملهم الرسولي وفتح أعينهم على حقيقة قيامته عندما ناولهم الخبز والسمك (آ ١٣) لأنه أراد بذلك القول «أنا نفسه» يسوع ما قبل الموت وما بعد القيامة. ويرمز السمك إلى الناس «واتبعاني أجعلكما صيادي بشر» (متى ٤: ٩).

### ب - الخبز

إن أرغفة الشعير تصنع عادة من أجل الفقراء، لأن الشعير أرخص ثمناً من القمح (٢ مل ٧: ١-١٦؛ رؤ ٦: ٦). ولكن لا يوجد أي عنصر يؤكد لنا ذلك في يو ٦: ١-١٥. في الواقع إن خبر أليشاع (٢ مل ٤: ٤٢-٤٤) يتحدث عن «خبز بواكير» أي أنه صنع في بداية الحصاد حتى يقدم في الاحتفالات الليتورجية كذبيحة شكر على عمل الله في تحرير شعبه (خر ٢٣: ١٩).

في عرس قانا مياه الجرار الستة كانت تهدف إلى التطهير قبل أن تتحوّل إلى نبيذ، وهذا أيضاً عملٌ ليتورجيّ. بذلك يصبح الخبز الذي ورّعه التلاميذ على الشعب وأشبعه، عاملاً يربط بين الخلق الجديد والليتورجيا اليهودية.

## ج - الأعداد

حاول العديد من شراح الكتاب أن يحملوا العدد ٥ والعدد ٢ رموزاً كثيرة ولكنهم على ما يبدو لا يلمحان إلا إلى صغر نسبة للخمسة آلاف رجل وإلى عظمة آية يسوع التي صنعها لهؤلاء.

## الخاتمة

الخمسة آلاف (آ ١٠ب): السؤال المطروح بعد بحث طويل كهذا هو التالي: لماذا اعتمد الإنجيلي أن محور النص حول آية يصف فيها المكان المغطى بالعشب ويذكر عدد الرجال المتكئين؟

إن التقارب بين يوحنا وأشعيا يتيح لنا مقارنة العشب المذكور في آ ١٠ب بالعشب في أش ٤٠: ٨. استعمل أشعيا الفن التصويري بتشكيله للتوازي الحاصل بين العشب وكلمة الله:

(آ ٨) أ العشب

ب يبس وزهره يزوي

أ ١ أما كلمة إلهنا

ب ١ فتبقى للأبد

نستنتج من ذلك أن حياة الخمسة آلاف رجل مرتبطة بكلمة الله التي لا تزول، وليس بالعالم الزائل الذي يتكون عليه. لذلك فالمطلوب هو الإيمان بيسوع الكلمة المرسل من الأب لنيل الحياة الأبدية.

الأب ريمون الهاشم

## قيامه لعازر من القبر

يو ١١ : ١-٤٢

١ وكان إنساناً مريضاً وهو لعازر من بيت عنيا من قرية مريم ومرتا أختها. ٢ وكانت مريم التي كان لعازر أخوها مريضاً هي التي دهنت الربّ بطيب ومسحت وجليه بشعرها. ٣ فأرسلت الأختان إليه قائلتين يا سيد هوذا الذي تحبه مريضٌ. ٤ فلما سمع يسوع قال: «هذا المرض ليس للموت بل لأجل مجد الله ليتمجد ابن الله به. ٥ وكان يسوع يحبّ مرتا وأختها ولعازر. ٦ فلما سمع أنّه مريضٌ مكث حيثئذ في الموضع الذي كان فيه يومين.

٧ ثم بعد ذلك قال للتلاميذ لنذهب إلى اليهودية أيضاً. ٨ قال له التلاميذ يا معلّم الآن كان اليهود يطلبون أن يرحموك وتذهب أيضاً إلى هناك. ٩ أجاب يسوع أليست ساعات النهار إثنتي عشرة. إن كان أحدٌ يمشي في النهار لا يعثر لأنه ينظر نور هذا العالم. ١٠ ولكن إن كان أحدٌ يمشي في الليل يعثر لأنّ النور ليس فيه.

ج ١١ قال هذا وبعد ذلك قال لهم. لعازر حبيبنا قد نام. لكنّي أذهب لأوقظه. ١٢ فقال تلاميذه يا سيد إن كان قد نام فهو يُشفى. ١٣ وكان يسوع يقول عن موته. وهم ظنّوا أنّه يقول عن رقاد النوم. ١٤ فقال لهم يسوع حيثئذ علانية لعازر مات. ١٥ وأنا أفرح لأجلكم إنّي لم أكن هناك لتؤمنوا. ولكن لنذهب إليه. ١٦ فقال توما الذي يقال له التوام للتلاميذ رفقاءه لنذهب نحن أيضاً لكي نموت معه.

١٧ فلما أتى يسوع وجد أنه قد صار له أربعة أيام في القبر .  
١٨ وكانت بيت عنيا قرية من أورشليم نحو خمسة عشرة  
غلوة . ١٩ وكان كثيرون من اليهود قد جاؤوا إلى مرتا ومريم  
ليعزّوهما عن أخيها .

٢٠ فلما سمعت مرتا أن يسوع أت لاقته . وأما مريم  
فاستمرت جالسة في البيت . هـ

٢١ فقالت مرتا ليسوع يا سيّد لو كنت ههنا لم يميت  
أخي

٢٢ لكنّي الآن أيضاً أعلم أن كلّ ما تطلب من الله  
يعطيك الله إياه .

٢٣ قال لهم يسوع سيقوم أخوك . ٢٤ قالت له  
مرتا أنا أعلم أنه سيقوم في القيامة في اليوم  
الأخير . ٢٥ قال لها يسوع أنا هو القيامة  
والحياة . من آمن بي ولو مات فسيحيا . ٢٦  
وكلّ من كان حياً وآمن بي فلن يموت إلى  
الأبد . أتؤمنين بهذا . ٢٧ قالت له نعم يا  
سيد . أنا قد آمنت أنّك أنت المسيح ابن الله  
الآتي إلى العالم . و

٢٨ ولما قال هذا مضت ودعت مريم أختها سرّاً قائلة  
المعلّم قد حضر وهو يدعوك . ٢٩ أما تلك فلما  
سمعت قامت سريعاً وجاءت إليه . ٣٠ ولم يكن  
يسوع قد جاء إلى القرية بل كان في المكان الذي لاقته  
فيه مرتا . ٣١ ثم إنّ اليهود الذين كانوا معها في البيت  
يعزّونها لما رأوا مريم قامت عاجلاً وخرجت تبعوها  
قائلين إنّها تذهب إلى القبر لتبكي هناك . ٣٢ فمريم لما  
أتت إلى حيث كان يسوع ورأته خرّت عند رجليه قائلة  
له يل سيّد لو كنت ههنا لم يميت أخي . ٣٣ فلما رآها  
يسوع تبكي واليهود الذين جاءوا معها يبكون انزعج  
بالروح واضطرب . هـ هـ

٣٤ وقال أين وضعتموه . قالوا له يا سيد تعال وانظر . ٣٥  
د د  
بكى يسوع . ٣٦ فقال اليهود انظروا كيف كان يحبه . ٣٧ وقال  
بعض منهم ألم يقدر هذا الذي فتح عيني الأعمى أن يجعل  
هذا أيضاً لا يموت .

٣٨ فانزعج يسوع أيضاً في نفسه وجاء إلى القبر . وكان مغارةً وقد  
ج ج  
وضع عليه حجر . ٣٩ قال يسوع ارفعوا الحجر . قالت له مرتا أخت  
الميت يا سيد قد أتنن لأنّ له أربعة أيام . ٤٠ قال لها يسوع أم أقل لك  
إن آمنت ترين مجد الله . ٤١ فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعاً .

ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال أيها الأب أشكرك لأنك سمعت لي . ٤٢  
ب ب  
وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي . ولكن لأجل هذا الجمع الواقف  
قلت . ليؤمنوا أنك أرسلتني .

٤٣ لما قال هذا صرخ بصوت عظيم لعازر هلم خارجاً . ٤٤ فخرج الميت ويده  
أ أ  
ورجلاه مربوطات بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل . فقال لهم يسوع حلّوه ودعوه  
يذهب .

## تحديد النص

إن تكرار الكلمات التالية «لعازر» (آ ١ ، ٤٣) «ورجليه» (آ ٢ ، ٤٤) وكلمة «الموت»  
(آ ٤) التي تتوازي مع «الميت» (آ ٤٤)، تشكل تضميناً ييكل النص من الآية ١ إلى الآية  
٤٤ جاعلاً منه وحدة أدبية مستقلة بموضوعها عن النصوص الموجودة قبل النص وبعده .

تأكيداً على ذلك يمكننا الاعتماد على كلمة يسوع: « حلّوه ودعوه يذهب » (آ  
٤٤ب). يستعمل الإنجيلي الفعل «ذهب» في نصوص عديدة كي يختم كما هي الحال في  
خبر شفاء الأعمى عند بركة سلوام: «إذهب فاغتسل في بركة سلوام» (٧: ٩) وخبر  
الزانية: « اذهبي ولا تعودي بعد الآن إلى الخطيئة» (٨: ١١ب).

## الإطار البعيد للنص

سنركّز في هذا المقطع على بعض الأبحاث التي قام بها بعض العلماء كـ «Ch.Rau»،

و«A. George و«P. Grelot المذكورين في كتاب (A. Marchadour «Lazare» col. Lec.) Div. N° 132 P. 99 . استطاع Ch. Rau أن يستنتج مدى أهمية الدور المعطى لخبر قيامة لعازر في إنجيل يوحنا؛ قسّم كتاب الإنجيل بحسب الطريقة البلاغية واستدرك بأن يوحنا ١٠: ٢٢-١١: ٥٤ يشكل محور الكتاب نظراً لعزله وعدم تكرار موضوعه في أماكن أخرى من الإنجيل. ولكن بالرغم من منطقية بحثه، يبقى الشك قائماً حول بعض المقاطع التي لاحظ فيها توازياً يربط فيما بينها: ربط التلاميذ الخمسة في يو١، ربط بالتلاميذ السبعة في يو ٢١ ومقارنة الأزمنة الثلاثة لعيد المظالم مع التلاميذ الثلاثة في يو ١٣.

اقتنع Ch. Rau فقسّم الكتاب على الشكل التالي :

	١٢:٢-١٩:١
	٣-٢
	٤
	٥
	٦
	٧
	٥٩:٨-٥٣:٧
	١٠-٩
	٥٤:١١-٢٢:١٠
	٣٦:١٢-٥٥:١١
	٣٦:١٣-٣٥:١٢
	١٤-٣٦:١٣
	١٦-١٥
	١٧
	١٩-١٨
	٢٠
	٢١

نستنتج من تقسيم كهذا أن لخبر لعازر عملاً مميّزاً ينفرد به عن القسم الأول والثاني من كتاب الإنجيل. تصل أهمية الآيات في هذا الخبر إلى أوجها لأنها بدأت في قانا (يو

٢) وختمت فيه (يو ١١). يفتح هذا الخبر في الوقت نفسه برموزه زمن قيامة جديدة لا مثيل لها (قيامه يسوع من بين الأموات).

ستطرق بعد نظرية Ch. Rau إلى نظرية P. Grelot و A. George اللذين قسما الإنجيل إلى قسمين: الأول كتاب الآيات (١: ١٩-١٢: ٥٠)؛ والثاني: كتاب الساعة أو المجد: (١٣: ١-٢٠: ٣١). قسّموا الإنجيل إلى كتب، وكل كتاب إلى أجزاء، وكل جزء إلى مقاطع الخ... ينتمي بذلك خبر لعازر إلى الجزء الثالث من المقطع الثاني من الكتاب الأول. بالنسبة للإنجيلي، لا تشكّل قيامة لعازر محور الكتاب، لأن خاتمة الكتاب الأول تركز على يو ١٢: ٣٧-٥٠ التي تحتوي على موضوعين، عدم إيمان اليهود (١٢: ٣٧-٤٣) وعظمة يسوع (١٢: ٤٤-٥٠). إذأ يو ١١: ١-٤٥ الذي يلخص بالنسبة لـ P. Grelot و A. George خبر موت وقيامه يسوع لا يشكّل محور الكتاب. بالرغم من ذلك يمكننا القول بأن قيامة لعازر تشير إلى المواجهة بين يسوع والموت والتي انتهت بانتصار يسوع القائم من الموت.

ثلاث نقاط تسمح لنا بالتوجّه في هذا الإتجاه:

١ - تحليل توما «هلموا بنا نموت معه» (١١: ١٢)

٢ - تأمر مجلس عظماء الكهنة والفرّيسيين عليه (١١: ٤٦-٥٤)

٣ - تأكيدات يسوع المتتالية على أنه القيامة والحياة (يو ١١: ٢٠).

في خاتمة هذا العرض يمكننا الاستنتاج بأن هذه النظرية الأولى أقرب إلى المنطق من الثانية. بالرغم من الشكّ الذي لاحظناه، استدرك Ch. Rau ميزة خبر لعازر الذي يحتلّ مركزاً استراتيجياً في كتاب يوحنا. وهو يحسب P. Grelot يلخص خبر موت وقيامه يسوع من بين الأموات. يعارض P. G و A. G نظريات عدّة في قولهما بأن خبر لعازر لا يشكّل محور الكتاب ولا خاتمة الكتاب الأول من إنجيل يوحنا.

إن Brown مثلاً يختم الكتاب الأول عند الفصل ١٢ ويسمّيه كتاب الآيات ويقول بأن خبر لعازر يشكّل عبوراً من زمن تحضيري إلى زمن تمّ فيه كل شيء. فالحياة التي أعطاها يسوع للعازر لا تفتح بعد باب الدخول إلى ملكوت الحياة الأبدية ولكنها قريبة منه بإنائها لكتاب الآيات وافتتاحها لكتاب المجد (١٠).

يمثل إذاً يو ١١: ١-٤٤ مركزاً يخوّله لأن يكون محوراً، خاتمة وبداية.

## الإطار القريب

إن النظر في الإطار القريب ليوحنا ١١: ١-٤٤ يَكُنُّنا من الكشف عن النقاط التي تربط النصوص بعضها ببعض مساعدة على شرح وجهات نظر عديدة أدت بالكاتب إلى اختيار مواقع محدّدة لنصوصه.

اعتمد الإنجيلي قبل البدء بخبر قيامة لعازر من الموت ذكر عيد تجديد الهيكل وتطهيره من الدنس (١٠: ٢٢-٢٣) للإشارة إلى قول يسوع عندما طرد الباعة من الهيكل: «انقضوا هذا الهيكل، أقمه هذا الهيكل في ثلاثة أيام» (٢: ١٨)؛ عنى يسوع بذلك هيكل جسده عندما قام من القبر بعد ثلاثة أيام من موته (٢: ٢٢).

يكننا الاستنتاج إذاً أن لخبر لعازر وجهة معينة ألا وهي الإشارة إلى موت وقيامة يسوع من بين الأموات. أما الحدث بحدّ ذاته فيأخذ معناه الحقيقي انطلاقاً من الكلمة التي ألّفها يسوع في الهيكل على مسامع اليهود.

إن قيامة لعازر من الموت هي عمل من الأعمال التي يقوم بها يسوع بصفته المرسل من الأب السماوي (١٠: ٢٥-٢٨). وتهدف هذه الأعمال للكشف عن هوية يسوع:

١ - بعمله أثبت بنوّته للأب السماوي ووحدته معه، وأعلن عن ألوهيته (١٠: ٣٢-

٣٣)

٢- وكل من يؤمن بأن يسوع هو المسيح ابن الله ينال الحياة الأبدية (قارن ١٠: ٢٤ ب و ٢٨ و ٣٦ مع ٢٠: ٣١).

يكننا القول إذاً أن يسوع بأعماله جعل من الآيات شاهداً له أمام الجمع: «إن الأعمال التي أعملها باسم أبي هي تشهد لي» (١٠: ٢٥).

بالإضافة إلى ذلك استعان الكاتب الإنجيلي بشهادة يوحنا المعمدان (١٠: ٤١) الذي كان بدوره نبياً ملهماً مرسلًا جاهلاً لهوية يسوع لأنه لم يكن موجوداً لدى الله من قبل: «وأنا لم أكن أعرفه، ولكن الذي أرسلني قال» (١: ١٣٣). شهد يوحنا المعمدان بأن يسوع أتى كي يعمّد بالروح القدس وبأنه ابن الله (١: ٣٣ ب-٣٤).

أما هدف هاتين الشهادتين، الأعمال ويوحنا المعمدان، فما هو إلا تعريف الناس على ابن الله كي ينالوا بإيمانهم به الحياة الأبدية: «إن يوحنا لم يأت بأية، ولكن كل ما قاله في هذا الرجل كان حقاً». فأمن به هنالك خلق كثير (١٠: ٤١-٤٢).

أما بالنسبة للنص الذي يأتي من بعد يو ١١: ٤٤ فهو يُظهر نتائج حدث قيامة لعازر من القبر:

١ - آمن به كثير من اليهود (١١: ٤٥).

٢ - استولى الخوف على عظماء الكهنة والفريسيين فعدوا مجلساً خوفاً من أن يؤمن به الجميع (آ ٤٨).

٣ - موت يسوع خلاص للشعب اليهودي (آ ٥٠).

٤ - أكد الكاتب نبوءة قيافا على أن يسوع سيموت عن الأمة من أجل خلاصها وتممها بقوله: وليس عن الأمة فحسب بل ليجمع أيضاً شمل أبناء الله المشتتين (آ ٥٢).

٥ - فعزموا على قتله (آ ٥٣).

وبما أن حدث لعازر تم بحضور اليهود، يمكننا القول بأنه يشير إلى المواجهة التي ستحدث بينهم وبين المسيح والتي ستؤدي إلى صلب المسيح وقيامته من بين الأموات لأنه القيامة والحياة كما سبق وأكد لمرتا (١١: ٢٦).

## تقسيم النص

بعد ربط يو ١١: ٤٤ بالنصوص التي تحيط به ووضعها في إطاره الأدبي يمكننا الانتقال الآن إلى تقسيم النص.

بدءاً بأطراف النص يمكننا ملاحظة التوازي الحاصل بين آ ١-٦ وآ ٤٣-٤٤، وذلك بسبب تكرار الكلمات التالية «لعازر» (آ ١، ٤٣) و«رجليه» (آ ٢: ٤٤) وكلمة «الموت» (آ ٤) التي تتوازي مع «الميت» (آ ٤٤).

إن ورود عبارة «هذا العالم» في الآية ٩ ب وعبارة «هذا الجمع» في الآية ٤٢ يساعد على ملاحظة التوازي بين آ ٧-١٠ وآ ٤١ ب-٤٢، لأن يسوع في كلتا الحالتين يشرح الهدف الذي من أجله أتى إلى هذا العالم.

أما تكرار موضوع «الموت» و«الإيمان» فإننا نلاحظه في آ ١٣، ١٤، ١٥، ١٦ وفي آ ٣٩، ٤٠، ٤١ مما يجعل التوازي واضحاً بين آ ١١-١٦ وآ ٣٨-٤١ آ. وبروز موقف اليهود يبدو ظاهراً في آ ١٧-١٩ حيث أتوا إلى مرتا ومريم كي يعزّوهما وفي آ ٣٤-٣٧ حيث ذكّر بعض منهم بآية شفاء الأعمى.

إن ردّة فعل مرتا (آ ٢٠) لما سمعت أن يسوع آت، تتوازي مع ردّة فعل مريم لما سمعت هي أيضاً بأنه يدعوها (آ ٢٩). فالأولى والثانية قالتا الشيء نفسه عندما التقتا به: «يا سيّد لو كنت ههنا لما مات أخي» (آ ٢١، ٣٢). لذلك فالتوازي يشمل آ ٢٠-٢٢ وآ ٢٨-٣٣.

أما الحوار الذي جرى بين يسوع ومرتا (آ ٢٣-٢٧) فلا يتوازي مع أي من المقاطع الموجودة في النص. لذلك فهو يشكّل محور النص.

## شرح النص

سنبدأ بشرحنا من الأطراف هادفين وبطريقة تصاعديّة الوصول إلى المحور، حيث نجد النقطة الأساسيّة التي بنى عليها الكاتب إنجيله.

آ ١-٦ و ٤٣-٤٤

اعتمد الإنجيلي ذكر اسم القرية التي كان لعازر وأخته يسكنون فيها للتشديد على صحة أقواله ودعمها بعوالم جغرافية. فلعازر وأخته مرتا ومريم كانوا يتمون إلى مكان معيّن يمكننا تحديده ألا وهو «بيت عنيا» القريبة من أورشليم حوالي خمس عشرة غلوة» (آ ١، ١٨).

إن الآيات ١-٦ موزّعة بشكل محوري يرتكز على قولين وهما التالين: قول الأختين اللتين أرسلتا في طلب السيّد من أجل إعلامه بمرض أخيهما لعازر (آ ٣)، وقول يسوع الذي ردّ سؤالهما بشكل غريب إذ إنه اعتبر بأن المرض هو وسيلة لأجل مجد الله ليتمجّد ابن الله به وليس للموت (آ ٤).

انطلق يسوع بكلمته من علاقته المتينة والمميّزة بالله، فهو ابن الله الذي سيهب الحياة لكل من آمن به (١٠: ٢٨) أي لكل الذين يسمعون صوته كما سبق وقال: «إن خرافي

تصغي إلى صوتي» (١٠: ٢٧). وبما أن المرض حالّ في الإنسان، لذلك فإزالته تؤدّي إلى تحرير هذا الأخير وتجديد الحياة فيه. فالمرض مع ابن الله لا يؤدّي إلى الموت (أ ٤) بل إلى الحياة وذلك مؤكّد في الآيات ٤٣-٤٤ حيث خرج الميت من القبر حيّاً. يقف الإنسان إذًا متوسطًا مجد الله وابنه. فالابن يمجّد الله بإحيائه للإنسان والله يمجّد الابن لأنه أحيا الإنسان.

إن التقرب من يسوع يجب أن يركز على علاقة حبّ تقوم بينه وبين طالبه. فيسوع يحب لعازار وأختيه: «هو الذي تحبه» (أ ٣)، «وكان يسوع يحب مرثا وأختها ولعازر» (أ ٥). لعبت الأختان دور الشفيعة فوجهتا رسالة إلى السيّد من أجل أخيهما لعازر، فأدّى ذلك للكشف عن إرادة ابن الله وأبيه، فصار لعازر علامة تحركّ الله من خلالهما. يجب أن تنطلق الشفاعة إذًا من نقطة بالغة الأهمية ألا وهي الإيمان بمحبة الابن للإنسان. والعبارة التي تعبّر عن شمولية هذه المحبة هي «وكان إنساناً مريضاً» (أ ١) لأن كلمة «إنسان» تُطبّق على كل شخص يحمل صفة الإنسانية.

بعد الإشارة إلى علاقة الآب بالابن والابن بالإنسان يمكننا الآن الغوص أكثر فأكثر في رموز هذه الآيات.

إن ذكر حادثة مريم التي دهنت الربّ بالطيب ومسحت رجليه بشعرها (١١: ٢؛ ١٢: ١-٨) يُدخّلنا في عالم آخر ألا وهو موت ودفن السيّد لأن يسوع بنفسه قال: «دعها فإنها حفظت هذا الطيب ليوم دفني» (١٢: ٧). أما عبارة «مكث حينئذ في الموضع الذي كان فيه يومين» (أ ٦) فتشير إلى موت يسوع ودفنه. استعمل الإنجيلي كلمة «الموضع» (توبوس) نفسها عندما تكلم عن القبر الذي دفن فيه يسوع: «وكان في الموضع الذي صُلب فيه بستان، وفي البستان قبر جديد لم يكن قد وُضع فيه أحد» (٩: ٤١).

أما عدد الأيام «يومين» في آ ٦ هو نفسه الذي قضاه يسوع في القبر إلى حين قيامته في اليوم الثالث (١٩: ٣١). وموت يسوع الذي أنبأ به تلاميذه عندما أعلمهم بخيانة يهوذا أدّى به إلى القول: «الآن مُجد ابن الإنسان ومجدّ الله فيه» (١٣: ٣١ و١١: ٤). إذًا فعندما تكلم يسوع عن مرض لعازر وموته أشار إلى موته الذي سيؤدّي إلى المجد.

أما بالنسبة للآية ٤٤ فهي تعبّر عن قيامة يسوع من القبر لأن الكاتب اعتمد وصف حالة الميت عند خروجه من القبر: «يداه ورجلاه مربوطة بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل»

كي يساعد القارئ على ربط هذه الحالة بالأقمطة واللفائف التي وُجدت في قبر يسوع بعد قيامته: «فدخل القبر فأبصر اللفائف ممدودة...» (٢٠: ٦-٧).

والذي يؤكد صحة هذه الرمزية هو التوازي الحاصل بين رجلي يسوع: «ومسحت رجله بشعرها» (آ ٢) ورجلي لعازر المربوطة بالأقمطة (آ ١٤٤). إذاً فموت لعازر وقيامته أشارا إلى موت وقيامه يسوع من القبر.

انطلاقاً من شمولية الخلاص التي جاء ابن الله من أجل إتمامها، فإن خروج لعازر من القبر (آ ٤٣) يؤكد قول يسوع: «والخراف إلى صوته تصغي. يدعو خرافه كل واحد منها بأسمائها ويخرجها» (١٠: ٢). لذلك فعندما صرخ يسوع بصوت عظيم ذكر اسم «لعازر» ودعاه باسمه وقال له «هلمّ خارجاً» (١١: ٤٣).

والقيامة هي عمل يقوم به يسوع من أجل تحرير الإنسان من الموت. أما الإنسان لا يستطيع لأخيه الإنسان إلا أن يحلّه من رباطه ويدعه يذجر أي يتجرّد على سيطرته عليه.

٧-١٠ و٤١ب-٤٢

دعا يسوع تلاميذه كي يتبعوه إلى اليهودية، واستعمل كلمة «لنذهب» أي لنشارك (آ ٧). إن ردة فعل التلاميذ تشير إلى مدى الخطورة التي سيتعرضون لها إذا رافقوه، لأنه سيضعهم في مواجهة مع اليهود الذين كانوا يطلبون رجمه (آ ٩). تردّد التلاميذ إذاً في خلق وحدة المصير مع المعلّم نظراً لجهلهم للأمور التي سيعيشها هناك. انطلق الكاتب من مرض لعازر كي يتكلّم عن خطورة الوضع الذي سيمرّ فيه المعلّم عندما يواجه اليهود. فصار المعلّم بدوره أيضاً معرضاً للموت كما هي الحال مع لعازر المريض.

ولكن يسوع كان يشدّد على مدى أهمية عمله طالما هو يعيش تحت وطأة نور هذا العالم: «أليست ساعات النهار أثنى عشرة؟». لذلك عليه أن يبقى ديناميكياً لا جمود فيه: «إن كان أحد يمشي» (آ ٩، ١٠). وما دام سيعيش وقتاً قليلاً معهم «أنا باق معكم وقتاً قليلاً» (٧: ٣٣) فإن سيّداوم العمل من أجل أن يعلم العالم أن الأب فيه وأنه في الأب (١٠: ٣٨).

ومحاولة رجم اليهود ليسوع كان من أجل إعلانه للوحدة بينه وبين الأب (١٠: ٣٩). وهذا ما يؤكد لنا بأن الساعات الإثني عشرة تشير إلى هذا العمل بالذات.

أما يسوع فلن يعد (إلى الوراء) أي أنه لن يتردد عن ذلك لأن النور فيه وهو عالم بما يفعل (آ ١٠) ومواجهته لليهود لن تردّه. إن عمل يسوع يقوم على فتح أعين العالم كي يراه ويؤمن به كما فعل مع الأعمى (٩: ١-٧). عادت البصيرة إلى الأعمى فطرح عليه يسوع سؤالاً: «أتؤمن أنت بابن الإنسان؟»، أجاب: «ومن هو، يا رب، فأؤمن به؟» (٩: ٣٥-٣٦).

أتى يسوع إلى العالم كي ينقل إليه نور الآب السماوي. لذلك كانت صلاة يسوع ليس فقط من أجل قيامة لعازر من القبر، بل من أجل إحياء الإيمان في الجمع الحاضر: «لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمن أنك أرسلتني» (آ ٤٢).

أما صلاة يسوع فهي مقسمة إلى أربعة أقسام:

- ١ - حالة الجسد المصلّي: «رفع عينيه إلى فوق».
- ٢ - الشكر على الأعمال التي صنعها الآب مع الابن.
- ٣ - ثقة الابن بالآب على أنه يسمع له في كل حين.
- ٤ - الهدف الذي من أجله تُتلى الصلاة (٤١ ب - ٤٢).

وعبارة «ليؤمن أنك أرسلتني» تهدف إلى دفع الجمع للإيمان بالمرسل. إذًا فيسوع يعمل ليس من أجل إنسان واحد بل من أجل العالم كله.

آ ١١-١٦ و ٣٨-٤١

انتقل يسوع من الجمع والاهتمام بإحياء إيمانه إلى التلاميذ كي يعوا بدورهم أهمية الإيمان بالمعلم الذي يسرون معه: «وأنا أفرح لأجلكم لأنني لم أكن هناك لتؤمنوا» (آ ١٥).

إن الآيات ١١-١٦ مبنية بشكل محوري ومتواز بنفس الوقت: إن ليسوع كلمتين متوازيتين بينهما (آ ١١ و ١٤-١٥) كما هي الحال مع التلاميذ (آ ١٢ و ١٦)، أما المحور فهي كلمة الكاتب التي يشرح فيها مضمون كلمة المعلم (آ ١٣).

١١ أ كلمة يسوع (لعازر مات وهو ذاهب لإيقاظه)

ب ١٢ كلمة التلاميذ (النوم يؤكد إمكانية الشفاء)

ج ١٣ قول يسوع (لعازر مات)

ج ج ١ قول التلاميذ (ظنوا بأنه رقاد النوم)

أ ١٤-١٥ كلمة يسوع (يسوع يعبر عن فرحه بوجود التلاميذ معه في هذه المهمة كي يؤمنوا)

ب ب ١٦ كلمة توما تلميذ يسوع (هلموا لنموت معه).

استعمل يسوع الفعل نام كي يؤكد موت لعازر: «لعازر حيينا قد نام» (آ ١١).  
وفعل نام يحمل معنيين: رقاد النوم وراقاد الموت. سبق واستعملت الجماعات المسيحية الأولى هذا الفعل في كتاباتها للدلالة على رقاد الموت، مثلاً: «قام كثير من أجساد... الراقدين» (متى ٢٧: ٥٢)؛ «رقد وانضم إلى آبائه» (أع ١٣: ٣٦)؛ «وصار باكورة الراقدين» (١ كور ١٥: ٢٠). يجدر بنا أن نركز إذاً على كلمة «أيقظه» التي استعان بها يسوع للدلالة فقط على أنه الموقظ الوحيد من الرقاد. وقد اكتفى بالفعل «أيقظ» (آ ١١) دون الإشارة إلى الفعل «أقام» عندما أكد موت لعازر (آ ١٤). لذلك فعلى القارئ نفسه أن يستنتج سلطان يسوع الكامن فيه أي قدرته على إحياء الأموات لأنه يوقظهم من رقادهم كما سبق وقال (آ ١٣).

بقيت عقول التلاميذ محدودة، وزاد فرح المعلم، لأن العمل الذي سيقوم به تجاه لعازر (إخراجه من القبر) سيؤدي بهم إلى الإيمان (آ ١٥). وما زال يسوع يشدد على وحدة المصير بينه وبين التلاميذ كي يستطيع هؤلاء أن يشهدوا لما سيحدث (آ ١٥ ب).

أعلن توما عن موافقته للمشاركة لكن ليس بدون تعليق. بعد أن أكد التلاميذ مدى خطورة عودة يسوع إلى اليهودية لأنه سيتعرض للرجم من قبل اليهود (آ ٨). دمج توما بقوله، موت لعازر واحتمال موت يسوع، لذلك قال: «لنذهب نحن أيضاً لكي نموت معه» (آ ١٦ ب). هنا أيضاً يمكننا أن نرى كيف أن موت وقيامه لعازر يشيران إلى مسيرة يسوع التي أدت إلى الموت والقيامة.

أما بالنسبة للآيات ٣٨-٤١ فهي توضح هدف يسوع: «ألم أقل لك إن آمنت ترين مجد الله» (آ ٤٠) لأن الآيات نفسها تتمحور حول كلمة مرتا أخت الميت وكلمة يسوع.

(أ) ٣٨ انزعاج يسوع ومجيئه إلى القبر (شكل مغارة موضع عليها حجر)

(ب) ٣٩ كلمة يسوع (يسوع يصدر أمراً برفع الحجر)

(ج) ٣٩ ب كلمة مرتا: تأكيد على موت أخيها ومدى صعوبة العمل (أنتن، فله أربعة أيام في القبر)

(ج ج) ٤٠ كلمة يسوع (إن آمنت ترين مجد الله)

(ب ب) ٤١ أ فرفعوا الحجر (نفذوا أمر يسوع)

(أ أ) ٤١ ب حيث كان الميت موضوعاً.

أكد الكاتب من خلال كلمة مرتا وصحة قول يسوع: «لعازار مات» (١٤). وشدد على أن الجثة قد انتنت أكد على فساد الجسد لأن مهمة يسوع ستتضمن عملية خلق تشمل عودة الروح وشفاء الجسد.

أما يسوع فقد عاود تذكير مرتا بأهمية الإيمان حتى تستطيع رؤية مجد الله، لأن عمله مربوط بإيمان الإنسان الذي طلب منه هذه الآية (آ ٤٠). يظهر الله مجده إذًا لكل إنسان يؤمن بابنه المرسل إلى العالم.

أصدر يسوع بعد ذلك أمراً طلب فيه رفع الحجر عن المغارة ليزيل المسافات بين الحاضرين (اليهود) وبين الميت (٤١)، واقترب اليهود من القبر يؤكد صحة عمل يسوع تجاه لعازر الذي سيقوم من القبر على يده.

إحياء إيمان التلاميذ وإيمان الذين أحبوا يسوع سيؤدي إلى إحياء لعازر الذي بقيامته سيحيي بدوره إيمان اليهود أي الجمع (آ ٤٢).

١٧٧-١٩ وآ ٣٤-٣٧

بعد استيضاح موقف التلاميذ وإيمانهم الذي ينبغي أن يكون مشابهاً لموقف مرتا التي آمنت بيسوع، انتقل الكاتب ليرينا مشهداً آخر من الخبر ألا وهو وجود اليهود: «وكان

كثير من اليهود قد جاؤوا إلى مرتا ومريم ليعزّوهما عن أخيها» (آ ١٩). بالإضافة إلى ذلك ذكر مدينة «أورشليم» (آ ١٨) حيث سيلقى يسوع عذاباته من جرّاء مواجهته مع اليهود أنفسهم (١١: ٤٧-٥١). إن وجود اليهود بقرب مرتا ومريم كان للتعزية، ولكن قرب يسوع من هاتين الأختين جعلهما يلاحظان مدى قوّة المحبّة التي يكنّها لهما: «بكى يسوع» (آ ٣٥) فقال اليهود: «انظروا كيف كان يحبّه» (آ ٣٦).

عبر يسوع بذلك عن إنسانيته وعن مشاركته لآلام الإنسانية جمعاء، فأخذ المبادرة وسأل عن المكان الذي وُضع فيه الميت (آ ٣٤). وعندما ذكروا بعجيبه شفاء الأعمى التي جرت على يدي يسوع، انطلقوا من علاقة يسوع بلعازار، لا بعلاقتهم بيسوع لأنهم على ما يبدو ظلّوا عديمي الإيمان به. وما عجيبه فتح عين الأعمى بالنسبة لليهود إلا لإظهار شكّهم واعتبارهم بأن الدقّة لم تعد في يدي يسوع نظراً لموت لعازر أثناء غيابه: «ألم يقدر هذا الذي فتح عيني الأعمى أن يجعل هذا أيضاً لا يموت» (آ ٣٧).

ظنّ اليهود أولاً أن يسوع لا يستطيع إخراج لعازار من القبر. واعتبروا ثانية أن الأعمى بفتح عينه قد نال الحياة لأن العبارة «أن يجعل هذا أيضاً» تربط بين «فتح عيني الأعمى» وعدم الموت! فالذي فتح عيني الأعمى أعطى الأعمى حياة لأن هذا الأخير آمن به ونال الحياة الأبدية (٩: ١-٧). والسخرية هي من ميزة الإنجيلي، لأنه غالباً ما يضع على لسان اليهود ما يجب على القارئ المؤمن استنتاجه.

أما انزعاج يسوع (آ ٣٨) فهو ناتج عن اكتشافه لعدم مقدرة اليهود على الإيمان به بأنه واهب الحياة الأبدية «ألم يقدر هذا الذي» (آ ٣٧) وعن الموقف الذي أخذه من آية شفاء الأعمى إذ إنهم ظلّوا عمياناً لا يبصرون ولا يؤمنون فبقوا في خطيتهم التي تعبّر عن عدم إعترافيهم بيسوع مرسلًا من عند الأب (٩: ٤١).

٢٠٠-٢٢ و ٢٨-٣٣

يعاود الكاتب التحدّث عن مرتا ومريم فيظهر موقفين مختلفين نوعاً ما:

موقف مرتسا	موقف مريم
(٢٠٠) (١) سمعت مرتا أن يسوع أت	(٢٨١) مضت مرتا ودعت مريم أختها وقالت لها (٢٩) المعلم حضر وهو يدعوكم لما سمعت قولها
(٢) لاقته	(٢٩٦ب) (٢) قامت مسرعة وجاءت إليه
(٣) أما مريم فاستمرت جالسة في البيت	(٣٠٦) (٣) لم يكن يسوع قد جاء إلى القرية بل كان في المكان الذي لاقته فيه مرتا .
	(٣١٦) (-) ثم إن اليهود الذين كانوا معها في البيت ظنوا بأن مريم ذاهبة إلى القبر فتيبوا .
(٢١٦) (٤) فقالت مرتا ليسوع: " لو كنت ههنا لم يمت أخي "	(٣٢٦) (٤) لما أتت مريم إلى حيث كان يسوع حررت عند رجله قائلة " يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخي "
(٢٢٦) (٥) لكني الآن أيضاً أعلم أن كل ما تطلب من الله يعطيك الله إياه .	
	(٣٣٦) (-) فلما رآها يسوع تبيكي واليهود الذين جاءوا معها يكون انزعج بالروح واضطرب .

نستنتج من رسمنا هذا أموراً عدة جعلت الأحداث تتحرك وتتمحور حول إيمان مرتا ومريم، وتجاوب يسوع مع هذا الإيمان.

أخذ يسوع كعادته المبادرة، إما بقدمه (٢٠٠)، وإما بدعوته لمريم (٢٩٦)، والتجاوب كان سريعاً من مرتا ومريم، لأن الإثنتين هبتا لملاقاته (٢٠٠ و ٢٩٦ب) ولكن الفارق الوحيد بين الإثنتين هو أن مرتا لعبت دور صلة الوصل بين يسوع ومريم، لأنها هي التي ذهبت إلى أختها من أجل نقل كلمة يسوع ودعوته إلى سماعها (٢٨١-٢٩٦).

عندما تحركت مرتا بقيت مريم جالسة في البيت أي في حالة جمود عبرت بها عن قلة إيمانها بيسوع (٣٠٦). ولكنها عادت والتقت بيسوع في المكان نفسه الذي التقت فيه مرتا بيسوع، أي إن هذه الأخيرة عادت لتقطع المرحلة نفسها التي قطعتها أختها (٣٠٦). أما وجود اليهود في البيت، فكان من جهة مريم التي بتحركها جرّت معها أفكارهم ومعتقداتهم (٣١٦). ظن اليهود بأنها ذاهبة إلى القبر ولكنها كانت تفكر عكس ما كانوا يفكرون. ذهبت باتجاه يسوع كي تنال التعزية منه. فخرّت عند قدميه معلنة «إيمانها»: «يا

سيد لو كنت ههنا لم يمت أخي» (آ ٣٢). ولكن هذا الإيمان ظلّ بمستوى إيمان اليهود الذين توقّفوا عند آية فتح عيني الأعمى، وشكّو بمقدرة يسوع على إخراج لعازر من القبر (آ ٣٧).

ونلاحظ بعد ذلك أن مرتا تعدّت هذا الإيمان السطحي وذهبت أبعد من ذلك في إيمانها وقالت دون حاجتها لأن تخرّ على قدمي يسوع: «لكنّي الآن أعلم أن كل ما تطلب من الله يعطيك إياه» (آ ٢٢). وهذه الآية توازي بمحتواها ما قاله في صلاته لأبيه: «وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي» (آ ٤٢). وحدّت مرتا إيمانها بإيمان معلّمها، فأمنت بأنه مرسل من عند الأب، لذلك فهي ستري مجد الله في قيامة أخيها من القبر (آ ٤٠). أما مريم التي ظلّ إيمانها بمستوى إيمان اليهود، فبكت وبكى اليهود معها فأزعجوا يسوع بالروح وجعلوه يضطرب، لأنهم لقلّة إيمانهم قد لا يرون مجد الله أي قد لا تتحقّق الأعجوبة (آ ٣٣).

ولكن بالرغم من ذلك، فإن الأعجوبة ستحصل بوجود مؤمن واحد ألا وهو مرتا التي حافظت على هذا الإيمان بتدخل يسوع نفسه عندما جرى الحوار بينه وبينها (آ ٢٣-٢٧) وعندما شدّدها (آ ٤٠).

### الخاتمة آ ٢٣-٢٧

إن الآيات ٢٣-٢٧ مبنية بشكل متواز:

(آ ٢٣) قال لها يسوع: «سيقوم أخوك»

(آ ٢٤) قالت له مرتا: «أنا أعلم أنه سيقوم في القيامة في اليوم الأخير»

من آمن بين ولو مات فسيحيا

(آ ٢٥) قال لها يسوع: «أنا هو القيامة والحياة:-

(آ ٢٦) وكل من كان حياً وآمن بي

فلن يموت إلى الأبد. أتؤمنين بهذا؟

(آ ٢٧) قالت له: «نعم يا سيد. أنا قد آمنت أنك أنت المسيح إبن الله الآتي إلى العالم».

كان رجاء القيامة في اليوم الأخير من المعتقدات المهمة الشائعة لدى اليهود (دا ١٢: ١-٣؛ ٢ مك ٧: ٢٢ و ٢٤؛ ١٢: ٤٤) لذلك بدأ يسوع حديثه مع مرتا كي ينطلق من إيمانها بالذات: «أنا أعلم أنه سيقوم في القيامة في اليوم الأخير» (آ ٢٤). ولكن يسوع ردّ عليها مكتملاً إيمانها وداعياً لها لأن تضع كل ثقتها في شخصه بالذات لأنه كشف عن نفسه قائلاً «إنه هو القيامة والحياة» (آ ٢٥). لذلك فاليوم الأخير قد حلّ بقدومه إلى العالم لأنه القيامة والحياة لكل من آمن به. فالذي يؤمن إذاً بأن يسوع هو المسيح ابن الله الآتي إلى العالم يدخل في عالم الحياة الأبدية والقيامة. فإن كان حياً فلن يموت إلى الأبد وإن مات فسيحيا (آ ٢٥-٢٦).

نستنتج من ذلك أن إيمان التلاميذ الذي غاب عن الأنظار بعد آ ١٦ وإيمان اليهود الذي توحد بإيمان مريم وظلّ ناقصاً، يجب أن يتحدوا في إيمان مرتا التي دخلت في عالم يسوع مقتنعة بأنه المسيح ابن الله فنالت الحياة الأبدية ورأت مجد الله.

لذلك فالنص بحدّ ذاته يشير إلى العقيدة المسيحية التي نادى بها الرسل: المسيح قام من بين الأموات وكل من آمن به نال الحياة الأبدية.

الأب ريمون الهاشم

## ردات الفعل على المعجزات في العهد الجديد

### ١- المعجزات في العهد الجديد

تذكر الأناجيل ٦٦ رواية عن ٣٢ معجزة مختلفة إجتريها يسوع. يذكر متى ٢٠ رواية، ومرقس ١٨، ولوقا ٢٠، ويوحنا ٨. وهي تشكّل جزءاً بسيطاً من الأناجيل؛ ففي متى مثلاً، تشكّل الروايات ١١٩ آية من أصل ١٠٧١، أي ما يقارب ١، ١١ بالمئة من إنجيله.

يشارك الإنجيليون الأربعة في رواية معجزة واحدة، هي معجزة تكثير الخبز الأولى (متى ١٤/١٣-٢١؛ مر ٦/٣٠-٤٤؛ لو ٩/١٠-١٧؛ يو ٦/١-١٥). ويشارك الإزائيون في رواية ١٠ معجزات. يتفرد متى في رواية ٣ معجزات ومرقس في ٢ ولوقا في ٥ ويوحنا في ٤.

٨ روايات فقط لا تعرف لها خاتمة أو آية ردة فعل، ٤ في متى، ٣ في لوقا، وواحدة في كل من مرقس ويوحنا، وهي رواية:

المنزوفة (متى ٩/٢٠-٢٢)

ضريبة الدرهمين (متى ١٧/٢٤-٢٧)

المشي على المياه (يو ٦/١٦-٢١)

الاذن المقطوعة (لو ٢٢/٥٠-٥١)

ابن قائد المئة (متى ٨/١٣-٥ ولو ٧/١-١٠)

المرأة الكنعانية (متى ١٥/٢١-٢٨ ومر ٧/٢٤-٣٠)

وقد تمّ الشفاء في هاتين المعجزتين الأخيرتين عن بُعد.

أما سائر الروايات فتمتّع كلّها بردّات فعل، يقوم بها أشخاص عديدون: يسوع، المعافي، التلاميذ، الجموع، الخصوم...

زد على ذلك ١٢ معجزة في كتاب أعمال الرسل، إجتزحها، إمّا ملاك الربّ، وإمّا أحد الرسولين بطرس وبولس، وكلّهما تتمتّع بخاتمة وردّة فعل. أما سائر كتب العهد الجديد فتختفي منها المعجزات.

قسم الشّراح معجزات الأناجيل إلى ثلاث فئات كبرى:

١ - معجزات شفاء من:

+ المرض: العمى، والفالج، والبرص، وأمراض مختلفة

+ الأرواح النجسة: كمسوس كفرناحوم، وممسوس جراسا...

+ الموت: إحياء إبنة يائيرس، وإبن أرملة نائين، ولعازر.

٢ - معجزات في الطبيعة: تسكين العاصفة، والمشي على المياه، والصيد العجيب...

٣ - معجزات عطاء: تكثير الخبز في الجليل، وتحويل الماء إلى خمر في قانا.

تمتّع هذه الروايات بهيكليّة أدبيّة ومحدّدة لها قواعدها وضوابطها نختصرها بنقاط أربع:

١ " عرض المشكلة: وصف المريض أو الحاجة واستحالة المعالجة (لو ٨/٤٣)

٢ " تدخّل يسوع: بواسطة كلمته، وأحياناً يرفقها بعمل أو حركة رمزية، كالتفل، ووضع الأيدي واللمس (مر ٥/٢٣)

٣ " النتيجة: غالباً هي فورية ومباشرة، يمكن إثباتها والتحقق منها (مر ١٢/٢)، وأحياناً تتم تدريجياً (مر ٢٣/٨) أو عن بعد (متى ١٣/٨).

٤ " ردة الفعل: يقوم بها الانسان المعافى أو الحضور. فالرواية تنتهي إمّا بالإعتراف بتدخل إلهي وإمّا بالسكوت والصمت. قليلاً ما تخبر الروايات ماذا جرى للمعافى. وإمّا بردات فعل الجمهور. فهي موجزة إذا كانت إيجابية، وموسعة إذا كانت سلبية.

هذه الهيكلية البسيطة يمكن، بالنسبة إلى مغزى الرواية، أن تتعقد حسبما تتناول عمل يسوع أم تعليمه. ففي الحالة الأولى، نحن أمام رواية تركز إمّا على عمل يسوع لظهور قدرته، وإمّا على إيمان المريض أو محيطه كما في مر ٥/٢ حيث رأى يسوع إيمان الرجال الأربعة فقال للمفلوج: «مغفورة خطاياك يا بني». وفي الحالة الثانية، تعليم يسوع هو قلب الرواية. فتصبح المعجزة سندا لهذا التعليم، ومبعثاً للجدال وردات الفعل. فمثلاً في شفاء إنسان أشل يوم السبت (مر ٣/٤، ٦) يتساند التعليم والشفاء فيتضح معنى المعجزة وجوهر التعليم.

## ٢ - ردّات الفعل على المعجزات

### أ - يسوع والمعافى

- ١ - يصرف المعافى وهو يشيد بإيمانه، أو إيمان من يتوسل له:
  - المنزوفة (لو ٨/٤٨) قال لها يسوع: «إيمانك يا ابنتي نجّاك، فاذهبي بسلام».
  - غلام قائد المئة (متى ٨/١٠ و ١٣) إنني لم أجد، عند أي من إسرائيل هذا القدر من الإيمان. ثم قال لقائد المئة: اذهب ليكن لك على قدر إيمانك.
- ٢ - يصرف المعافى وهو يؤكّد على حقيقة حصول المعجزة:
  - المنزوفة (مر ٥/٣٤) إيمانك يا ابنتي، نجّاك. بسلام اذهبي ومن سقمك تعافي.
  - غلام قائد المئة (متى ٨/١٣) اذهب ليكن لك على قدر إيمانك، فشفي الغلام من تلك الساعة.
  - أعمى أريحا (مر ١٠/٥٢) اذهب فإيمانك نجّاك.
  - عشرة برص (لو ١٧/١٩) قم وامض، فإيمانك نجّاك.

- ٣ - يصرف المعافى وهو يطلب إليه أن يعلن الحدث
- ممسوس جراسا (مر ١٩/٥) امض إلى بيتك وبشّر ذويك بكل ما صنع الرب إليك وكيف رقاً لحالك
  - الأبرص (مر ١/٤٤) امض وأر الكاهن نفسك .
  - ٤ - يصرف المعافى وهو يطلب إليه السكوت
  - الأبرص (مر ١/٤٤) إياك أن تخبر أحداً .
  - أعميا كفرناحوم (متى ٣٠/٩) . فقال لهما محذراً: «إياكما أن يعلم أحد» .
  - ٥ - يصرف المعافى وهو يطلب إليه تنفيذ الشريعة
  - الأبرص (مر ١/٤٤) امض ، وأر الكاهن نفسك ، وقرب ما أمر به موسى عن طهرك شهادة لهم .
  - ٦ - يصرف المعافى إلى بيته أو يعيده إلى ذويه
  - مفلوج كفرناحوم (مر ٢/١١) بأمرى قم ، احمل فراشك ، وامض إلى بيتك .
  - أعمى بيت صيدا (مر ٨/٢٦) ارسله يسوع إلى بيته قائلاً: لا تدخل القرية .
  - إحياء ابن أرملة نائين (لو ٧/١٥) فاستوى الميت جالساً وطفق يتكلم ، فدفعه يسوع إلى أمه .
  - الصبي الممسوس (لو ٩/٤٢) زجر يسوع الروح النجس وشفى الصبي ، ودفعه إلى أبيه .

## ب - يسوع والجموع

- ١ - يسوع يصرف الجموع
- تكثير الخبز الأول (مر ٦/٤٥) وعلى الأثر أرغم يسوع تلاميذه أن يركبوا القارب ويسبقوه إلى الضفة الأخرى ، إلى بيت صيدا ، ريثما يصرف الجموع .
  - تكثير الخبز الثاني (مر ٨/٩) وكان الآكلون نحو ٤ آلاف ثم صرفهم يسوع .

٢ - يحذّر الجموع من نشر الخبر

- الأصم الألكن (مر ٣٦/٧) وأوصى يسوع الحاضرين ألا يخبروا أحداً.
- ابنة يائير (مر ٤٣/٥) فأوصاهم كثيراً، ألا يعلم أحد بذلك.
- ابنة يائير (لو ٥٦/٨) وذهل الأبوان، فأوصاهما ألا يخبرا أحداً بما حدث.

٣ - الصيت

- ينشره المعافون والحضور تلقائياً، على طلب يسوع أو رغم تحذيره كما جاء سابقاً  
- ينشر:

- بطرس يحيي طابيتا في يافا (رسل ٩/٤٢) وذاع الخبر في كل يافا وآمن بالرب  
ناس كثير
- اليهود السحرة الذين انقض عليهم الروح الشرير (رسل ١٩/١٧) وعرف ذلك  
جميع سكان أفسس.
- ينشر بعيداً:

- إحياء ابنة يائير (متى ٩/٢٦) وذاع الخبر في كل تلك الديار.
- ممسوس كفرناحوم (مر ١/٢٨) وشاع للوقت ذكره في كل أنحاء الجليل
- ينشر مع الكلمة:

- ابن أرملة نائين (لو ٧/١٧) وشاع في كل اليهودية وكل ضواحيها خبر ما فعل  
يسوع.

## ج - يسوع والتلاميذ

١- يسوع بنوّه بقلة إيمان التلاميذ:

- الصبي الممسوس (متى ١٧/٢٠) هي المرة الوحيدة التي يتدخل فيها التلاميذ بعد  
معجزة شفاء. ويسألون يسوع لماذا لم يقدرُوا هم  
على الشفاء. فيجيبهم «لقلّة إيمانكم».

تسكين العاصفة (مر ٤/٤٠) أليس لكم إيمان؟

(لو ٨/٢٥) أين إيمانكم؟

## ٢ - التلاميذ

- يؤمنون بيسوع: عرس قانا الجليل (يو ٢/١١) فأظهر مجده وأمن به تلاميذه.
- يتبعونه: الصيد العجيب (لو ٨/١١) ولما أتوا إلى البر تركوا الكل وتبعوه.
- يخافون: تسكين العاصفة (مر ٤/٤٠) فخافوا خوفاً عظيماً.
- يتعجبون: تسكين العاصفة (لو ٨/٢٥) فخافوا وتعجبوا
- التينة اليابسة (متى ٢١/٢٠) ورأى التلاميذ ذلك فتعجبوا
- يتساءلون حول هوية يسوع: تسكين العاصفة (مر ٤/٤٠) من هو هذا فإن أيضاً الريح والبحر تطيعه.
- يسجدون له: المشي على المياه (متى ١٤/٣٣) والذين في السفينة سجدوا له قائلين: «بالحقيقة أنت ابن الله»

الصيد العجيب (لو ٨/٥) لما رأى سمعان بطرس. خرَّ عند قدمي يسوع  
• يرفعون فضلات الكسر:

- تكثير الخبز الأول (متى ١٤/٢٠) ثم رفعوا ما فضل من الكسر ١٢ قفة
- تكثير الخبز الثاني (متى ١٥/٣٧) رفعوا من فضلات الكسر ٧ سلال مملوءة

## د - يسوع والخصوم

- يخزي الخصوم:
- شفاء المرأة الحدياء يوم السبت (لو ١٣/١٧) «قال هذا فخزي جميع خصومه»
- شفاء مستسق يوم السبت (لو ١٤/٦) «فاعيا عليهم الجواب»

## هـ - هرب يسوع

- من الملك: تكثير الخبز والسمك (يو ٦/١٥) وعلم يسوع أنهم يهيمون أن يأتوا، فيخطفوه لينادوا به ملكاً. فعاد يعتزل في الجبل وحده.

- من القتل: شفاء أشل يوم السبت (متى ١٤/١٢ و ١٥) فخرج الفرّيسيّون وتشاوروا كيف يقضون على يسوع، وعلم يسوع بالأمر.
- فانصرف من هناك.
- من الناس: الأبرص (مر ١/٤٥) فخرج ينادي ويذيع الخبر، فما استطاع يسوع أن يدخل مدينة جهرًا، وأقام في أماكن خارجية خالية.
- الأبرص (لو ٥/١٥-١٦) توافدت جموع كثيرة لتسمعه وتشفى من أمراضها، أمّا هو فكان يعتزل البراري ويصلي.

### أولاً: المعافى

- ١- يقوم بعمل جسدي جديد
  - شفاء حماة بطرس (مر ١/٣١) فزال عنها الحمى وصارت تخدمهم
  - مفلوج كفرناحوم (مر ٢/١٢) فقام المفلوج وحمل لوقته فراشه، وخرج بمراى منهم جميعاً
  - مفلوج أورشليم (يو ٩/٥) فشفي الانسان لوقته، وحمل فراشه، ومشى.
  - إحياء ابنة يائير (مر ٥/٤٣) ثم قال لهم يسوع أن يطعموها.
- ٢- يقوم بعمل ذات مغزى روحي
  - يتبع يسوع: أعمى أريحا (لو ١٨/٤٣) وفي الحال أبصر وصار يتبعه
  - ممسوس جراسا (مر ٥/١٨) ولما دخل السفينة طلب إليه المجنون أن يكون معه.
  - يخدمه: حماة بطرس (متى ٨/١٥) فقامت وخدمته
  - يؤمن به: ابن قائد المئة (يو ٤/٥٣) فأمن هو وأهل بيته
  - أعمى أوشليم (يو ٩/٣٨) أو من سيدي
  - يسجد له: أعمى أوشليم (يو ٩/٣٨) وسجد له (ليسوع)
  - عشرة برص (لو ١٧/١٦) وهوى بوجهه على الأرض لدى قدمي يسوع
  - يشكره: عشرة برص (لو ١٧/١٦) وهو يشكر له (ليسوع) وكان سامرياً

• يعلن الخبز وفق طلب يسوع: ممسوس جراسا (مر ١٩/٥ و ٢٠) اذهب إلى بيتك وإلى أهلِكَ، وحدث بما صنع بك الرب. فمضى ينادي في المدن العشر ما صنع به يسوع.

• يعلن الخبز رغم تحذير يسوع: أعميا كفرناحوم (متى ٣١/٩) انظرا لا يعلم أحد ولكنهما خرجا وأشاعاه في تلك الأرض كلها

الأبرص (مر ١/٤٥) أما هو فخرج ينادي ويذيع الخبر

• يمجّد الله: أعمى أريحا (لو ١٨/٤٣) وصار يتبعه وهو يمجّد الله.

مفلوج كفرناحوم (لو ٥/٢٥) مضى إلي بيته وهو يمجّد الله.

المرأة الحدياء (لو ١٣/١٣) فإذا هي تستوي وتمجّد الله.

ثانياً: الجموع

١ - تشهد المعجزة:

مفلوج كفرناحوم (٢/١٢) وخرج بمرأى منهم جميعاً

ممسوس جراسا (مر ٥/١٤-١٥) فذهب الناس ليروا ما جرى. أتوا يسوع فرأوا المسوس.

تكاثر الخبز والسمك (مر ٦/٤٤) وكان الذين أكلوا الأرغفة ٥ آلاف رجل...

٢ - تعجب بدرجات متفاوتة

• تعجب:

الممسوس الأخرس (متى ٩/٣٣) عجبت الجموع فقالت «ما ظهر مثل هذا يوماً في إسرائيل»

تسكين العاصفة (متى ٨/٢٧) عجب الناس وقالوا: من ذا فيطيعه البحر والرياح.

مفلوج كفرناحوم (لو ٥/٢٦) ما أعجب ما رأينا اليوم (الجمع).

• تنذهل:

مفلوج كفرناحوم (مر ٢/١٢) فذهلوا (الحاضرون)

ابنة يائير (مر ٥/٤٢) وذُهل الحاضرون كل الدهول.

• تخاف:

تسكين العاصفة (مر ٤/٤١) فخافوا كل الخوف

ممسوس جراسا (لو ٨/٣٧) فاحتشد كل جيران الجراسيين وسألوه أن يبتعد عنهم.  
لأنهم خافوا كل الخوف.

• ترتعد:

ممسوس كفرناحوم (مر ١/٢٧) فارتعدوا كلهم.

(لو ٤/٣٦) ارتعد جميع الحاضرين

الصيد العجيب (لو ٥/٩) وذلك لأن الرهبة اعترته (بطرس) وهو وكل من معه.

٣ - تهتف

• تهتف بدون تحديد

أعمى أريحا (لو ١٨/٤٣) ورأى الشعب كله ذلك فسيح

• تهتف مع تحديد

الممسوس الأخرس (متى ٩/٣٣) وعجبت الجموع فقالت: «ما ظهر مثل هذا يوماً  
في إسرائيل»

مفلوج كفرناحوم (مر ٢/١٢) ومجدوا الله وقالوا «ما رأينا مثل هذا قط!»

• تهتف مع تحديد لقب

الممسوس الأعمى الأخرس (متى ١٢/٣٢) وتهتف الجموع كلها، فقالت: «أ يكون  
هذا ابن داود؟»

المشي على الماء (متى ١٤/٣٣) وسجد كل من في القارب ليسوع قائلاً: «أنت حقاً  
ابن الله»

ابن أرملة نائين (لو ٧/١٦) مجدوا الله وقالوا: «قام فينا نبيّ عظيم، وتفقد الله  
شعبه»

تكثير الخبز (يو ٦/١٤) ورأى الناس آية أتى بها يسوع فقالوا: «هذا هو حقًا النبي الآتي إلى العالم».

شفاء في لسترة (رسل ١٤/١٢) وكانوا يدعون برنابا زوش، وبولس همرس لأنه هو الذي كان يتولى الكلام.

• تهتف مع فرح

المرأة الحذباء (لو ١٣/١٧) وسرَّ الجمع كله بجمع ما كان يأتي على يده من عمل مجيد.

٤ - تنشر الخبر رغم تحذير يسوع

الأصمّ الألكن (مر ٣٦/٧) وأوصى يسوع الحاضرين ألا يخبروا أحدًا. ولكنهم تمادوا في نشر الخبر قدر ما تمادى وأوصى.

٥ - تريده ملكًا

تكثير الخبز (يو ٦/١٤) وعلم يسوع أنهم يهيمون أن يأتوا فيخطفوه لينادوا به ملكًا. فعاد يعتزل في الجبل وحده.

٦ - تأتي إليه:

شفاء أبرص (مر ١/٤٥) وكان الناس يأتونه من كل صوب

ثالثًا: الخصوم

١ - ردة فعل الخصوم على يسوع هي بسبب:

• ادعائه مغفرة الخطايا:

مفلوج كفرناحوم (مر ٥/٦-٥) ورأى يسوع إيمانهم فقال للمفلوج: مغفورة خطاياك يا بني» وكان في الجالسين كتبة ففكروا في قلوبهم: ما لهذا يتكلم هذا الكلام؟ إنه يجدف! من يسعه غفران الخطايا إلا الله وحده.

• تعديه حرمة السبت:

الانسان الأشل (مر ٣/٢) وكان الفرّيسيّون يراقبون هل يشفيه يسوع يوم السبت لكي يشكوه

المرأة الخدباء (لو ١٣/١٤) واغتاظ رئيس المجمع، لأن يسوع قام بشفاء يوم السبت، فقال للمجمع: لديكم ستة أيام للعمل فتعالوا واستشفوا فيها لا يوم السبت

مفلوج أورشليم (يو ٥/٩-١٠) فشفي الانسان لوقته، وحمل فراشه، ومشى وكان ذلك اليوم سبتاً. فقال اليهود للمعافي اليهود عند يوحنا هي السلطة اليهودية المعادية ليسوع) إنه سبت فلا يجوز لك حمل فراشك.

أعمى أورشليم (يو ٩/١٤ و ١٦) وكان يسوع قد جبل طيناً وفتح عينيه يوم سبت... ليس هذا الانسان من عند الله، فهو لا يرعى حرمة السبت.

• ارتباطه بالشيطان:

الممسوس الأخرس (متى ٩/٣٤) أمّا الفريسيّون فكانوا يقولون: إنه برئيس الأبالسة يطرد الأبالسة.

الممسوس الأعمى الأخرس (متى ١٢/٢٤) وسمع الفريسيّون فقالوا: إنما يطرد هذا الرجل الأبالسة ببعل زبول، برئيس الأبالسة.

• إيمان بطرس به:

قيامة لعازر (يو ١١/٤٧-٤٨) ما نعمل! هذا الانسان يأتي بآيات كثيرة؟ فإن تركناه يفعل آمن به الناس جميعاً، وأتى الرومان فدمروا قدسنا وأمتنا.

٢ - القرار بقتل يسوع:

الانسان الأشل (مر ٣/٦) وللوقت خرج الفريسيّون وأشياع هيرودوس وأخذوا يتشاورون كيف يقضون على يسوع.

قيامة لعازر (يو ١١/٥٣) ومن ذلك اليوم قرّ رأي الفريسيّين على قتل يسوع.

### ٣ - مميزات ردّات الفعل

أ - في إنجيل متى

يتفرد متى بردّات فعل على المعجزات قصيرة ولكنها تحمل معاني لاهوتية خاصة به. ففي شفاء حماة بطرس حيث تنتهي الرواية، عند مرقس ولوقا، بفعل «تخدمهم» أي

تخدم يسوع والتلاميذ. يتفرد متى «بقامت وخدمته» (متى ٤/١٥)، أي يسوع، فأصبحت هذه المرأة التي أقامها يسوع صورة للكنيسة التي لم يعد لها دور إلا خدمة يسوع.

وفي تسكين العاصفة (متى ٨/٢٣-٢٧) حيث الكلام يدور بين يسوع والتلاميذ (آية ٢٣) دون ذكر الناس، فإذا بردة الفعل في الآية ٢٧ تأتي من الناس، دون أي ذكر للتلاميذ، فإنهم يتعجبون ويعترفون بسلطان يسوع. بهذا التعبير «الناس» يدلّ متى على غير المؤمنين.

فتعجبُ الناس بعد هدوء العاصفة عجب الناس وقالوا «من ذا فيطيعه البحر نفسه والرياح؟» (متى ٨/٢٧). هو ذاته تعجب الجموع بعد خطبة الجبل: «ولما فرغ يسوع من هذه الكلمات، عجبت من تعليمه الجموع لأنه كان يعلمهم كذي سلطان لا مثل كتبهم» (متى ٧/٢٨-٢٩)، وبعد المعجزة العاشرة: «وعجبت الجموع فقالت: «ما ظهر مثل هذا يوماً في إسرائيل» (متى ٩/٣٣). وهو تعجب يُفضي إلى تمجيد الله: «فتعجب الجمع إذ رأى الأخرس يتكلم، والأقطع يعود سويًا، والأعرج يمشي، والأعمى يبصر. ومجدّ إله إسرائيل» (متى ١٥/٣١).

تعجبُ الجموع بعد المعجزة العاشرة «ما ظهر مثل هذا يوماً في إسرائيل» يقابله تعجب يسوع أمام إيمان قائد المئة، فيقول للذين يتبعونه: «الحق أقول لكم، إنني لم أجد عند أي في إسرائيل هذا القدر من الإيمان» (متى ٨/١٠).

تشدّد إيمان التلاميذ عندما رأوا سلطان يسوع يظهر من خلال المعجزات ولكنهم مدعوون إلى تقوية إيمانهم. فما فعله يسوع في القديم على الأرض يفعله اليوم يسوع الناصري المسيح المجد الذي قال: «أوتيت كل سلطان في السماء والأرض... وها أنا معكم كل الأيام إلى نهاية العالم» (متى ٢٨/١٨ و٢٠).

## ب - في إنجيل مرقس

يتفرد إنجيل مرقس في ما يسمّى بالسّرّ المسيحاني، أي الحرص على كتمان مسيحانية يسوع وكتمان حقيقة هويته وذلك تحاشياً لمسيحانية سياسية راسخة في أذهان معاصريه وتلاميذه، وتصحيحاً تدريجياً لهذه النظرة. فالأرواح النجسة تعلن بواسطة الموسوسين هوية يسوع، فينتهروا ويلزمها بالصمت. والملخصات تذكر أيضاً ذلك (مر ١/٣٢-٣٤؛

٣/٧-١٢) فشفي مرضى كثيرين من أمراض شتى، وطرده أبالسة كثيرين، وما كان ليدع الأبالسة بتكلمون، لأنهم به عارفون.

كما يطلب، بعد المعجزات إلى المعافين والحضور، التزام الصمت وعدم إشاعة الخبر ولكن دون جدوى. لأن إشفاء سر هويته الحقيقية هو الحكم عليه وإرساله إلى الموت. ففي المحاكمة يطرح رئيس الكهنة سؤالاً عليه حول هويته. ومعرفة الجواب كان السبب الكافي بالحكم عليه: «أنت المسيح ابن الله سبحانه؟» قال يسوع أنا هو. . . فشق عظيم الأبحار قميصه وقال «أنحن في حاجة بعد إلى الشهود؟ سمعتم التجديف، فما ترون؟ فحكموا جميعاً أنه يستحق الموت» (مر ١٤/٦١-٦٤).

هذا السرّ يكشفه يسوع في القسم الثاني من إنجيل مرقس في وقت يحدّده هو ألا وهو الآلام: عاد ثلاثة وقال لهم: «ناموا الآن واستريحوا. قضي الأمر. وحانت الساعة. ها إن ابن الانسان إلى أيدي الخطاة يُسلم» (مر ١٤/٤١).

ففي ممسوس جراسا (مر ٥/١-٢٠) وهي المرّة الوحيدة في مرقس حيث لا يأمر يسوع الروح النجس بالسكوت وعدم الإفصاح عن هويته لأنه كان مع التلاميذ وحدهم. وهي المرّة الوحيدة أيضاً التي يطلب فيها إلى معافى أن يبشّر ذويه: «إمض إلى بيتك وبشّر ذوك بكل ما صنع الرب إليك وكيف رقّ لحالك» (مر ٥/١٩). فلا خوف من كشف هويته أن يُقبض عليه قبل الأوان، ويصلب لأنه في ديار وثنية.

## ج - في لوقا

### • الانجيل

- روايات متى ومرقس، تركّز كلها على يسوع ولا تذكر شيئاً تقريباً عن المعافى بعد المعجزة. فقط ممسوس جراسا في مر ٥/١٨-٢٠؛ لوقا ٨/٣٨-٣٩ يطلب البقاء بقرب يسوع. وأعمى أريحا عند الإزائين يتبع يسوع (مر ١٠/٥٢). بينما لوقا يشدّد على أن المعافى يمجّد الله. يسوع يعمل والله هو الممجّد:

- مفلوج كفرناحوم (لو ٥/٢٥) ومضى إلى بيته وهو يمجّد الله
- المرأة الحدياء (١٣/١٣) فإذا هي تستوي وتمجّد الله
- عشرة برص (١٧/١٥) ورأى أحدهم أنه شفي، فعاد يمجّد الله

- أعمى أريحا (٤٣/١٨) فأبصر لوقته وصار يتبع يسوع وهو يمجّد الله
- أعرج الباب الجميل (رسل ٩/٣) ودخل الهيكل مع بطرس ويوحنا وهو يمشي ويثب ويسبّح الله.

- ردّة فعل الحضور يذكرها الازائون ولكن لوقا يتميز بالتشديد على أن المعجزة تحدث انقساماً، فالبعض يؤمن والبعض الآخر يرفض. مرقس يذكر انقسام الحضور مرّة واحدة (مر ١٧/٥ و ١٨-٢٠) ومتّى مرتين (١٢/٣٢ و ٢٤؛ ٢١/١٥ و ١٥ب).

أما لوقا فيذكره ٦ مرّات:

- واحدة مشتركة مع مرقس ممسوس جراسا (لو ٨/٣٧ و ٣٨-٣٩)
- واحدة مشتركة مع متّى ١٢ المسوس الأصمّ الأخرس (لو ١١/١٤ و ١٥)
- معجزتان في كتاب أعمال الرسل حيث «انقسم أهل المدينة، هذا مع اليهود، وذلك مع الرسولين» (٤/١٤) وعلى أثر شفاء كسيح الباب الجميل ردّة فعل الجمهور ب ٣/١٠ و ٤/٢١ تتعارض مع تصرّف المجلس ٤/٣-٢٢
- معجزتان خاصتان:

المرأة الحدياء (لو ١٣/١٧) هي تمجّد الله. أما رئيس المجمع فيعترض: «لديكم ستة أيام للعمل فتعالوا واستشفوا فيها، لا في يوم السبت

عشرة برص (لو ١٧/١٥-١٨) السامري الغريب «عاد يمجّد الله بصوت جهور وهوى بوجهه على الأرض لدى قدمي يسوع...». أما التسعة الباقون فلم يعودوا إليه ويتساءل يسوع ألم يظهر العشرة فأين التسعة؟

أما وجد فيهم من يعود ليمجّد الله سوى هذا الغريب؟ الخلاص ليس بالشفاء الجسدي. الغريب وحده رأى فيه عطية الله على يد يسوع. وحده الإيمان يُعطي معنى للمعجزة فالشفاء لم يكن وحده الخلاص الحقيقي.

## كتاب أعمال الرسل

المعجزات في كتاب أعمال الرسل تعود بالمشاكل والمحن على مجترحها أو المستفيد منها.

• شفاء كسيح الباب الجميل تبعه توقيف ومحاكمة الرسولين بطرس ويوحنا (رسل ١٠-١/٣)

• تحرير بطرس من السجن تبعه هرب واختباء (١٢/٦-١١ و ١٧)

• آيات وعجائب بولس وبرنابا انتهت بعداء أهل أيقونية (١٤/٣ و ٥)

• شفاء كسيح لسترة انتهى برجم بولس (١٤/٨-١٠ و ١٩)

• طرد بولس روحاً نجساً في فيلبى سبب له الجلد والسجن (١٦/١٦ و ١٩-٢٤)

لم يُظهر الازائيون أن الإيمان هو ثمرة المعجزة كما في يوحنا ولكن لوقا يعطي غالباً للمعجزة دوراً في ولادة الإيمان. هي سبب لبعث الإيمان.

ففي ترتيب إنجيله أخر لوقا دعوة التلاميذ الأول إلى ما بعد معجزاته الأولى حتى يكون التزام التلاميذ نتيجة طبيعية. وفي أعمال الرسل يخبرنا أن الإيمان ينبع من تعليم الرسل (٤/٤ ؛ ٨/١٢-١٣ ؛ ١٣/١٣ ؛ ١٢/١٦ ؛ ٣١/٣٤-٣٤) حتى في وجود المعجزة. فالمعجزة هي مدعاة للتفسير الذي يقود إلى الإيمان. إلا أن روايتين في كتاب أعمال الرسل كانت ردة الفعل فيهما التوبة والإيمان. فعلى أثر:

شفاء إينياس المفلوج: «رأه جميع المقيمين في لدة والشارون، فعادوا إلى الرب» (٣٥/٩)

وإحياء طابيتا: «ذاع الخبر في يافا وآمن بالرب ناس كثير» (٤٢/٩).

## د - إنجيل يوحنا

غاية يوحنا من المعجزات، أو الآيات كما يسميها هو في إنجيله، واضحة وصرحة في خاتمة كتابه: «وأتى يسوع، أمام تلاميذه، بآيات أخرى كثيرة لم تدون في هذا الكتاب، ودون منها ما دون، لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح، ابن الله تؤمنوا أن يسوع هو المسيح، ابن الله، تؤمنوا وتكون لكم في اسمه حياة» (٢٠/٣٠-٣١).

إذاً غاية الآيات وردة الفعل الطبيعية في يوحنا هي الإيمان بالمسيح ابن الله. إلا أن ردات الفعل كانت مختلفة. فهناك من لم ير في الآية إلا البعد المادي:

«أنتم تبحثون عني، لا لآيات رأيتم بل لخبز اكلتموه فشبعتم». (يو ٦/٢٦)

وأخرون آمنوا به كصانع معجزات وخوارق (٢٣/٢) وهذا ليس بالإيمان الحقيقي .  
والأخبار والفريسيون رأوا الآيات ولم يؤمنوا «قالوا: ما نعمل، وهذا الانسان يأتي بآيات  
كثيرة؟» (٤٧/١١). إلى جانب هؤلاء هناك فئة أخرى رأت في الآيات مجد المسيح  
وأمنت به .

كالتلاميذ في آية الخمر: « تلك كانت أولى آيات يسوع، أتى بها في قانا الجليل،  
فأظهر مجده وآمن به تلاميذه والأعمى الذي آمن وسجد له (٣٨/٩) . ومرتا في إحياء  
لعازر «أجل يا رب، أنا أمنت أنك أنت المسيح ابن الله الآتي إلى العالم» (٢٧/١١) .

## خاتمة

بعد أن شفى يسوع المسوس الأعمى والأخرس: «بهتت الجموع كلها وقالت:  
أيكون هذا ابن داود؟» (متى ٢٣/١٢). وعلى أثر شفاء مفلوج أورشليم (يو ٥/١-٦)،  
قال الجمع: «بك ابليس، من يبغى قتلك» (يو ٧/٢٠). وقال اليهود: «ألستا على حق  
حين نقول إنك سامري، وإن بك إبليسا؟» (يو ٨/٤٨). ويروي يوحنا أن جموعاً أمنت  
به وكانوا يقولون: «إذا ما جاء المسيح، أفيأتي من الآيات بأكثر مما أتى به هذا؟» (يو  
٣١/٧). ولكن التساؤل يبقى والحيرة تزداد في شفاء الأعمى يوم السبت «ليس هذا  
الانسان من عند الله، فهو لا يعرى حرمة السبت. وقال آخرون: كيف يسع خاطئاً أن  
يأتي بمثل هذه الآيات؟ ووقع فيهم شقاق» (يو ٩/١٦).

هذا الجدل حول يسوع وعمله، أعطاه الفرصة لشرح حقيقة أعماله. فمتى ولوقا  
يقدمان جدالاً يستند إلى مثل المملكة التي يقع فيها الشقاق: «فإن يطرد الشيطان الشيطان،  
فقد وقع فيه شقاق وكيف يبقى له ملكوت؟ وإن كنت أطرده الأبالسة ببعل زبول، فبمن  
يطرده أبناؤكم؟» (متى ٢٧/١٢)

ويصل يسوع إلى النتيجة المنطقية:

«وإن كنت أنا بروح الله، (أو باصبع الله كما جاء في لوقا) أطرده الأبالسة فملكوت  
الله وافاكم» (متى ٢٨/١٢)

أحقاً ملكوت الله وافانا؟

الأب أسعد جوهر

## البيان الختامي

في هذه الأيام المباركة التي تربط عيد الميلاد بالسنة الجديد، اجتمع قرابة مئة شخص من أجل الصلاة والدراسة والتأمل حول موضوع الآيات والمعجزات في الكتاب المقدس .

أما المبدأ الذي انطلقنا منه فهو في خطين . من جهة تنير حياتنا قراءة الكتاب المقدس فلا يعود حرفاً جافاً ولا كلمة ميتة . ومن جهة ثانية، يلقي كلام الله بضوئه على حياتنا فيخلقنا من جديد، يوماً بعد يوم يبدل نظرنا إلى الأمور وعقليتنا، بانتظار أن يبدل أقوالنا وأعمالنا، بل كل حياتنا .

لهذا، وفي عالم يتحدث فيه الناس عن ظهورات كثيرة بعضها صحيح وبعضها كاذب أو ربّما مرتبط بمرض من الأمراض، عن أشقية تعلن ويجمع الناس حولها، عن ظواهر ليس أقلها حضور الأب ترديف أكثر من مرة إلى لبنان، في مثل هذا العالم، أردنا أن نستمع مرة أخرى وفي هذا الإطار إلى كلمة الله .

فبعد النظرة اللاهوتية التي وضعت الاساس، كانت انطلاقة من يسوع صانع المعجزات حيث ولادته هي آية الآيات كما نعرف منذ أشعيا النبي، كان تشديد على ارتباط الكلمة بالمعجزة . فكما أن الله يخلق بكلمته، فهو في المعجزة ما زال يتابع عمل الخلق . قرأنا معجزات سفر الخروج التي لم تدوّن حالاً وكأنها «تقرير» من أجل الصحافة . بل دونت بعد سنوات وأجيال فحاول المؤمنون أن يقرأوا نداء الله الحاضر في كل حياتهم، سواء لينجيهم من مضطهديهم البشر أو من أعداء الصحراء التي هي الجوع والعطش والظلمة والحيات السامة والأعداء . وألقينا نظرة إلى دورة إيليا وأليشع، ساعة

عبادة البعل تهدد عبادة الإله الواحد في أرض إسرائيل. وامتزجت الديانة بالروح الوطنية. فانقسم الناس حزبان يتصارعان. وصار الدفاع عن ديانة يهوه حرباً على عنصر كنعاني. ولهذا كان قتل بسيط في أيام إيليا ثم مذابح مع الملك ياهو الذي بارك أليشاع عمله. وفي زمن تدوين الخروج النهائي، أحسّ الشعب العبراني بضعفه فأعتقد أن الله معه: فعل، قتل... وظلوا يرددون هذه الأمور... وفي أي حال لم يفهموا تدخل الله الذي أخرجهم من أرض مصر إلا على ضوء حاجة ثانية وهي إخراجهم من المنفى الذي يعيشونه في الدّلّ في بابل. وهكذا أضاءت حياتهم على التعبير على كلام الله. ولكن كل تعبير يجب أن يتنقّى بما تدخل فيه من عوامل إنسانية. المخلص الحقيقي ليس هذا الشعب أو ذاك، ليس هذا الشخص أو ذاك، بل الذي يخاف الله. فالسحرة منذ البداية عرفوا أن إصبع الله تفعل ما تفعل، وصمتوا. على مثال ما فعل أيوب حين رأى مدهلات الله. أما فرعون الذي لا يذكر اسمه لأنه موجود في كل معاند لا يتراجع بسهولة عن خطيئته، عن استغلال أخيه، عن سيطرة شبه إلهية، فقد أراد المساومة. ماذا يبقى له إن ذهب العبرانيون من أرضه؟ ولما رأى أن «الله» بضم موسى يطلب كل شيء، كان هذا الطلب سبباً لتساوة قلبه. سوف يسكت لموت بكره ولكنه سيعود.

اعتاد الإنسان في الشرق القديم سواء العبراني أو غيره، أن يبحث عن سبب لما يصيبه من ألم وموت. فعزا ذلك إلى الإله أو الآلهة التي تعاقب. رأى في ذلك علامة. هو اكتشف يد الله وانتظر من هذه اليد أن تبتعد عنه على مثال ما فعل أيوب حين طلب من الرب أن يمهله ليلع ريقه... ذاك هو الوضع الواقعي الذي فيه يعيش عدد كبير من الناس. ضاع عندهم الدين الحقيقي الذي هو طاعة لله وارتباط به، فأخذوا بتدين مبني على خوف من المستقبل، على المستوى الفردي أو على المستوى الجماعي. يذهبون للصلاة إلى معبد من المعابد، ويعرجون في طريقهم عند ساحرة أو عرافة. هذا ما يسميه إيليا النبي: يعرج بين الجانين. تارة يستند إلى الإله الحقيقي وطوراً إلى آلهة نصنعها على صورتنا ونريد منها أن تطيعنا. أما المعجزة الكبرى في حياة إيليا فهي ساعة أرسله الرب من جديد إلى رسالته بعد ذلك اللقاء العجيب في حوريب.

وقرأنا الأناجيل الأربعة فاكتشفنا في المعجزات تعليماً يتوجّه إلينا. يسوع هو المعلم الحاضر في جماعته. هو الذي يدعونا إلى الإيمان. هو الذي يحمل إلينا خلاص. هو حضور مجد الله في العالم وهو يدعونا إلى ولادة ثانية. وما فعله يسوع سيفعله الرسل

فيتابعون عمله من شفاء المرضى وطرد الشياطين، وكل هذا من أجل تعليم يعلن أن ملكوت الله قد جاء في شخص يسوع. فالمخلع نال نعمة الشفاء فكأن يسوع خلقه من جديد. وقد نال نعمة الغفران. وهكذا تبدلت حياته كلها نفساً وجسداً. والأعمى منذ مولده شفي من عماه. ولكن المهم هو شفاء من عمى آخر. وهو يطلب مسيرة طويلة قادت إلى الاعتراف بابن الإنسان أو بابن الله، ولكنها قادت الآخرين من عيون تنظر إلى عمى يثبتهم في الخطيئة، ورفض الإيمان بيسوع.

هنا نطرح السؤال: هل كان الكتاب المقدس كله سرداً لعجائب الله؟ كلا. فقد بدأ بالعجيب الأولى، عجيبة الخلق التي تواصلت وسوف تواصل حتى الخلق الجديد. وعلى مستوى التاريخ كانت معجزة الخلاص من جماعة أوباش صارت شعباً منظماً يسير بقيادة موسى كما في تطواف ديني. فالرب الحاضر يعمل في الخفاء، وهنئاً لمن يعرف أن يكشف عمله، و«معجزاته» هي حديث حميم بينه وبين الذي نال النعمة. ولهذا، طلب يسوع منهم أن يسكتوا. هناك شرح تأويلي. ولكن لماذا لا يكون السكوت وقتاً نأخذه لنسمع كلمة الله، لنحسّ بلمسة الله. فالخروج من الذات وإذاعة الخبر ليساً أفضل الطرق لفتح قلبنا للآية. بل قد يكون ربّما تعويضاً وبحثاً عن شهرة بعد أن كانت حياتنا مغمورة. فلإعلان المعجزة مخاطرها حتى على يسوع كما يقول إنجيل مرقس. كل هذه الضجة جعلته يهرب إلى البرية، إلى الصمت. ولها مخاطرها أيضاً بالنسبة إلينا خصوصاً حين يجهلنا الآخرون.

عمل الله، عمل المسيح، عمل خفي. ونحن نبحت عنه في مظاهر وظواهر. إن قيل لكم المسيح هو هنا أو هناك فلا تصدّقوا. مرور المسيح كالبرق، كالسارق. فطوبى لمن يعرف أن ينتظره، أن يكشفه، يكشف حضوره. قال: أبي يعمل دوماً وأنا أعمل. هو لا يتوقّف عن عمل «المعجزات» فينا حتى يوم السبت. هناك ما تراه عيوننا، ولكن الكثير الكثير لا نكتشفه إلا فيما بعد، كما قال يسوع لبطرس عند غسل الأرجل.

شفى يسوع مرضى. فهل شفى جميع المرضى؟ كلا. وكان الشفاء مناسبة لقاء. وهو ما زال يشفي كل يوم من يقبل نعمة الشفاء، أي يستفيد من كل ظروف حياتنا ليتابع الحوار معنا. ليدعونا إلى الانطلاق معه في الطريق. أقام يسوع الموتى. كل ما يروى أربع معجزات، ولكن المعجزة الكبرى هي عند موت كل واحد منا. ساعة نقوم تكون المعجزة العظيمة. أقام يسوع لعازر ولكنه مات أيضاً. أما القيامة الحقّة فلا تعرف الألم ولا الموت، لا الشر ولا الظلمة، بل هي نور وسعادة.

ماذا اكتشفنا على ضوء كلمة الله التي حاولنا أن نقرأها في هذه الأيام البيبليّة الأولى؟  
الله حاضر في خلقه، حاضر في عمل الخلاص. ويسوع الذي أجرى المعجزات على طرق  
الجليل واليهودية، ما زال حاضراً معنا الآن وحتى نهاية العالم. ولكنه لم يكن الملك الذي  
يطعم الخبز للجموع الجائعة، ولم يكن المسيح الذي يساعدنا على أعدائنا، ولم يكن  
صاحب المدهشات الذي يجعل الناس تركع حين يرمي نفسه عن جناح الهيكل أو ينزل  
على الصليب وكأنه ما صُلب. كلها تجارب يسوع وتجارب لنا.

أما يسوع فيرى المعجزة في كلمة قالها قائد المئة. ورأى الانجيلي خلاصاً عجيباً نالته  
تلك الخاطئة. فحين نرى الذين حولنا يسرون في طريق القداسة والتضحية والعطاء، أما  
هي معجزات متواصلة يجريها العالم؟ وحين نعرف أن نقرأها، ننسى سائر المذهلات التي  
تجمع الناس في زياحات وتجمّعات يستفيد منها بعض المسؤولين ليستعبدوا شعباً فشلوا في  
زرع الأمل في قلبه. حين نكتشف كلمة الله في طفل، واستسلام مريض لله في أعنف  
ساعات مرضه، وتحول حياة شاب تحولاً عميقاً، ننسى الأمور الحسيّة التي نراها أو  
نسمعها فتمنعنا من رؤية المسيح وسماع كلمته في قلوبنا.

في تهدئة العاصفة، سأل يسوع التلاميذ الذين طلبوا مساعدته: لماذا أنتم خائفون يا  
قليبي الإيمان؟ إذا عشنا في الخوف، بحثنا عن الخوارق المعجزات. أما إذا عشنا في  
الإيمان، فنصبح مثل توما في الحقبة التالية من حياته: ما عاد يطلب أن يرى وجهاً ويلمس  
جراحاً. عرف أن يسوع هو الربّ الإله. فسجد راکعاً: ربي وإلهي. وحيث يكون الربّ  
والإله فهناك المعجزة.

الخوري بولس الفغالي

# أعمال الأيام البيبليّة الأولى

## الآيات والمعجزات في الكتاب المقدس

سلسلة محطات كتابيّة ١٢

١٩٩٨

٠٠- الخوري بولس الفغالي، تقديم

### القسم الأوّل: المحاضرة الأولى

١- المطران كيرلس بسترس، المعجزات في تاريخ الخلاص

### القسم الثاني: المعجزات في العالم القديم

٢- الأب أيوب شهوان، المعجزات في سفر الخروج

٣- الأب ريمون الهاشم، المعجزات والآيات في دورة إيليا وأليشاع

٤- الخوري بولس الفغالي، العهد القديم في العهد الجديد

٥- الخوري بولس الفغالي، المعجزة لدى المعلّمين اليهود

٦- الخوري بولس الفغالي، الشياطين وطرد الأرواح في العالم القديم

٧- الخوري بولس الفغالي، المعجزات في العالم الهلنستي

### القسم الثالث: المعجزة في الأناجيل وأعمال الرسل

٨- د. منى أ. عبيد، يسوع صانع المعجزات

٩- الخوري مكرم قزاح، المعجزة في الإنجيل بحسب القديس متى أو علامات الزمن المسيحيّ

١٠- الخوري يوسف فخري، المعجزة في إنجيل مرقس

١١- جهاد الاشقر وسوسن حبيب، المعجزات في الإنجيل بحسب القديس لوقا

١٢- الأب وليد الخوري، الآيات في الإنجيل الرابع

١٣- الآبائي بولس التنوري، المعجزات في كتاب أعمال الرسل

### القسم الرابع: دروس ونصوص

١٤- الخوري جان عزام، الأعجوبة أم الكلمة الحيية

١٥- الأب بطرس موسى، طرد الشياطين

١٦- الأرشمندريت نيقولا انتيبا، إحياء الموتى

١٧- الأب أنطوان عوكر، إنجيل صاحب اليد اليابسة

١٨- الخوري نعمة الله الخوري، نهاية مرقس: رسالة المؤمنين والآيات

١٩- الأب سمير بشارة، معجزة قانا الجليل

٢٠- الخوري ريمون الهاشم، آية تكثير الخبز

٢١- الخوري ريمون الهاشم، قيامة لعازر من القبر

٢٢- الأب أسعد جوهر، ردّات الفعل على المعجزات في العهد الجديد

٢٣- الخوري بولس الفغالي، البيان الختاميّ